اقرأ

إسماعيل النقيب

الحبّ .. والكلمات

عدد ممتاز

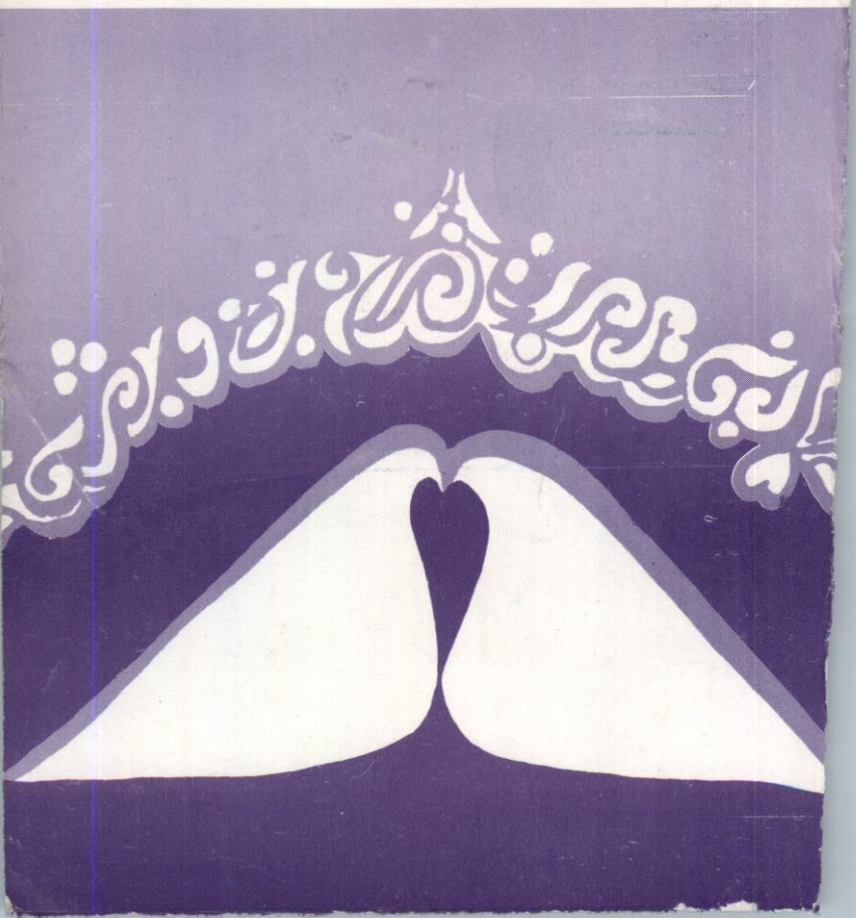

تصدر أول كل شهر
[٤٨٢] ديسمبر - ١٩٨٢

رئيس التحرير **أنيس منصور**

إسماعيل النقيب

الحبّ .. والكلمات

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

بسبب الحب !

بسبب الحب : أرادت لى أمى أن أكون مدرسًا لأقضى ثلاثة أشهر من إجازة الصيف بجوارها . .

وبسبب الحب : أراد لى أبى أن أكون قاضيًا حتى يرى ضابط نقطة البوليس فى القرية وهو يؤدى لى التحية بالتعظيم احترامًا .

وبسبب الحب : أرادت محبوبتى فى القرية أن أكون ضابطًا فى البوليس . . من أجل أن ترسل لى كل يوم أطفالى إلى مكتبى بنقطة البوليس مع الخفير وهم يلبسون البيجامات ! !

وبسبب الحب : أردت أن أكون صحفيًا لأكتب هذه الكلمات !

واحد من ملايين الفلاحين له ذكريات قديمة !

شىء غريب : فجأة وجدت من الضرورى جدًا لى أن أسأل عن طه حسين فى سن مبكرة جدًا . لم أكن بعد قد تجاوزت العاشرة من عمرى بكثير . وكان سؤالى عن طه حسين ظنًا منى أنه واحد من أهلى بقرية القنايات بمديرية الشرقية . . أو أحد أفراد أسرتى . . أو قريب لى ربما يعيش فى البندر بمدينة الزقازيق .

وكان من الضرورى أن أسأل أبى عصر أحد الأيام وأنا معه فى الحقل عما إذا كان يعرف واحدًا اسمه طه حسين . . فأجاب أبى بكلمة واحدة : لا . . وانشغل عنى بوضع البرسيم للجاموسة .

وظننت أن أبى لا يريد أن يتحدث معى . . طبعًا ميراث تاريخى . . الآباء فى الريف لا يتحدثون مع الصغار . ولا مع زوجاتهم إلا من خلال أوامرهم ونواهيهم .

ورحت أفكر . لابد أن أسأل أمى . . هى وحدها التى أستطيع أن أسألها . . قلت لها عند عودتى من الحقل فى المساء :

هل لنا قريب اسمه طه حسين ؟

فأجابت بنعم . . ولكنها كانت إجابة ناقصة . .

وقالت : إن زوج عمتى « نوارة » اسمه طه جميز بس مش طه حسين . وإن أحد أقربائى اسمه حسين النقيب رحمه الله شقيق على النقيب وعم كامل النقيب . . إلخ . . واستطردت قائلة : كما لنا قريب يعيش فى مصر ويعمل فى الترسانة الأميرية اسمه حسين مع عمى سليم أفندى النقيب . . فعاودت القول من جديد إذا كان قريبنا الذى يعيش فى القاهرة اسمه طه حسين ، يمكن يكون حسين ابن عمتك زينب النقيب ! . . وظللت حائرًا . . وظل السؤال عن طه حسين يشغلنى . . وأدركت أن طه حسين من أعيان القنايات ومش لازم أن يكون أحد أقربائى .

ويعيش السؤال فى داخلى بلا جواب . . وأتوقع أن يكون واحدًا من كبار الناس فى البلدة مثل على « باشا » الشمسى الذى نسمع عنهم أيام الانتخابات فقط . ولا يجىء إلى القرية إلا كل انتخاب لتأييد أحد المرشحين . وقررت أن أنتظر لحين الانتخابات لأعرف طه حسين . . وربما أراه .

وأقبل العيد . . وكان من الطبيعى أن يصحبنى أبى إلى الزقازيق لشراء جلباب جديد من الخان . . وحذاء جديد من البنك . . مثلما كانوا يقولون فى بلدتى .

وأمام أحد محلات الزقازيق . . صافح أبى شخصا يلبس البدلة والطربوش باحترام كبير قائلا : أهلا حضرة الناظر . ثم التفت أبى إلىّ قائلا : سلّم ياولد على حضرة الناظر . ثم سمعت أبى يقول : ده ابنى ياحضرة الناظر وأرجو أن يكون له نصيب فى مدرسة البلد . وكنت فى ذلك الحين طالبًا بالسنة الثالثة بمدرسة الزقازيق الابتدائية . ولاحظت أن أبى يتحدث مع الناظر وينادية باسم أمين أفندى .

وعرفت أن الناظر هو أمين العطار ناظر القنايات الابتدائية التى كانت تعرف من قبل باسم مدرسة « كتشنر » لأنها أول مدرسة أنشئت فى البلدة فى زمن المعتمد البريطانى فى ذلك الحين والمعروف بهذا الاسم .

وأن هذه المدرسة كانت فى الأصل مدرسة إلزامية . وقد تحولت إلى مدرسة

ابتدائية ، ولم أدخل هذه المدرسة نظرًا لأنها تحولت قبل أن أتمم دراستى الإلزامية . وعندما تقرر إلحاقى بها رسبت فى امتحان القبول فى مادة الحساب ، وكان على أهلى أن يحضروا مدرسًا خصوصيًا للحساب لمواجهة امتحان القبول فى مدرسة الزقازيق الابتدائية ، وكان الحوار بين الناظر وأبى يدور حول هذا المعنى وضرورة تحويلى من الزقازيق إلى مدرسة القنايات خوفًا على من ركوب قطار الدلتا يوميًا .

وعند انصراف أبى . . وناظر المدرسة وجدت نفسى أسأل ناظر المدرسة : حضرتك تعرف واحدًا اسمه طه حسين يا حضرة الناظر ؟ .

وإذا بالناظر يوجه الحديث إلى أبى قائلا : شوف الولد يعمل لى « امتحان » فى الشارع ! !

واستطرد يقول : آه . . أعرف طه حسين . . وزير المعارف العمومية . فأدركت على الفور أن طه حسين الذى يتحدث عنه الناظر غير طه حسين الذى أعنيه . فالناظر يعرف طه حسين وزير المعارف . . وأنا أعرف غيره . . لأنه يستحيل على وزير المعارف الذى أقصده أن يكون أعمى . وأسأل نفسى : فيه واحد أعمى ويصبح وزيرًا . لا تستقيم الأمور وأحدث نفسى .

وإذا بالناظر يسألنى : وعاوز إيه من طه حسين . . ولا أعرف ماذا أقول . ويتدخل أبى قائلا : الولد ده سألنى هذا السؤال فى الغيط من قيمة كام يوم .

فقال الناظر من جديد : عاوز إيه من طه حسين . . فقلت : طه حسين الذى تتحدث عنه غير طه حسين الذى أقصده . وأنا أسأل عن واحد قريبنا أو بلدياتنا بهذا الاسم . وكان سببًا فى دخولى إلى المدرسة . يعنى كان الواسطة . مثل على باشا الشمسى الذى توسط لابن « فلان » فى البلد ودخل المدرسة .

وقال الناظر من جديد : إيه الحكاية يا ابنى ! القنايات ليست فيها واحد بهذا لاسم . ثم إن عيلتك وأنا أعرفها . . لا تضم بين أفرادها ولا طه حسين واحد .

فتدخل أبى فى شخط وبلهجة أمر : أمال إيه حكايتك مع طه حسين ؟

فوجدتنى أقول فى خوف وفى هدوء : أصل أنا « الألفة » بتاع المدرسة . وأنا اللى باهتف للعلم فى طابور الصباح . وفيه أولاد من بلدنا فى المدرسة لما يتكلموا فى الفصل أنا أكتب أسماءهم على السبورة . ليعاقبوا عندما يجىء المدرس بعد الفسحة أو بعد انتهاء الفترات القصيرة بين الحصص . والأولاد دول أولاد ناس أغنياء فى البلد . وعندما يذهبون إلى بيوتهم يقولون ماحدث لأهاليهم . وفى كل مرة ألتقى بالصدفة مع أهاليهم أسمعهم يقولون : طه حسين أعمى العين هو الذى جعل هذا الولد يدخل المدرسة . . وهذه العبارة أسمعها ولا تتغير . . طه حسين هو اللى جعل الولد ده يدخل المدرسة . وإذا تغيرت هذه العبارة فتكون على هذا الشكل : البركة فى طه حسين هو اللى خلا أولاد الفقراء يدخلون المدرسة زى أولاد الأغنياء . وعندئذ أدركت أن طه حسين لابد أن يكون قريبى . أو أحدًا من عائلتى أو أحد باشوات القرية مثل على باشا الشمسى أو عدلى باشا غيث وتوسط للطلبة الفقراء فى دخول المدارس كوعد منه فى زمن الانتخابات .

وعندما سمع الأستاذ أمين العطار حكايتى أطرق قائلا : طه حسين الذى تسأل عنه . . هو طه حسين الذى أقول لك عنه . وقلت من جديد : فيه واحد أعمى ويكون « وزير » ؟ ! !

فعاد الناظر من جديد يقول : عندما تنجح فى مدرستك سأحولك إلى مدرسة القنايات . وسأعطيك كتابًا من تأليف طه حسين الذى تريد أن تعرفه . وهذا الكتاب . . اسمه « الأيام » . .

فزاد انبهارى ولهفتى لعدة أسباب منها : أن ناظر مدرسة القنايات العظيم سيعطى تلميذًا كتابًا مجانًا من عنده . وثانيًا : هل واحد أعمى يكتب كتابًا . بالطبع أنا لا أستطيع أن أتخيل ذلك . فمعلوماتى عن الدنيا أن معظمها فى بلدة القنايات .

يعيش على أطرافها ناس فى المدينة هم أنظف وأحسن حالا . . وهم الذين يسكنون الزقازيق التى يمر بها بحر واسع جدًا اسمه « بحر مويس » وهو أكبر بكثير جدًا جدًا من البحر الذى يمر فى قريتى وعرضه لا يزيد عن خمسة أمتار . وأفزعونى رعبًا منه . . وحذرونى من الاقتراب منه خوفًا على ولدهم من الغرق فيه .

وسقطت هيبة بحر قريتى . . عندما رأيت بحر البندر . . بحر مويس العظيم . أكثر من هذا كنت أسمع عن بلد اسمها مصر أم الدنيا . وغالبًا ما تنتهى الدنيا عند أطرافها البعيدة . وربما كانت عند هذه الأطراف يقع بلد اسمه الحجاز يذهبون إليه فى الحج .

ورأيت النيل بعد ذلك فى رحلة مدرسية وانبهرت لهذا الاتساع العظيم للنهر . وسير المراكب فيه وانزوى بحر مويس وراح بعيدًا أمام النهر الكبير . ولما ذهبت إلى الإسكندرية لأول مرة ورأيت البحر الأبيض أو البحر المالح . . الذى تشرق فيه الشمس وتغرب . فقدت القدرة على النطق ! !

وبين بلدتى . . والزقازيق . . ومصر . . والحجاز . . أسمع عن مجموعة من القرى والكفور . . والعزب . . وكنت دائمًا أسمع من أهل البلدة المثقفين يروون حديثًا منسوبًا إلى النبى ﷺ . . هذا الحديث يقول : خير أمتى فى المدن . وأوسطهم فى القرى . وشرهم فى الكفور والعزب !

بالتأكيد هذا الحديث ليس شريفًا . ومدسوس على الرسول الكريم الذى عرفت فيما بعد أنه قال : « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » . وسمعت القرآن الكريم . . وفى آياته : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) .

وعندما عدت إلى القرية فى عصر ذلك اليوم الذى التقيت فيه بالناظر . . ذهبت إلى بعض زملائى ورويت ما دار بينى وبين الناظر . وكيف أنه وعد بأنه سيعطينى كتابًا مجانًا عن طه حسين . فإذا بهم يسخرون ! ! وقررت ألا أفاتح أحدًا

فى هذا الموضوع إطلاقًا . . فالتلاميذ لا يصدقون أن الناظر يتحدث مع تلميذ . . وسيعطيه من عنده مجانًا كتابًا عن طه حسين . بالطبع هذه كذبة كبرى . ولذلك قررت أن أخفى سرى فى عبى – كما يقولون – وأصمت . وعندما نجحت فى الابتدائية بمجموع ٨٦٪ والتحقت بمدرسة القناطر . وجدت نفسى صاحب أعلى مجموع الأمر الذى جعلنى ألفة فى هذا الفصل لحين ظهور درجات الفترة الأولى .

وكان يومًا عبوسًا . . عاد إلى فيه السؤال القديم . . والكلام القديم . . فى هذا اليوم كتبت اسم أحد الطلبة الأثرياء فى بلدى على السبورة . . ونال ضربًا مبرحًا من مدرس الفصل عبد الحميد المراسى على ما أذكر . وعندما أخبر هذا التلميذ والده « الشيخ محمود » رحمه الله أن سبب ضربه فى الفصل هو أنا : صاح بأعلى صوته يوم الزفة الكبيرة لمولد النبى فى بلدتى قائلا : طه حسين أعمى العين جعل ابن الفقير يعمل الأول على ابن الغنى . وكان الرجل رحمه الله دائمًا يردد أنه غنى . وأن غناه جاءه على علم منه مثل قارون ! !

ووجدت نفسى أذهب إلى ناظر المدرسة الأستاذ أمين العطار أذكره بوعده القديم فى كتاب الأيام للدكتور طه حسين . وأعدت على مسامعه الذى سمعته من أن طه حسين كان سببًا فى دخولى المدرسة . فأجلسنى حضرة الناظر وقص على قصته . . وأنه هو الذى جعل التعليم حقًا لكل الناس . . تمامًا . . كالماء . . والهواء !

وبقراءة الصفحات الأولى فى الكتاب كدت أقع على الأرض مغشيًا علىَّ . فالكتاب أرى فيه نفسى . فالفتى فى كتاب الأيام مثلى وإن كنت مبصرًا . ولكنه يرى أيضًا أن نهاية العالم تنتهى عند حافة هذه القناة التى فى بلده . وتمر أمام بيته

وقرأت . . وقرأت . ووجدت نفسى أجهش بالبكاء عند قراءة صفحة ١١٩ والتى يصف فيها طه حسين وفاة أخيه الطالب بكلية الطب مصابًا بوباء الكوليرا

وهو يقبع فى ركن فى الغرفة ويسمع نواح السيدات من أهل الدار . وكانوا يتمنون لو أن الموت أخذ هذا الضرير الأعمى . . وترك الدكتور . . ولكنه الموت . . ويستطرد الدكتور طه حسين فى الوصف . . وأنا أجهش بالبكاء . فدخلت علىّ أمى ملهوفة . . وتسألنى . وأنا لا أعرف بماذا أجيب . وإذا بسيدة كانت فى بيتنا بسبب يوم « الخبيز » تقول : ربما أن الكتاب اللى قدامه من الكتب اللى بيعملوا منها عمولات . . وكانت تقصد أن هناك كتابًا يقرؤه العلماء ليعملوا منها « عمل » بالنجاح أو الفشل . . أو الحب أو الكره . أو الزواج أو الطلاق . . إلخ . فإذا بى أصيح فى هذه السيدة . . لا هذا كتاب الدكتور طه حسين العظيم الوزير ! ! وأخذته من الأستاذ أمين العطار ناظر المدرسة . فإذا بالست تقول : هو كتاب « عمولات » لأن أمين العطار أصله أزهرى . وأخوه الشيخ زكى العطار عفريت من تحت الأرض . وأخوه أحمد العطار راجل معاه فلوس كتير . . وغاوى الحاجات دى . . هو بعينه كتاب يتعمل منه العمل !

وأغلقت على نفسى الغرفة وواصلت القراءة ، ومن حين إلى حين أعود إلى هذا الكتاب العظيم . . ومن يومها تعلقت بطه حسين . . وعينت نفسى أحد أتباعه على البعد وأحد مريديه . ولأول مرة فى حياتى أكتب خطابًا إلى إنسان كبير . . وسطرت حبى الشديد للأستاذ العظيم طه حسين . وأشك أن يكون الخطاب قد وصله على وزارة المعارف العمومية بمصر لأنه لم يصلنى منه رد . وربما ضاع فى البريد . ومن يومها أيضًا لم أكتب لسواه من الكبراء أى خطاب . . ظنًّا منى أننى ربما أصبح شيئًا له قيمة تكتب الناس له . . ولا أكتب لأحد .

وحاولت جاهدًا تقليد طه حسين فى حبى الشديد للقراءة وعرفت بعد ذلك عنه الكثير . وكنت أواظب على سماعه فى الراديو من مقهى فى البلدة فى زمن الإجازة وكلما سمحت الظروف بالسماع .

وصرت بعد ذلك تابعيًّا . . أى من أتباع طه حسين . . لحين ذهابى إلى القاهرة . . وعملى فى الصحافة . . أواظب على قراءة كل ما يكتبه طه حسين بقدر الإمكان واتصلت به . وكتبت عنه . وعرفت أنه لم يصله خطاب فيه معنى ما رويت وإلا كان قد سارع فى الرد عليه . وهو فى ذلك صادق .

وكنت فيما أكتب عن طه حسين . . أجدنى شديد الحب . . الأمر الذى يجعل خصومه يعيبون علىّ ما أكتب (ولعلها صدفة وهى مفاجأة لى أيضًا أن معظم أصدقائى من خصوم طه حسين) .

وعرفت كثيرًا من خصوم الدكتور طه حسين . بعد ذلك وقبل ذلك عندما كنت أدرس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة . . ووجدت أحد الأساتذة يقول لى عن طه حسين إنه أنكر على الشعراء شعرهم . . وعلى الناس قولهم . وعرفت فى قاعات الدرس وكان عن أشهر القضايا الصحفية فى العصر الحديث قضية الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق ، وقضية كتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » وكلها قضايا تكاد تكون معروفة .

وعرفت أن الرجل أراد أن ينقل إلينا أصول المنهج فى الكتابة . . والنقد . . والتاريخ . . وهو الشك فى كل المسلمات حتى يجىء اليقين . . وهو قد تأثر فى ذلك بالفيلسوف الفرنسى الشهير ديكارت أبى الفلسفة الحديثة . . الذى أعجب به طه حسين فى أثناء دراسته فى باريس .

وهدأت الزوبعة التى أثارها المتزمتون الذين يعيشون وتمتلئ جيوبهم على كثرة اللغو من الحديث . وبقى لنا المنهج الذى أراده لنا طه حسين الذى لو تمسكنا به لن نضل بعد عندما نريد أن نكتب التاريخ .

وإذا بأستاذ جامعى آخر يقول : هل تعرف لماذا اهتم العالم بترجمة كتاب الأيام للدكتور طه حسين وكتاب يوميات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ؟ . . ويجيب

نفس الأستاذ عن السؤال : لأن هذين الكتابين يصوران البؤس والشقاء الذى تعيش فيه القرية المصرية وظلم الإنسان المصرى . وتخلفه . ومن هنا أراد المترجمون فى الغرب أن يظهروا بأننا متوحشون ولسنا آدميين من خلال كتابات كبار كتابنا ! !

ولكن الذى أظهر روعة ريفنا المصرى وسماحته هو الدكتور محمد حسين هيكل فى روايته الشهيرة « زينب » .

وهنا يفرض سؤال نفسه : هل الكاتب موظف فى مصلحة السياحة ؟ . . وهل المطلوب من الأديب أن يزيف نفسه . . أم يلتزم الصدق معها ؟ فالكتابة القصصية والروائية بالذات يكون الكاتب فى حالة من الخصومة مع الحياة . . والصدق فى هذه الخصومة يجعله يشرب من ينابيع الألم !

فطه حسين على حق . وتوفيق الحكيم على حق ومحمد حسين هيكل أيضًا على حق فالجميع التزم الصدق الفنى فيما كتب وهذا هو المعيار !

ومكثت منذ ذلك التاريخ من صباى المبكر فى أوائل عام ١٩٥٠ حتى الآن من مريدى طه حسين على البعد . وكنت أعتبره صاحب فضل على بصفة شخصية . . إلى أن انتقل إلى رحاب الله . وودعته مصر بكل الجلال . . اعترافًا وفضلاً . . على رجل أرجو من الله أن يكون قد أرسل ملائكته لتحف من حول موكبه المهيب فى يوم الرحيل . . والحب الأكبر .

العاشق الصغير من القنايات

اليوم .. أدير ظهرى لغروب الشمس .. وأتجه بالحب بقلبى نحو الشرق .. لأن فيه الكوكب .. أم كلثوم ؟

مشكلة .. كيف أختار من الذكريات عن الأغانى .. فكل الأغانى سمعتها .. والكثير منها لى معها ذكريات حلقت معها بالفرحة .. وسقطت مع بعضها بالألم إلى حد الاقتراب من الموت . لابأس من البداية الأليمة .. فهى تشدنى .. وأعتقد أننى دفعت ضريبة المتعة .. بالعذاب فى حب أم كلثوم . وهذا العذاب لم يكن تضحية محسوبة .. ومقدرة . ولكن كان الحب عظيمًا ، مما ترتب عليه عذاب أليم .. ولنبدأ بالعزف المنفرد .. بالتقاسيم على الأيام ؟

١ – فجأة وجدت نفسى غريقًا فى قاع البحر بسبب أم كلثوم فما الذى حدث ؟

مثل الذين عرفوا الحب .. وعرفوا أم كلثوم .. وعاشوا الوهم الجميل .. إن أم كلثوم تغنى لهم وحدهم .. كنت أنا ذلك العاشق الصغير فى القرية وأرى نفسى فى بعض أغانيها .

وفى ليلة غاب عن سمائها القمر .. لاشىء إلا أن شهر رمضان لم يعد فيه سوى ليلة أخرى .. وبعد ذلك يجىء العيد . مثل بقية الناس أنتظر ثوبى الجديد عند الترزى فى القرية .. ويتوقف صوت ماكينة الخياطة لحظات لتغيير الخيط .. والزيت .. وأسمع على البعد صوت أم كلثوم من بعيد وهى تغنى أهل الهوى ياليل .. الله .. أقولها فى سرى .. وأقرر الانصراف من عند الترزى فجأة لسماع الأغنية وبعدها أعود . الدنيا حالكة السواد .. وخروجى المفاجئ من الضوء المبهر « للكلوب » فى دكان مصطفى الخياط ساعد على العتمة .. فلم أعد أرى شيئًا على الإطلاق .. وأمامى بحر القرية .. ولابد من عبور هذا البحر على كوبرى صغير بلا جوانب وهو عبارة عن جزعين من أشجار الكازورينا .. وعليهما بعض الطين .. والتراب .. لامانع من العبور فى الظلام .. فالعميان يسيرون فوقه فى سلام . لمجرد الاعتياد على الطريق .. عرفت طريق إلى هذا الكوبرى الصغير الذى يطلق عليه فى القرية اسم : « اللاطة » .. وسرت عليه مسرعًا .. ولم أكن أعرف أن فاعل خير فى القرية قد سارع بوضع حجر كبير فى ثقب فى هذا الكوبرى خوفًا من وقوع كوارث للبهائم . أو للمارة .. لم أكن أعرف بأمر هذا الحجر .. وذلك الثقب .. وفجأة اصطدمت قدمى اليمنى بهذا الحجر .. وإذا بى أسقط فجأة فى الماء برأسى « غرز بصل » كما يقولون .. ويختصر الماء صرخة فزعى وأنا أقول .. « يا هوى » .. الماء ملأ فمى .. ولم يسمعنى أحد .. وأصبحت غريقًا فى قاع النهر .. وخارت قواى .. واستسلمت للتيار بعد آخر إطلالة على الدنيا من أجل شهقة هواء . وفجأة يصطدم رأسى بجسم جامد .. آه « الجنيه » وترتفع يداى بعفوية وتلقائية للدفاع وإذا بيدى تصطدم بجسم أسطوانى .. آه إنها ماسورة المياه .. مباركة الله .. هذه الماسورة هى التى تنقل مياه الشرب المكررة من الصهريج فى البر الغربى إلى البر الشرقى .. فأتعلق بها .. وأحاول أن أشم هواء الدنيا كله ..

الحمد لله . وأتعلق بالماسورة التى تغطيها المياه .. وأنتظر لفترة طويلة لعل أحدًا من المارة يسمع أنينى .. فينزل لينشلنى .. وفجأة سمعت صوت الخفير .. إنه عم ابراهيم أبو غنيم .. أعرفه تمامًا .. فأصرخ .. ياعم إبراهيم .. وإذا به يتمتم .. ويقرأ القرآن .. وأستنجد ياعم إبراهيم .. فيسرع فى المشى وهو يقول : أعوذ بالله من الشيطان .. لقد تصور الرجل الطيب أننى « الجنية » .. والتى كانوا يقولون عنها إنها عندما تختار ضحاياها تقوم بدور الغريق .. والذى يقترب منها تقتله .. أو تقوم بعمل فلاحة كانت تملأ الجرة من ماء النهر وتطلب من أحد المارة فى الليل أن يساعدها فى رفع الجرة على رأسها حتى تأخذه وتنزل به إلى قاع الماء وتمتص دمه .. وأعاود من جديد الصراخ .. ياعم إبراهيم .. يا إبراهيم وإذا بالخفير يعبث بزناد بندقيته التى لم يستخدمها فى حياته مرة واحدة .. مجرد منظر .. يريد أن يستخدمها لأول مرة فى قتل الغريق .. ظنًا منه أنه الجنية التى تهرب عند رؤية النار ! ووجدنى أقول بكل ما أملك بصوت ضعيف ياإبراهيم أنا إسماعيل أبو منصور .. ويرد بتلقائية إسماعيل أفندى .. فأرد آه .. فيبتعد عنى والخوف يسيطر عليه لأن بصوتى ضعفًا مما يؤكد نظريته فى « جنية » البحر بصوتها الضعيف .. وإذا بأحد المارة .. لاأعرفه .. وأسمعه يتحدث معه .. فأقول من جديد أنا إسماعيل أبو منصور النقيب .. فيرد الخفير وقد زاد اطمئنانه بعد مقابلة أحد المارة والتعرف عليه : إيه اللى جابك هنا يا أستاذ .. فأقول فى ضعف .. وقعت من على « اللاطة » فيقترب منى مسرعًا .. بعد أن تأكد من الذى معه أن الجنية لاتظهر لاثنين فى وقت واحد ولو كانت الجنية لاختفت على الفور بعد سماع صوتين . وينشلنى عم إبراهيم .. ويذهب إلى أبى فى البيت .. فيسأله إن كان حد هو اللى زقوا فى « المية » من أولاد الحرام .. فأقول لأبى مؤكدا أننى الذى وقعت ! وتبكى أمى .. وتحضر أدوات الاستحمام والملابس .. وتبقى إلى جوارى حتى الصباح .. وقد نمت بعد إحساسى بالأمان

الشديد بجوار أمى التى أخذت تردد بعض الأدعية التى لاأعرفها ويدها فوق رأسى وانتهت المسألة .. أو هكذا ظننت .

وفى الصباح وجدت الكثير من الناس يدخلون منزلنا .. حمدًا لله على سلامة الأستاذ « هكذا يطلق الفلاحون على تلامذة المدارس » . وأحاول أن أعرف سبب انتشار الخبر فى البلد بهذه السرعة .. هل هو الخفير .. ؟ .. أم أن أبى يريد أن يتأكد من أن مسألة غرق ابنه ليست بفعل فاعل ؟ ! .. إلخ .. واكتشفت أن أمى السبب .. كيف تكون أمى قد أخبرت القرية كلها .. وهى الست « المخبية » التى لم أرها تخرج إلى الشارع يومًا .. اللهم مرات قليلة تذهب فيها للعزاء فى وفاة أحد الأقارب .. وبشرط أن تكون المسافة قصيرة .. هذه السيدة لاتختلط بأحد .. تقوم بعمل الإذاعة .. لابد أن فى الموضوع جوانب أخرى .. وكان .. وثبتت الرؤيا .. إن أمى هى السبب .. عندما قامت فى الصباح وطلبت حضور إحدى قريباتنا من السيدات . وأعطتها « حلة » بها ماء .. وورد .. ورغيف من الخبز البارد .. وأرنب مذبوح .. وطبقا به ماء وحنة .. ومسمار كبير من الحديد .. وقرص ناشف من مخلفات المواشى .. وقليل من الملح .. وطلبت أمى من هذه السيدة أن تذهب إلى حيث سقطت فى الماء وترش الماء والورد والحنة .. وتضع شمعة .. والملح والخبز والمسمار والأرنب المذبوح هناك .. وتقوم بالأدعية اللازمة لإرضاء الجن من أهل الأرض حتى لايصيبنى الأذى .. طبعًا .. نفذت هذه السيدة المباركة أوامر حضرة الوالدة .. واصطحبت معها بعض النسوة .. وأخذن يرددن بعض الكلمات غير المفهومة .. مما لفت الأنظار إليهن وكل من يستفسر عما يقمن به .. يخبرنه بأن إسماعيل أبو منصور غرق ليلة امبارح فى البحر ! .. وكان ذلك يوم وقفة العيد وزحام الشوارع بالمارة الذين يشترون لوازمهم .. وانتشر الخبر .. وحضر المهنئون بالسلامة .. وبالعيد .. ورحمة الله على أمى فقد فضحتنى .. فلقد وجدت أن

قصتى مع الغرق قد سبقتنى إلى المدرسة فى المدينة .. ولم يعرف الناس أنَّ الغريق .. كان عاشقًا صغيرًا فى القرية .. وعاشقًا للكوكب .. أم كلثوم !

٢ - وعقوبة أخرى بسبب الحب للكوكب ..

الخميس الأول من فبراير عام ١٩٥٩ ... حاولت المستحيل لتبديل خدمتى الليلية فى الجيش إلى ليلة أخرى وفشلت ، قدمت إغراء للزملاء فى القوات المسلحة وهى أننى سأقوم بخدمتين فى أسبوعين متتاليين مقابل أن يقبل أحد أن يتولى هذه الخدمة .. كى أخرج وأسهر مع « شلة الأصدقاء » وصوت كوكب الشرق فى أغنيتها الجديدة التى تذاع لأول مرة وهى « أروح لمين » ؟ وقبل بعض الأصدقاء ورفض الشاويش .. ومن بعده الضابط طبعًا .. أنا لم أقل أسبابى فى إعفائى من الخدمة فى تلك الليلة .

طبعًا المعسكر لم يكن يتوافر فيه راديو فى ذلك الحين .. وإذا توافر فسيكون فى حجرة القائد .. وأنا عسكرى مؤهلات سيقوم بحراسة البوابة فى تلك الليلة .. وكان المعسكر وقتئذ فى شارع أبو الفدا بالزمالك .. انتقل بعد ذلك .. وحلت محله عمارات يسكنها الموعودون .. وكنا أيضًا نحن بعض العساكر المؤهلات موعودين بالخدمة فى هذا المكان .. بعيدًا عن الجبل !! المهم كان شعورى فى تلك الليلة أليمًا .. ومليئًا بالحرمان وربما كان الجبل أهون كثيرًا .. فالعمارات من حولى يشيع فيها الدفء والضوء الملون .. واستعداد الناس للسهر .. وأنا سهران مع البرد الشديد أعانى من الوحدة .. والحرمان من المحبوب الموجود فى القرية .. وصوت الكوكب الذى يلازم حبى لكل الموجودات الجميلة فى الحياة !

الناس فى الزمالك على قدرٍ عالٍ من الذوق بسبب نوعية السكان .. وكنت

أتمنى أن يكون المعسكر فى أحد الأحياء الشعبية لأسمع صوت الراديو من كل اتجاه .. ولكن عشاق السمع فى الوسط الراقى .. يسمعون على القد . إذن لاصوت يتسرب ليصل إلى أذنى الملهوفة على الأغنية الجديدة . وجميع النوافذ مغلقة بالأسرار والاستماع إلى صوت كوكب الشرق . وأحاول أن أسترق السمع .. وأفشل !

ومن حين إلى حين يصل إلى سمعى صوت الكوكب يجىء من بعيد فالتفت حولى باحثًا عن الاتجاه . . فإذا به يجىء عبر النهر من راديو عالى الصوت فى إمبابة . . الوجه المقابل فى كل شىء فى الزمالك .. فأقترب من شاطئ النيل وأقف على حافة النيل . . بعيدًا بقليل عن البوابة وظهرى لها . . لكى أتمكن من الاستماع من الصوت القادم من إمبابة . وأتمايل طربًا مع موسيقى هذه الفقرة من الأغنية التى تقول فيها أم كلثوم « يطول بعدك . . وأعيش بعدك على شوق وأشجانى » . . وأتخيل أن المحبوبة فى القرية تسمع وتفكر فى المحب الغائب فى المدينة !

وتستولى الأغنية على كل حواسى . . فلم أعد أشعر بشىء حولى . . وفجأة صوت يزعق على باب المعسكر « يا عسكرى يا خدمة » وأفيق من نشوتى فى فزع وأرد « أفندم » وأسرع إليه ومن هول المفاجأة نسيت قواعد التحية العسكرية بالسلاح ليلا للرتب الكبيرة . . يا لسوء البخت . . ما الذى أتى بالعقيد محمود أمين عمر (محافظ الإسماعيلية السابق – رحمه الله) ، والمقدم فوزى مرعى (لواء بالمعاش الآن) ؟ !

طبعًا النتيجة معروفة . . الجزاء الشديد . . فنحن نعرف جميعًا البكباشى فوزى مرعى . . وجزاءاته فى الفارغة وفى المليانة . . أما القائمقام أمين عمر . . فهو رجل شديد ولكنه ليس قاسيًا ! ولم أسمع منهما كنت فين . . والا بتعمل إيه . . فقط سمعت : شهر كامل حرمان من الإجازات ! . واستمعت إلى توقيع

العقوبة . . وقد شملت أيضًا جميع المعسكر . . فى الجيش قاعدة : الحسنة تخص . . والسيئة تعم . . وطبعًا سمعت الجزاء مرة أخرى فى طابور النظام فى مساء اليوم التالى . . وقلت فى سرى . . يا الله كله فى حبك يهون يا ست . !

٣ – فماذا فعلت بى أم كلثوم فى ليل الخريف مع الكروان والأذان ؟

القدر ، ورياح الخريف ، وأم كلثوم ، تآمروا على العاشق الصغير ليلة واحدة . . فى هذه الليلة تمت خطبة محبوبتى إلى غيرى بعد أن تأخرت طويلا بسببى . . حكمة إلهية عندما نحب لم نكن فى حالة مالية تسمح بالزواج . . وعندما تسمح الحالة المالية يكون المحبوب والحب قد أصبحا فى خبر كان !

وبعد ذلك نتزوج بمن نكره . .

فى ذلك الحين لم أكن قد انتهيت من دراستى . . ولم تكن حياتى قد تحددت فيها شىء . فكيف أقدم على الزواج ، مع أنى والله العظيم أحب ، ولكن ما حيلتى . والحب فى هذا العصر قد خضع لعلم الحساب ، ما هى الوظيفة ، وما هو المرتب . . وما هى الكلية والجامعة التى تخرج منها وهل عنده شقة ؟ ، إلخ . . صحيح أن المحبوبة كانت راضية برغم أننى لم أصبح شيئًا بعد . . ولكن على أمل أننى سأكون شيئًا ، ولكن من يضمن ؟ ! المهم أننى استمعت إلى صوت العقل ، ودهست على قلبى بحذاء قديم ، ولم يزل دمه ينزف حتى الآن ! ، والذى حدث فى تلك الليلة أننى خرجت كالمعتاد فى إحدى ليالى الخريف وكان القمر فيها بدرًا . . ولكن لم أر نوره بسبب سحابة الحزن على عيونى ، وبعض الغيوم الرمادية قد استقرت تغطى وجهه هى الأخرى ، وكأنه هو الآخر يشاركنى أحزانى . وجلست كالمعتاد تحت الشجرة ، نفس الشجرة التى كنا نجلس تحتها ليلا ، وأخذت يومها

أتأمل أوراق هذه الشجرة وكأنها كتاب كنت أطالع فيه صفحات حبى . وعندما كانت تسقط ورقة مع هبة الريح ، كنت أفزع وبودى أن ألتقطها لأن هذه الشجرة هى شاهد حبنا ، وأوراقها هى سطور كتابنا ، فهذه الورقة عندى كما لو كانت صفحة فى كتاب . ويمر من أمامى مجهول على الطريق ، ويحمل فى يده راديو وكان يغنى عند هذه الفقرة « يا للى هواك فى الفؤاد عايش فى ظل الوداد » من أغنية (جددت حبك ليه بعد الفؤاد ما ارتاح) ووجدت نفسى أبكى . . واسترحت للبكاء ، وبعد ذلك بمدة كبيرة جاء آخر وصوت الراديو فى يده ضعيف جدًّا وسمعت أم كلثوم تغنى من إذاعة بعيدة أغلب الظن أنها دمشق ، وأسمع « سهران لوحدى » وصوت الناى يشرخ قلبى ويزداد نحيبى ! ، وأظل ساهرًا مع الوحدة وطيور الليل والنحيب وليل الخريف . وطائر الكروان يمر فوق ويرسل تسابيحه . وكنت مثل أهل القرية أردد وراءه : الملك لك ، لك ، يا صاحب الملك ، وبعد ذلك أتجه بكلمات أتمتم بها نثرًا ، ولكنها كانت تخرج منى فيما يشبه الشعر . . وكنت أقول : بالله يا طير المساء ، فى السماء ، عند أشجارى وغرد ، فأنا عازف الناى شردنى الهوى ، وغنيت لليل ، للآهات ، أن يسألوك عنى ، سل عنى الخريف ، والنجوم ، وأوراق الشجر ، عرف قلبى النواح ، وعرفت السهد ، والنجوى ، وعرفت عيناى المطر ، أنا زهرة . . تفتحت للحب ، وغنت للربيع ، ورواها الندى ، ولم تعرف المطر ، راح الربيع ، والمحبوب ، وأنا على الغصن احتضر ، فى أمسيات الخريف ، وأغرقنى المطر ، وأغرقنى المطر ! !

٤ – . . مفاجأة . . مع الكوكب . . وجهًا . . لوجه نتحدث

فجأة وجدت نفسى وجهًا لوجه مع الكوكب شخصيًّا ! . . إيه الأملة دى ؟ والحكاية . . أن عملى كمحرر أدبى ترتب عليه دعوتى لكل المحافل الأدبية . وذات

يوم وجدت فى انتظارى دعوة من الدكتورة سهير القلماوى رئيسة اتحاد خريجات الجامعة لحضور حفل للخريجات ضيفة الشرف فيه كوكب الشرق . . أم كلثوم . . وذهبت . . ووجدت نفسى معروفًا لمعظم السيدات اللاتى حضرن الحفل فيما عدا طبعًا الكوكب .

وأم كلثوم لها حضور مهيب وجليل ، وعظمة على عظمة ، على عظمة ، التأمل فيها شىء عظيم ، وطول عمرى أسمعها . ولكن لم أسمعها تتحدث . وتتحدث بهندسة ، وفن . . كما الغناء . يا إلهى . كنت أعرف أن أغانيها جميلة ولكن ليست من تأليفها ، وإن كانت الكلمات كما لو كانت اكتسبت المزيد من المعانى ، وتجسدت ملامحها بعد الأداء العظيم لأم كلثوم ، هذه حقيقة . . ولكن لم أكن أتوقع قدرتها الفائقة على الحديث الممتع الظريف . وحضور البديهة وإطلاق النكتة والقفشة الذكية ، وفى لحظة قدمتنى الدكتورة سهير القلماوى إلى الكوكب . . وقالت إن هذا فلان الفلانى المحرر الأدبى بجريدة الأخبار . . واللى بيكتب باب « سألناهم » وإذا بأم كلثوم تسألنى فجأة . . وانت يا اسماعيل يا بتاع سألناهم بقالك ساعة مسألتش ولا سؤال :

فقلت لها على الفور : ساعة ما شوفك يروح منى الكلام . . وانساه ! ! فضجت الصالة بالضحك . . وضحكت أم كلثوم لهذا الرد وقالت : يا ابن الايه . . . ؟ ! وقربتنى منها وتحدثت معى وبادلتها الحديث . . وانتهى الحفل البهيج بحضورها ، وأمضيت يومى سعيدًا ، وليلتى سعيدًا وأنا أستمع إليها فى الراديو ، فلقد رأيتها شخصيًا وتحققت مما كنت سمعت به عنها من كامل الشناوى وجليل البندارى ومصطفى أمين وأنيس منصور وأحمد رامى والدكتورة نعمات أحمد فؤاد . وكمال الملاخ ، وعرفت أنه بجانب الذكاء الفطرى الذى تتمتع به قد قرأت كثيرًا ، وكانت ذواقة فيما تقرأ ، وعرفت أنها كانت تحضر مجالس كبار

تحدثين والظرفاء . الأمر الذى أضاف إلى شخصيتها الفريدة إضافات اكتملت بها عناصر الشخصية الجميلة . وما يصاحبها من خصائص فريدة ومتميزة . صبحت بحق كوكبًا . سيبقى مضيئًا فى كل اتجاه . ارحمها يا الله .

أم كلثوم والعزف المنفرد مع الأيام

من المستحيل أن نعرف عدد نبضات القلب الموصولة بالحياة ، كذلك من الصعب أن أعرف عدد خفقات القلب بالحب لأم كلثوم . لأننى فى حالة من الحب الدائم لأم كلثوم والتى تجىء ذكرى رحيلها بعد غد .

وأنا لاأستطيع ادعاء أن هذه حالة خاصة ، أو أننى الذى أنفرد بهذه الحالة ، لأن أم كلثوم كانت لكل الناس . ولكن أستطيع القول بأن أم كلثوم كان لها دور فى حياتى . وأنا لاأقصد هنا الحياة العاطفية ، لاأقول إنها كانت يومًا رسولا للغرام بينى وبين من أحببت ، عندما افترقت يومًا مع حبيبتى ، لأن حياتى العاطفية لم تكن مثلما غنت فى رائعتها « عودت عينى على رؤياك » .. والتى يقول فيها أحمد رامى « الحب كله نعيم » ، لأن حياتى فى الحب لم تكن كلها نعيمًا ، ولكن كانت مثلما قال بيرم التونسى فى أغنية « الحب كله » .. وصال ودلال ، ورضا ، وخصام . وأهو من ده وده .. الحب كده .

وأنا أيضًا مع بيرم التونسى عندما يقول :

ياسعد اللى عرف مرة حنان الحب وقساوته .

وياذله اللى طول عمره ماداق الحب وحلاوته .

تشوفه يضحك وفى قلبه الأنين والنوح .

عايش بلا روح وحيد .. والحب هو الروح ..

.. وهذا هو الحب كما عرفته .. وعرفه العشاق فى كل العصور . وعندما أشير إلى أن أم كلثوم كانت يومًا « مرسال » الغرام .. فهذا القول أقصده . وكان لها فضل أن أم كلثوم قد أنابت عنى .. وعن حبيبتى فى القول الذى كنا نريده ولانعرف .. أو نعرف ولايريد أحد منا أن يتقدم خطوة . وفى ذات ليلة من ليالى فراق الحبيبة .. استمعت إلى « جرس » التليفون . وإذا بالمتحدث .. أم كلثوم .. وكانت تغنى أغنيتها « أنا فى انتظارك » وظللت مع التليفون وهى تغنى فى الراديو .. حتى قالت : أنا عايزة أعرف لتكون غضبان . أو شاغل قلبك إنسان !

وهنا وجدت نفسى أقول بعفوية : أبدًا والله . وكنت كمن يتخيل أن أم كلثوم تحدثنى شخصيًا .. أو تغنى لى وحدى . وعرفت أن محبوبتى هى التى طلبتنى ولم تتحدث . وأنابت عنها أم كلثوم فى حديث الغناء وأذكر أن علاقتى مع من أحببت عادت بفضل هذا « المرسال » والذى هو فوق المادة .. والذى كان أم كلثوم » .

وأعود مرة أخرى إلى الحديث عن دور أم كلثوم فى حياتى . وأقصد هنا الحياة العملية ، كما قلت فى بداية الحديث .

وأنا فيما رويت عن دورها فى حياتى العاطفية ، كنت أشبه بعازف التقاسيم المنفردة مع الأنغام . أما فيما سأروى عن دور أم كلثوم فى حياتى العملية سأكون مثل العازف مع الأيام ، فأنا لم أكن أعرف أن أم كلثوم ستختار لى طريق فى الحياة ، ولكن هذا ماحدث .

وإذا كانت الثورات أو الحروب لاتقوم ، إلا إذا كان العصر الذى تقوم فيه مستعدًا لذلك ، وأن التغيير فى حياة أى مجتمع لايكون إلا إذا كان هذا المجتمع قد

تهيأ لذلك التغيير . كذلك الإنسان . لايغير مساره إلا إذا كان مستعدًا للتغيير . ولديه صلاحياته . والإنسان يكون فقط فى انتظار ذلك الشىء المجهول والغامض الذى يسبب له هذا التغيير .

وأم كلثوم كانت بالنسبة لى هذا الشىء المجهول الذى أحدث ذلك التغيير .. والذى غير مسارى إلا قليلا . وفى هذه اللحظة أعود إلى ذكريات عمرها ٢٢ عامًا . بالتحديد كان ذلك فى شهر فبراير عام ١٩٦٠ . ولم يمض على دخولى أخبار اليوم للعمل فى الصحافة سوى ساعات . وتقرر أن أعمل مع أنيس منصور فى مجلة « الجيل » ولما سألت أنيس عن عملى . رد قائلا : أنت لاتسألنى . أنا الذى أسالك ماذا ستكتب لنا ؟ وماهى الموضوعات التى تقترحها ؟ وبعد مناقشتها نوافق عليها أو نرفضها . ولم يكن فى ذهنى شىء . وتصورت أن رئيس التحرير هو الذى سيكلفنى بالموضوع وسأقوم أنا بتنفيذه . وانصرفت من مكتب أنيس ولاأعرف ماذا أكتب . وماذا أقترح ؟ وكل ماأعرفه عن نفسى مجرد تصور . وهو أننى أصلح للكتابة الصحفية .

ولكن بعد ذلك اللقاء انهار ذلك التصور . لأننى فشلت فى البحث عن الموضوع . وقررت العودة إلى قريتى ولاداعى للعمل فى الصحافة التى تصورت أننى أعشقها أو أننى أصلح للكتابة فيها . كما قررت البقاء ليلة واحدة فى المدينة أنهى فيها كل ارتباطات سابقة لمقابلات مع بعض الأصدقاء .. وفى الصباح أعود إلى البلدة لبعض الوقت . وبعدها أعود للقاهرة للدراسة فى الجامعة .

واستولت الحيرة على كل فكرى بعد انهيار آمالى . وفى الليل وجدتنى أذهب إلى مقهى فى شارع عرابى بالتوفيقية . يذيع تسجيلات أغنيات أم كلثوم فى الحفلات . وهذا المقهى كنا قد سمعنا عنه من الذين سبقونا فى الذهاب إلى القاهرة من أبناءقريتى . ووجدت المقهى عبارة عن ثلاثة طوابق .. والطابق الأخير

« للمغرمين » جدًّا بصوت « الست » والغارقين مع ذكريات الحب . والكل يسمع فى هدوء فيما عدا بعض التعبير عن الانفعالات . ووجدتنى أختار الطابق الثالث بعيدًا عن ضوضاء الشارع وزحامه .. « وهوسة » الطلبات من فهمى جرسون المقهى الأول .. واللامع .. والطويل .. والفاهم لأمزجة الناس من رواد المقهى .. وكذلك بعيدًا عن الطابق الثانى المملوء بهواة السمع مع « النرجيلة » .. والتهوية على النار . ولكن الدور الثالث « للمجاريح » وأهل الصبابة والوجد والهيام فى الحب .

وكنت فى ذلك الحين أعيش حبًّا عنيفًا فى مطالع صبايا بالقرية ، حب فى مرحلة الدراسة الثانوية ومازلت أحمله معى فى المدينة .. لأننى لم أجد مايعوضنى عنه فى القاهرة .. ووجدتنى أستشعر حب القرية . وحنانها . وأشواقها وحرارة العواطف فيها . ومنيت نفسى فى هذه السهرة بأمنيات الاستماع إلى أغنيات أم كلثوم الشهيرة مثل « جددت حبك ليه بعد الفؤاد ماارتاح ، وسهران لوحدى ، أو أهل الهوى ياليل ، أو الآهات ، أو حبيب قلبى وافانى فى ميعاده . وهلت ليالى القمر .

لكن فهمى الجرسون والحاكم بأمر العشاق قد أدار تسجيلا لأغنية ياظالمنى . وهذه الأغنية لم أستجب لها كثيرًا برغم جمالها . لأننى لم أكن ظالمًا فى الحب .. ولكن الدنيا هى التى ظلمتنا نحن الاثنين . فالحبيبة على وشك الزواج .. ويطلبها الناس .. وهى تحبنى .. ولم أتقدم خطوة واحدة .. لأننى لم أعمل بعد .. كذلك لم أنته من دراستى الجامعية وعندما تخرجت فى الجامعة كانت قد تزوجت . وهذا قدر العشاق عندما يكون العاشق قادرًا على الحب .. يكون غير قادر ماديًّا ليؤهل لزواج بمن أحب ! !

وأسلمت أذنى إلى أم كلثوم .. وكانت كلما قالت « ياظالمنى » أرى الجالس

بجوارى يصرخ بالبكاء . . ويضرب رأسه فى الحائط . . « وينهنه » ويشد شعر رأسه . . ويقول : أنا ظالم ياست . . ظلمتها والله ياست . ظلمتك ياحبيبتى ! وأصبح الأمر يثير التأمل . . ووجدت نفسى فى الاستراحة أسأله : لماذا كل هذا ؟ . . فأنا مثلك فى الغرام . . وتسيل دموعى فى صمت . . ولاأفعل مثلما تفعل ؟ ! . . وكنت أريد أن أفتح له صدرى ليطمئن ويفتح لى صدره .

فقال لى : أنا اسمى إسماعيل . . فقاطعته قائلا : وأنا أيضًا . . وقال : أنا طالب فى كلية الآداب جامعة عين شمس . . ووقعت فى هوى طالبة . . وأحبتنى ، وأخلصت لى . . ولم يرض أهلها عن هذا الحب بسبب الاختلاف فى الدين . فقررت أن تهرب معى ونتزوج ، وقالت إنها مستعدة لعمل أى شىء من أجلى . ولكن أهلى أيضًا رفضوا أن أتزوج منها . . وأن يساعدونى ، ولم أرض بالعمل وأنا طالب من أجل هذا الحب . فهى كانت أكرم منى . ولم تستطع احتمال عذاب أهلها من أجل حبها لى ، فاختفت . . وأخيرًا وصلتنى رسالة منها من مكان مجهول تقول فيها إنها قررت الانسحاب تمامًا من الحياة وتفرغت للعبادة والخدمة العامة فى أحد الأديرة البعيدة عن الناس والعذاب والحب ! ولذلك فأنا كلما استمعت إلى أم كلثوم تقول : ياظالمنى . . أشعر أن صوت حبيبتى يأتينى من خلف أسوار الدير . . ويصرخ صوتها فى أعماق بلهيب العذاب ، وكأنها هى التى تقول : أنت ظالمنى !

وانتهت ليلتنا . . ورحت أفكر فيما أكتب للغد من جديد . . وماذا أقول لأنيس منصور رئيس التحرير ؟

لمع فى ذهنى ذلك الخاطر . . لماذا لاأقترح على رئيس التحرير هذا الموضوع . . وهو : لماذا نبكى عند سماع أم كلثوم ؟؟ . وشرحت فكرتى لرئيس التحرير ووافق عليها وكتبت هذه القصة . . وفيها أن العشاق يرون أنفسهم فى كلمات أغنيات أم كلثوم . . وتتفاوت استجابة العشاق للكلمات حتى تصل إلى البكاء والهذيان عند

« المجاريح » والحيارى كما فى قصة صاحبنا إسماعيل .

وكان أول تعليق من أنيس منصور على هذا الموضوع هو : أننى أصلح للكتابة الأدبية ، وأن أسلوبى فى الأدب مثل الذى يمشى على أرض وهو يثق من السير عليها ، وقال أيضًا : لذلك أنا اخترتك كى تعاوننى فى تحرير باب الأدب الذى يصدر فى « الأخبار » بالصفحة الأخيرة كل يوم « جمعة » .

وبدأ أنيس يقدمنى للناس فى المحافل الأدبية ، ويعرفنى بأهل الفن والشعر . وفى الأيام التالية قدمت له مجموعة من الأخبار الأدبية بعد ذهابى إلى الندوات ومقابلة أهل الفكر والأدب فى مجلس الفنون والآداب ، وكان عدد الأخبار التى قدمتها ٣٤ خبرًا فى أسبوع .. ويومها فرح أنيس ، ووجه لى الدعوة للعشاء معه فى فندق هيلتون الذى دخلته لأول مرة .. وقال لى : إنت هايل .. وتستحق التكريم .. فباب الأدب يحتاج إلى أقل من نصف هذا العدد من الأخبار .. وأنا فى حيرة .. أى الأخبار تصلح للتأجيل ؟ .. وكلها صالحة للنشر ولابد من مواصلة هذا النشاط ! وكانت هذه الليلة أسعد ليالى حياتى وأول ثناء أتلقاه .. وخصوصًا من أنيس بكل مايمثله . . فضلا عن أنه رئيس التحرير والذى اصطفانى لأكون من أصدقائه لامجرد محرر تحت التمرين يعمل معه !

وكنت مأخوذًا بروعة المكان وبما قال لى .. وقطع أنيس تأملى فى المكان والناس بهذا السؤال : إيه رأيك فى هيلتون ؟ فقلت : أحسن من السد العالى ! .. طبعًا أنا لم أر السد العالى وكان ردى يعنى بالضبط ماأتصور ! فإذا به يقول لى ، منفعلا : اسكت « ياقروى » وبلاش كلام خالص ! !

ويومها أدركت بشكل كثيف أننا نعيش عصرًا حزينًا ، وقد احتل فيه الخوف كل قلب .. وماعاد لسان ينطق سوى بزيف ! .. واستمرت مسيرتى مع الأدب . . الكتابة الأدبية برغم تغيير التخصص فى التحرير .. حتى عندما رأست الشئون

لعربية فى جريدة « الأخبار » .. وعشت بعد ذلك مسافرًا لحضور كل المؤتمرات لعربية ، ومؤتمرات القمة الإسلامية والعربية والإفريقية .. والمؤتمرات التى لها صلة بالقضايا العربية فى أوربا وآسيا وأفريقيا ، ومعايشًا للأحداث . ووقع هذه الأحداث فى الوطن العربى الذى أصبحت أعرفه أكثر من معرفتى بمحافظة الشرقية وهى موطنى الأصلى .

وظل الأدب ينادينى .. حتى كان يوم فى شهر نوفمبر عام ١٩٧٤ ، عندما رجعت من أوربا بعد حضورى مؤتمر القمة العربى السابع الذى عقد فى شهر أكتوبر فى مدينة الرباط عاصمة المغرب . ووجدت موسى صبرى رئيس التحرير يقول لى : على أمين رئيس مجلس الإدارة وأنا - أى موسى صبرى - نادينا عليك للإشراف على الملحق الأدبى الذى كان يصدر فى « الأخبار » .. ومكثت فيه حتى تفرعت عنه منذ سنوات قليلة صفحات متخصصة للأدب والسينما والمسرح ، وأصبح لكل صفحة مشرف خاص بها ، ولاتزال الكتابة الأدبية حتى هذه اللحظة تشدنى إليها بعنف لايقاوم .. ومازلت أعطيها بعض نفسى .. لأنها أصبحت جزءًا من تكوينى ومن عذابى الجميل .

وعندما يزورنى السأم أهرب إلى بساتين الأدباء والشعراء وأجلس فى صحبتهم .. مستمعًا وقارئًا لأجمل فنون القول . وأصبحت كل كلمة ملونة حبيبتى .. وتسكن فكرى وقلبى بحب كبير .

كلمات معطرة إلى دوق أدنبرة !

أعتقد أن الفرق واضح بينى وبين الأمير فيليب دوق أدنبرة ، وزوج ملكة إنجلترا ، ولكن علماء الأبراج يقولون عكس ذلك .. فهم يملئون الدنيا كلامًا عن الخصائص المشتركة لمواليد البرج الواحد .. وفى الأسواق ١٢ كتابا بأسماء الأبراج .. وهى من أكثر الكتب فى التوزيع والرواج .

كما أن جميع الصحف والمجلات فى العالم لاتخلو من ذلك الباب المقروء جدًّا ، وهو باب (أنت والنجوم) .. ومن حين إلى آخر تصدر الكثير من الصفحات فى الصحف والمجلات عن دراسات فى عالم الأبراج .. وأشهر الشخصيات المولودة فى كل برج ، وصفاتهم المشتركة .

وكثيرًا ماكنت أقرأ هذه الدراسات بشىء من الشك وكنت أردد فى سرى : أن هذا النوع من العلماء الذين عكفوا على مثل هذه الدراسات ، هم « تجار » .. وتجارتهم قائمة على الضعف البشرى والذى يستغل حب الاستطلاع الفطرى عند الإنسان لمعرفة الغيب وماسوف تجىء به الأيام !

وكانت كل الظواهر من حولى تؤكد خرافة مثل هذا النوع من المعارف . ومنذ أيام انكشف ستر الساتر .. وبطل السحر والساحر ! ! فعندماكنت أستمع إلى راديو

لندن فى انتظار نشرة الأخبار ، وجدتنى أستمع إلى برنامج (على مسرح الحياة) وقالت المذيعة : إن هذه الحلقة عن الأمير فيليب زوج ملكة إنجلترا بمناسبة عيد ميلاده الستين .

وعرفت أننى والأمير فيليب نشترك فى تاريخ ميلاد واحد ، مع الفارق الكبير بيننا فى السن .. والاتفاق الوحيد الذى جاء مصادفة أن تاريخ زواج ابنه الأمير شارلز كان فى نفس اليوم الذى تزوجت فيه أنا منذ خمس سنوات !

وتحدثت المذيعة عن أصل الأمير وحسبه ونسبه وهواياته ووظيفته . . وكيف أنه أحد أحفاد ملوك اليونان لوالده ، وحفيد إحدى ملكات بريطانيا لوالدته .. وأنه كان يعمل ضابطًا فى البحرية الإنجليزية عندما تزوج الأميرة إليزابيث عام ١٩٤٧

وبعد هذه المعلومات جلست أتأمل تلك الخصائص التى تربطنى بالدوق لأننا من مواليد برج الجوزاء ! وأخذت أستعرض الفرق الواضح بينى وبين الأمير . فوجدت أن دوق أدنبرة كان عاشقًا للبحرية منذ طفولته وصباه وشبابه . ووجدتنى كنت أريد منذ طفولتى فى القرية أن أكون (جمالاً) ، وأسير خلف الجمل وأغنى بذلك الموال :

جرح فى ضهر الجمل
تحت (العدة) مدارى
لاالجمل بيقول آه
والجمال مهوش دارى

والأمير كما يقولون يقف وقد وضع يديه خلف ظهره فى المناسبات ، أما أنا فأجلس ويدى على (خدى) من الهم بسبب مشاكل الحياة ! كما أن الأمير يسكن فى قصر باكنجهام الملكى . وأنا أسكن (بيت) (رمضنهام البلدى) ، وذلك نسبة

إلى عائلة أبو رمضان والتى منها زوجتى . كما أن (بوابة) البيت اسمها (أم رمضان) .. أو أسكن قصر (ناموسنجهام) نسبة إلى الناموس الذى تشتهر به منطقة شارع الهرم !

وهم هناك فى لندن لديهم ذلك التقليد العتيد ، وهو تغيير الحرس الملكى يوميًّا ، ونحن هنا لدينا هذا التقليد وهو تغيير البوابين سنويًا أو شهريًا !

والأمير فى وقت فراغه يستمتع بمشاهدة برامج التليفزيون الملون أما أنا فالتليفزيون الذى فى بيتى كان عندما اشتريته منذ سنين أبيض وأسود ، وأصبح الآن (أجرب وأجرب) لطول العهد والقدم .. ولم أدخل بعد - لضيق ذات اليد - عصر التليفزيون الملون ، والذى ينصحنى دائمًا بشرائه صديقى الكاتب الساخر جدًّا أحمد رحب ويصف الفرجة فيه على الحلقات الأجنبية بأنه من متع الحياة عنده .

والأمير يأكل فى الإفطار نوعًا من الكافيار .. وأنا فى الافطار أتناول نوعًا من الخيار ! .. والأمير يأكل فى الغداء لحم الضأن من الخرفان .. وأنا فى الغداء أجد على مائدتى (الشريفة) جميع أصناف الباذنجان . والأمير منذ طفولته يستحم فى حمام ملون ، وأنا منذ طفولتى أستحم (بالكوز) بماء ملون ! ! والأمير بحكم طبيعته صامت عزوف عن الكلام . وأنا بحكم طبيعتى متحدث . ووقعت فى هوى الكلام : والأمير من سلالة الملوك فى بريطانيا واليونان . وأنا من سلالة الفلاحين الذين مات أحدهم جوعًا وعطشًا فى أثناء حفر قناة السويس فى عهد (السخرة) أيام زمان !

إذن فالأمير مؤهل بشكل طبيعى ليكون (دوق أدنبرة) .

وأنا مؤهل بشكل طبيعى لأكون إسماعيل الأول « غفير » القنطرة !

صورتان عن المؤتمر والمهرجان فى بغداد

هنا فى بغداد أسماع الناس موزعة ، ووجدانهم حائر بين مايقوله أدباء الأمة العربية الذين عقدوا مؤتمرهم فى العاصمة العراقية ، وبين ماتتناقله الإذاعات والصحف ووكالات الأنباء عن الاشتباكات بين القوات اللبنانية والفلسطينية مع إسرائيل .. ويزيد من الحيرة ماحدث أخيرًا عندما أعلنت إيران انتهاء العمل باتفاقية عام ١٩٣٧ والخاصة بقناة شط العرب الذى يصب فيه كل من نهرى دجلة والفرات .

وأنا لاأريد هنا أن أبتعد عن أجواء الأدب والشعر ، ولكن فقط أريد الإشارة إلى ماحدث فى أجواء المؤتمر قبل وفى أثناء انعقاده .. ولاتزال هذه المشاكل السياسية والقومية تطوف فى أجواء الأمة العربية شاغلة آذانها ومعكرة لوجدانها .

ولذلك كان من الطبيعى أن يعقد المؤتمر والمهرجان تحت شعار « كل شىء من أجل المعركة » ليكون الأدب انعكاسًا طبيعيًا لظروف وتطلعات وآمال الناس ، وعلى هذا الأساس فإن مؤتمر الأدباء ومهرجان الشعراء ينعقدان فى جو خاص لايرى فيها إلا صورتان : الصورة الأولى دامية ممزقة تحكى آلام المطرودين من أرضهم ووقوع أجزاء من الأرض العربية تحت الاحتلال ، والصورة الثانية بها

شعاع ضوء ومضة أمل ورجاء فى التحرير والخلاص وإشراقة فجر عظيم من خلال طلقات البارود من فوهات البنادق .

لذلك كان من الطبيعى أيضًا أن تختفى البسمة من على كل الشفاه ، ويلمع الوميض فى كل العيون ، وأن توضع الجدائل الذهبية والأرض المخملية ، والبحيرات التى صنعها الشعراء ، والقمر الأخضر الذى يستريح فى عيون الحبيبة فى ركن من كل قلب أديب أو شاعر شارك فى المؤتمر وليالى المهرجان فى بغداد .

فالمعركة .. أعادت صياغة الوجدان عند الأديب العربى والشاعر العربى ليكونا أقدر على الصراع .. والتغلب فى النهاية على الواقع المعاصر وهدمه .. وإعادة البناء من جديد أكثر تماسكًا .. وأكثر مقاومة .. وأكثر جمالا .

على أنه حتى إذا غابت البسمات من على الشفاه عند الأديب والشاعر .. فلم يغب عنه الإنسان .. وإذ لاحت بعض الكلمات التى تتحدث عن الحب .. والذكريات .. ودار المحبوب مثلما جاء فى قصيدة شاعر سوريا سليمان العيسى التى قال فيها :

خذى شفتى يادار وليركع الحب
يسلم عند الباب بالدمعة الهدب
لقلتك سبعا ماارتويت ولااستوى
على العتبات السمر ثغر ولالب

وهكذا يقترن الحب والذكريات بالحرب والقتال وانتصار الكذب . ولكن هذا لن يدوم وهذه طبيعة الأشياء وقانون الحياة .

غير أن الشاعر العربى والأديب العربى لم يعودا يطلان على الحياة من خلال ماشة لاتسمح بإشراقة أمل من بين نسيجها الأسود ولكنهما فى الواقع يطلان على نيانا من نافذتين :

الأولى : يطل منها شعاع الأمل فى العمل الفدائى الشجاع الذى يرفض الهزيمة ويعيد الثقة إلى النفوس الصابرة ويجسد آمالها فى التحرير والعودة .. فنجد أن شاعر العراق الكبير السيد مصطفى جمال الدين الذى بهر الناس بشعره وبأدائه الرائع وبزيه الخاص يقول :

لاسلم حتى نرى الأردن ترفده
من الدم الغادر المغرور أنهار
ورمل سيناء يحكى أن من صرعوا
منا بالأمس فى أرماسهم ثاروا
يستقبلون خطى الباغين مدبرة
ويطفئون لظاها وهى أوغار

وعن الزهور البيضاء التى لاحت فى الخريف وعن الفداء الذى أطل علينا شمسه قال الشاعر نزار قبانى فى شعره فى الليلة الأولى من ليالى المهرجان فى بغداد .

والنافذة الثانية التى يطل منها الأديب العربى والشاعر العربى هى الجيل الجديد من الشباب الذى مازال صغيرًا فى السن ولكن تلمح المستقبل فى عيونه .

وقد حاول الأدباء والشعراء إعادة تشكيل الأدب وهو جزء من إعادة تشكيل الحياة بعد الهزيمة التى زلزلت قلب هذا الجيل فحاولوا التعبير من جديد مستهدفين الكشف عن حقيقة مايدور فى الصدور .. ولو نجحوا . فسيكونون قد أوفوا بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم وهو المشاركة فى إعادة صنع الحياة العربية على الأرض العربية . وفى الحقيقة أننا على أبواب ميلاد ثقافى جديد يتحدى فيه أبناء هذا الجيل قيما وأفكارًا سادت ولابد من تغييرها ولايمكن لأحد التنبؤ بما سيكون بالتحديد ولكن بالتأكيد .. لن يغيب عنا القمر .. ولن يجف فى حقولنا الربيع .

أغنية سادسة للألم !

هنا فى العراق .. ربة الشعر فى حداد .. عفوًا أنا لاأقصد ربة الشعر التى تلهم الفنان أحلى الكلمات وأقساها .. وتضىء وجدانه بتلك الشعلة المقدسة التى تنير أمامه الطريق . وتجعله يكتشف أبعادًا جديدة للحياة .. والإنسان ، وتمده دائمًا بالكلمة التى تتسم بالعذوبة . . والألق .. والوهج .. وتجعله قادرًا على التعبير بوجدان صادق عن التجربة البشرية .

ولكن فقط أريد بكلمة ربة الشعر فى العراق الشاعرة الكبيرة **نازك الملائكة** .. والتى تعتبر بحق من طليعة الرواد فى الشعر الحديث .. وكانت أول من كتبه .. وبالتحديد فى قصيدتها التى نشرتها عام ١٩٤٧ بعنوان « كوليرا » والتى عبرت فيها قلبها وبوجدانها حدود العراق لتلتقى مع مشاعر أخوة لها فى مصر فى ذلك العام فى ثناء وباء الكوليرا ، والشاعرة نازك الملائكة تلبس السواد فى هذه الأيام حدادًا على فاة والدها الذى مات منذ أيام ، والحزن شىء فى طبع الإنسان ، وفراق الأحبة ر يتطلب الأسى .. والبكاء .. ووفاة الوالد فجيعة للأبناء .. ولكن حزن نازك على بها هو فوق ذلك حزن من نوع خاص .. فأبوها هو الذى أوحى لها منذ طفولتها ن مصيرها فى الشعر .. والعلم .. والإصلاح .. وأمدها بالكتب وغمرها بها ..

ولقبها بالشاعرة قبل أن تعرف معنى الشعر .. لذلك كانت النشأة من ذلك النوع الذى يختلف عن نشأة أى امرأة شرقية تعرف أول ماتعرف أن المرأة من اختصاصه فقط الزواج . والبيت والولادة وتربية الأطفال . وأن لها شئونا تبعدها بالضرورة عن الفكر .

وتعترض نازك الملائكة على ذلك وتقول : إن المرأة عندى بتكوينها ألصق بالتفكير الفلسفى . والتعليل الفكرى . وأقدر عليه . فالولادة التى يعتبرها الناس لاتمثل سوى عملية طبيعية تقوم بها المرأة .. هذه الولادة عملية عميقة فى أبعادها النفسية والروحية ، ووثيقة الصلة بالفكر بدرجة لايستطيع الرجل أن يدركها . أما عن سبب انصراف المرأة العربية عن الفكر فيرجع إلى سوء تربية المجتمع لها .. لأنه أوحى لها منذ الصغر بأن الفكر يتعارض ووظيفتها فى الحياة . مع ذلك فنظرتى لفكر المرأة نظرة تعاطف وليست نظرة إعجاب . فالمرأة بعيدة عن الفكر الذى أبحث عنه فى الشعر وفى النثر ، وأشد مايصدمنى فى المرأة وماتكتبه ، أنها مازالت تعتبر نفسها أداة تسلية للرجل ، وأنا ألمس ذلك حتى عند مثقفاتنا ، وأديباتنا . وذلك مايدمى قلبى . فالأديبة العربية لم تعرف بعد أن الفكر والذكاء من عوامل الجاذبية الأنثوية التى لها سحرها عند الرجل مثل الجمال . وهذا الكلام ينطبق على الشاعرات أيضًا .. فالشعر عند الكثيرات منهن حصيلة ثقافة ضحلة . وقليل من المحفوظات الجيدة ، وعاطفة بدائية لذلك نجد الشعر عند المرأة ضيق الأفق .. ولاينبت أرض العلم . والثقافة الواسعة بذورها .

ومؤلفات نازك فى النثر لاتقل أهمية عن أشعارها ، ومن هذه المؤلفات كتابها عن الشاعر المصرى على محمود طه .. الذى يعتبر من أمتع الدراسات الشعرية .

وقد اختارت نازك الملائكة : الشاعر على محمود طه لأسباب عديدة منها : وجدت النظرة الشائعة عنه بين الأدباء أنه شاعر حسى فأرادت أن تثبت فى كتابها

بنصوص كثيرة من شعره أنه إنسان روحانى الاتجاه . يعشق المثل العليا . ويبحث عن المعانى السامية . ويتجه إلى الله .

– هل تأثرت بعلى محمود طه ؟ ..

سؤال وجهته إلى محدثتى :

قد تتلمذت فى أول عهدى بالشعر على الشعراء : الزركلى ومحمود غنيم وأحمد شوقى ، وعلى الجارم ، ثم تتلمذت بعد ذلك على الشعراء : محمود حسن إسماعيل ، وعلى محمود طه ، وبدوى الجبل ، وأمجد الطرابلسى ، وبشارة الخورى ، وعمر أبى ريشة . ثم تلتها فترة قرأت فيها الشعر الإنجليزى والشعر الفرنسى وأحببتهما .

وفى نهاية اللقاء مددت يدى مصافحًا . . مودعًا الشاعرة راجيًا أن تودع هى الأخرى أحزانها . . وآلامها . . متمنيًا أن يكون وفاة والدها هى أغنيتها السادسة للألم فقط . . ظننت أنها ودعت آلامها عندما غنت للألم فى قصائدها خمس أغان للألم والتى تقول فيها :

ماعاد يلق الحزن فى بسماتنا
أو يخبئ الغصص المريرة خلف أغنياتنا .
ثم استلمنا وردة حمراء دافئة العبير
أحبابنا بعثوا بها عبر السماء
ماذا توقعناه فيها ؟ غبطة ورضا قرير
لكنها انغضت وسالت أدمعا عطشى حرار
سقطت أصابعنا الحزينات النغم
إنى أحبك ياألم .

فى العراق فنون لها الصدارة
وفنون غائبة .. لماذا ؟

عظيم ذلك الشعور بأن القاهرة هى حاضرة الثقافة الأصيلة فى الوطن العربى . ولكن يجب أيضًا ألا نشعر بأن الثقافة العربية المعاصرة بكل فروعها الحضارية ليست هنا فقط .. وأن ما يجرى فى العواصم العربية الأخرى مادام يحدث بعيدًا عنا هو نوع من الأشجار التى ليس لها ظلال !

حقيقة أن القاهرة عاصمة الحضارة العربية والإسلامية ، وحقيقة أخرى أن مايجرى من تفاعلات حضارية فى الوطن العربى هو بتأثير الفكر العربى الأصيل القادم من القاهرة . ولا أحد فى الوطن العربى ينكر ذلك .

وحقيقة أخرى أن العواصم العربية عندما أرادت الاشتغال بالمعانى بجانب الاشتغال بالبناء كانت تمد أيديها بالحب طلبًا للعلماء والمفكرين من مصر . . تمامًا مثلما فعلت فى نهضتها الاقتصادية ، وتنميتها الاجتماعية .

ولكن ذلك لايمنع من وجود فكر أصيل وثقافة واعدة ، وفنون صاعدة فى العواصم العربية الأخرى ، شىء رائع ذلك الشعور بفضل الريادة ، ولكن هذ الشعور يجب ألا ينسينا أو يحجب أبصارنا للطالع الجديد فى ساحة الثقافة العربية

فهنا فى حاضرة الرشيد الشهيرة ببغداد ، أرى الحياة الثقافية عامرة فى كل

اتجاه ، وهى جزء لايتجزأ من الحياة الثقافية فى الوطن العربى بكل مايصيبها من قوة وضعف ، وهذا قانون سائد فى الأدب العربى عامة . ونستطيع ملاحظة أن أبرز ظواهر الفن العراقى هى : الشعر ، والقصة القصيرة ، والرقص الشعبى ، والفن التشكيلى ، مع غياب فن المقالة والنقد الأدبى ، والمسرح ، ووجود ضعيف لفن الرواية ، وإن كانت روايات الأديب العراقى غائب طعمة التى نشرت خلال السنوات العشر الماضية تشكل علامة مضيئة فى مسيرة الرواية فى العراق .

وكذلك النهضة المسرحية هنا أثرها قليل لافتقارها إلى النصوص المسرحية العربية الجيدة . وإن كانت هذه المشكلة يعانى منها جميع المسارح فى الوطن العربى وذلك يرجع إلى عدم اكتمال دورة النضج الحضارى .

والمسرح الشعرى هنا يكاد يكون غائبًا تمامًا لأنه فى نظر البعض خارج دائرة الاهتمام الجماهيرى . ويرى الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى أن المسرح الشعرى سيولد إن كانت هناك ضرورة تاريخية إلى ظهوره . والشىء اللافت للنظر هنا .. ظاهرة الفن التشكيلى التى يمكن أن نسميها نهضة فنية كبيرة . وسبب ذلك يرجع كما يقول الفنان المصرى المعروف الدكتور صالح رضا والذى يعمل أستاذًا بأكاديمية الفنون فى بغداد .. إلى اهتمام الدولة بالتنظيمات الفنية وإنشاء نقابة للفنانين ، ومظاهر هذه النهضة الغالبة هى كثرة المعارض والتماثيل فى الميادين العامة ، واللوحات الجدارية على المبانى ، واهتمام وزارة الإعلام بإقامة المعارض والدعاية لها . سواء كان داخل العراق أم خارجه ، فضلا عن النشاط الواسع الذى تقوم به كاديمية الفنون من خلال المعارض الكثيرة التى تقيمها ، وأعلام هذا الفن فى لعراق هم : حافظ الدروبى ، وإسماعيل الشيخلى وخافق حسن . ومن الشباب نمد غنيمى النحات . ولعل جمهور القاهرة قد صفق إعجابًا بفرقة الفنون الشعبية

لعراقية التى زارت مصر . واستمتع بالرقصات الشعبية وبذلك الأداء الرائع للرقص والغناء .

والناس هنا يقبلون على هذه الفرقة مثلما نقبل على الفرقة القومية وفرقة رضا . وتأثير هذه الفرقة التى زارتنا واضح هناك وذلك يرجع إلى الاهتمام الكبير بهاوجودة الاختيار للراقصين والراقصات لياقة وجمالا . كما أن لوجود قوميات متعددة فى العراق وهذا هو قدره التاريخى ، واهتمام الفرقة بتقديم رقصات شعبية . وأغنيات فلكلورية تعبر عن كل قومية على حدة ، جعل اهتمام الناس بها كبيرًا ، كذلك حرص الدولة على إحياء فنونها وتراثها الحضارى جعلها تنفق على هذا الفن الكثير جدًا .

وللقصة القصيرة فى العراق رافد يطول وينسع كلما تدفقت المياه فيه وهو يصب فى النهر الكبير للحياة الثقافية هنا فى بلاد الرافدين . وأبرز كتاب القصة القصيرة هو محمد خضير . ويرى العراقيون فيه أملا وقابلا للتصدير .. وقد صدروه فعلا على مستوى الوطن العربى بالرغم من صغر سنه .

أما الشعر .. فهو ديوان العرب .. وميراثهم التاريخى الذى وقعوا فى هواه منا زمان بعيد . وهو يجرى على ألسنة الناس مثلما تجرى مياه دجلة والفرات على أرض لعراق .. وسلام على العراق ! !

عندما وقع العرب فى هوى الكلام الجميل

الأمة العربية وقعت فى هوى الكلام منذ زمان بعيد .. وميراثها التاريخى هو الشعر . . والشعر كان لسان العرب .. وأحسن ماتجود به القرائح عندهم . . ومن هنا كانت الحكمة فى الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم الذى وقف أمامه العرب مبهورين .. وحكمة ذلك أن كلمات الله أنزلت على أمة من المتكلمين لعلهم يؤمنون .

وكانت لغة الشعر تجرى بشكل طبيعى على ألسنة الناس فى حياتهم اليومية ، وأصبح الشعر هو فن العرب .. وتاريخهم ، ولم تسبقهم فى ذلك أمم أخرى . ومثلما كان الناس فى البادية يتبارون فى المبارزة بالسيف .. كانوا يتبارون أيضًا فى الكلام شعرًا ، وكان الشاعر إذا بدأ الشطر الأول من البيت فى القصيدة يجد من يكمل له الشطر الثانى .

ويروى أن أعرابيا عقد العزم على السفر فى رحلة بعيدة تستغرق السنوات الطوال . وقال لزوجته وهو يشد راحلته استعدادًا للرحيل :

عـدى السـنين لـغـيـبتى وتصبرى
ودعى الشـهـور فـإنهن قصـار !

فردت عليه زوجته بهذا البيت من الشعر :

اذكـر صـبـابتـنـا إليك وشوقـنـا
وارحـم بـنـاتك إنهن صـغـار !

وإذا بالأعرابى ينزل عن راحلته متأثرًا بما قالته زوجته . وألغى رحلته .

ومرت على الشعر العربى عصور عرف فيها القوة كما عرف فيها الضعف ، وأصبح فريسة ذلك الوجدان السقيم الذى خلفته عصور الانحطاط ، ولكن كان فى نهاية كل عصر يجد الشعر من يجدد له ديباجته ومن يعيد له قوته من فحول الشعراء الذين عرفهم تاريخ الشعر العربى . حتى جاء عصرنا الحديث بإيقاعه السريع ، وكان من الطبيعى أن يعبر الشعر فى موضوعاته عن هذا الإيقاع بلغة العصر .

وبرغم ضغوط العصر ومشاكله ، وتعدد الاهتمامات فيه ، ودخول الإنسان عصر العلم فإن الشعر العربى ظل فى وجدان الإنسان العربى . وتتسع مساحة هذا الوجدان للشعر خصوصًا فى العراق والشام . ويندر أن تجد أسرة فى العراق لاتجد بين أفرادها من لايقول الشعر أو يحفظه أو يتذوقه وهذا أضعف الإيمان .

وقد لاحظت فى العراق فى أثناء حضورى مهرجان الشعر الذى عقد فى قاعة الخلد ببغداد ، وكذلك فى البصرة أن الشاعر عندما يلقى قصيدة ويقول مطلع البيت الأول فى قصيدته أن يكمل السامعون قافية البيت ويضعوا الكلمة الأخيرة .. وتجىء صحيحة . . وهذه مهارة بلاشك اكتسبوها خلال الميراث التاريخى لقول الشعر وسماعه والاحتفاء به .

ولأن الشعر هو ديوان العرب ، وهو أقدم فنونهم وأحدثها فى تاريخ العرب القديم والحديث ، فهو أيضًا أقرب إلى النفس وأكثر عمقًا وشفافية ، كما أن الشعر يحدث العقل والقلب والإحساس والوعى مباشرة ، أى هو أم الفنون جميعها .

والشعر أقرب إلى طبيعة الشخصية العراقية التى تميل إلى العنف أو الرقة أو إلى الثورة والسكون أو إلى جدلية النفس والحياة .

ويمتاز الشعر العراق بمميزات قد لاتختلف عن مميزات الشعر العربى عامة ، ولكنها قد تضيف إليها خصائص محلية منها : الثورية النابعة من طبيعة الصراع فى داخل المجتمع العراق مع نفسه أو مع قوى الطبيعة الأخرى ، ويتميز شعر هذه الفترة بالذات عن غيرها من الفترات بكثرة الشعراء الشبان الواعدين بالرغم من أن أحدًا منهم لم يتميز حتى الآن بشكل متكامل . وهذه ظاهرة صحية فى رأى الشاعر العراق عبد الوهاب البياتى ، لأنه يعتقد أن كثرة الشعراء حتى لو كان أغلبهم غير مجيد ، يعنى أن هناك حركة تنظيمية جدلية مستمرة ، ومعنى ذلك أن أرض الشعر تعانى ألم مخاض وولادة جديدة ، قد لاتكون ولادة عاجلة سريعة ، بل قد تعنى أن هناك اختمارًا طويلا يتم فى باطن الأرض لكى تتم عملية الولادة الحقيقية .

والشعر العراق يمتاز بتعدد مدارسه المختلفة ، من المدرسة الكلاسيكية وعلى رأسها شاعر العراق الكبير محمد الجواهرى الملقب بأبى الفرات ، إلى المدرسة الرومانسية وعلمها فى العراق الشاعر الراحل بدر شاكر السياب ، إلى المدرسة الحديثة ورائداها عبد الوهاب البياتى ، والشاعرة نازك الملائكة .

ونلاحظ أن نزعة التجديد فى الشعر ظاهرة ضمن هذه الاتجاهات والتجديد هنا مرتبط بفكرة الثورة سواء بمعناها السياسىّ أو بمعناها الحضارىّ ، وربما كانت الأفكار الثورية سببًا فى ضعف مستوى لغة الشعر أو مفرداته ، ولكن ذلك لايجعل الشعر يسير فى طرق مسدودة مثل بعض اتجاهات قليلة من مختلف المدارس قد أفلس وجدانها مما أثر فى إنتاجها من الشعر . وسيبقى الشعر دائمًا محلقًا فى أجوائه التاريخية .. مزدهرًا كلما كانت الضرورة إليه شديدة .. وأنا أرى أن نجم الشعر سيظل ساطعًا لأن الشعر قد حفر فى الوجدان العربى وشمًا أخضر ! !

سؤال عن الموعد

حزين أنا لموقعى الجديد من أصدقائى ! ! كنت فيما مضى أجلس بين أصدقائى . وأسير معهم بجوارهم متحدثًا أو مستمعًا منهم . واليوم وجدتنى أسير وراءهم .

الموت غير موقعى .. وأخرس لسانى . وأبحث عن لغة أتحدث بها مع السائرين .. ولم أجد سوى الدمع الذى أصبح كلام كل العيون . بالأمس كان الأصدقاء يملئون الدنيا ويقبلون على الحياة . واليوم أرانى .. ولاأراهم .. وإذا رأيتهم وجدتهم سطورًا فى الصحف تعلن الرحيل المفاجئ .. وأهرع إليهم .. مثلما كنت أهرع لألتقى بهم . ولكننى فى هذه المرات لاأجالسهم ولاأسير بجوارهم .. فقط أسير وراءهم فى موكب الموت . وأصبحت ألعن موقعى الجديد خلف الأصدقاء ! وسئم لسانى الصمت .. فلم أعد أناديهم .. كيف أنادى سامى جوهر لصحنى الذى سقط والقلم فى يده .

ومحمود عبد العزيز مدير تحرير الأهرام الذى لقى مصرعه فى الطريق . وقبلها كنا معا فى بلجيكا وسويسرا . وكان هو فى حديث طويل عن المستقبل وهو عائد من رحلة عمل بالإسكندرية .

وزين الدين شكرى الذى ذهب إلى لندن ليزور زوجته التى كانت تعالج هناك فجاءت مع نعشه والأحزان .

وعبد السلام شهاب الشاعر الساخر فى صمت . والذى سقط فى صمت والدكتور ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ بكلية دار العلوم الذى فاجأه الموت وهو يكتب بالليل وقبلها بساعات كان يزورنا فى الأخبار .

والدكتور عبد الحكيم بلبع أستاذ الأدب بكلية دار العلوم . وهو العالم الجليل المشهود باقتداره فى علمه . والذى عرفته الجامعة محاضرًا فذًا .. وباسمًا عذب الحديث .

والشاعر محمود حسن إسماعيل الذى ملأ الدنيا غناء وسهرًا ، والذى كان يكره الموت ، ولم يره أحد سائرًا فى جنازة أو زائرًا للمقابر ، وكان يقول : إن لى عمر نوح .. وماالمانع فى ذلك ؟ ! وكنا نوافقه وكنا نتمنى ذلك أيضًا .

والشاعر صالح جودت الذى ملأ الأسماع شعرًا ونثرًا نبيلا ، وكان وديعًا فى علاقته مع الأصدقاء ووفيًا لهم والمجاهد فى ساحة الدبلوماسية .

والشاعر محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان صاحب الدور البارز فى دعم التضامن العربى بعد هزيمة يونيو .

والشاعر عبد الله شمس الدين الذى رددت الأمة العربية نشيده (الله أكبر) .

وعباس الأسوانى المحامى والأديب والراوية المجيد وأعظم المتحدثين الظرفاء الذين لاتمل كلامهم .. ولو تحدثوا دهرًا ! !

وزكريا الحجاوى عضو جمعية الكلام الذى كان يرأسها عباس الأسوانى ، الذى جعل من الأدب الشعبى وسير الأبطال وعاء لحفظ تاريخ مصر الوطنى .

والمهندس يوسف عز الدين وكيل وزارة النقل ، وهو سياسى ومفكر حر ، مات بعد أن جاءته البشارة بنجاح كريمته الكبرى منار فى الثانوية العامة بمجموع

٩٦٪ ، وكانت فرحته أكثر من الترقية التى نالها قبل أن يموت بأيام حيث عين رئيسًا بمجلس إدارة هيئة الطرق البرية بدرجة نائب وزير - ولم يجلس فى مقعده الجديد أيامًا .. ومات فى حادث سيارة .

وقائمة أصدقائى الذين رحلوا طويلة . وكل يوم أقف على قبر جديد مودع صديق سهر معه ليلة و هو خبره فى الصباح الجديد . ولذلك أرانى فى هذه الأيام أعيش لحظات الانتظار وأسأل طائر الموت عن الموعد ؟

رجل رفض أن يتحدث بعد الموت

هذا الرجل أناديه دائمًا .. ولاأجده .. آه لو أن هذا الرجل صمت فى حياته قليلا .. لظل يتحدث معنا مدى الحياة . فالمفكرون العباقرة .. لايزالون يتحدثون معنا من خلال ماتركوه لنا .. وللأجيال . وكان صاحبى عبقريًا من نوع خاص .

فالراحل المحبوب كامل الشناوى وقع فى هوى الليل .. والكلام .. والحب .. والأصدقاء .. والسمر .. والشعر .. والصحافة .. والأدب ، ولم يقع فى هوى الكتابة فى الكتب ، وماقاله كامل الشناوى للأصدقاء فى الليل .. أمتع وأحلى آلاف المرات مما كتبه .

هذا الرجل جنى عليه حب الأصدقاء له . وحبه لأصدقائه . فكانوا جميعًا يستدعونه بالذهاب إليه ، وكان دائمًا يناديهم للجلوس معه .. وقال ماقال .. وأضحك .. وأبكى ! وظل يتحدث .. وأصبح تاريخه كله فى حديث مع الأصدقاء .. وتراثه كله فى سهر الليالى حتى الصباح .

وكنا جميعًا نحن الأصدقاء والمريدين نسأله : لماذا لم تقل ماتقول فى الكتب

يظل حاضرًا للأجيال .. وكان يقول لنا : يظل الإنسان عاقلا .. حتى يصدر له كتاب ؟

وأصبحت حياته هى كتابه الوحيد .. ومات .. وخلت ساحة العشق من فارس نبيل .. وخلت ساحة الظرفاء من أعظم متحدث . وكان آخر حلقة فى سلسلة الظرفاء الذين عرفهم تاريخ الأدب العربى . وأصبحنا ننادى عليه .. ولا يجيب . ويزورنا الشوق إليه .. ولا يجد سوى الأحزان عليه !

ومات الضوء فى عيون الكلام

القبور يغشاها الموتى ، وإنا لها ذاهبون .

فلماذا نعى الناعى ، والأحزان على السباعى ؟ !

ربما لأن القاتل لم يعرف أنه يغتال البسمة ، أو يقتل فكره ، أو يسكت بالرصاص أحد رموز الخير ، أو يهدم بالموت صرحًا ، أو يدمر بالحريق حديقة ورد ، أو يقتلع بالغدر خميلة حب جلس فى ظلها الإنسان بالمودة ، وسكنتها العصافير بالغناء .

فلماذا لا يهلع القلب لموت العصافير ، وإشعال الحرائق فى الحدائق ، واقتلاع الخمائل ، وقتل الحب وجفاف أنهار الفرح ، وإقامة سدود النار أمام رياح الخير ، وغرس الخنجر فى قلب يتنهد بالعطاء ؟ .

وكان يوسف السباعى رمزًا لكل هذه المعانى ، وأمانى الكلمة الطيبة ، والسلوك الوديع ، ولعل القاتل لم يعرف أن رصاص الاغتيال كان موجهًا إلى الصفات النبيلة والسماحة . وابيضت عيون الكلمة الطيبة أسفًا على يوسف وباتت بالحزن تبكى وهى كظيمة ! ! فيوسف السباعى هو الضوء فى عيون الكلام .

ودعونى أقرأ سطورًا على جدران أيامى .. ولم تكن هذه الكلمات منسية

أو ساقطة بين السطور . فذكرياتى عن يوسف السباعى هى الحب والمصير ! ومن هذه السطور ماهو قريب . ومنها ماهو بعيد ! فيوسف السباعى اقتحم وجدانى بالحب .. عندما كنت أحب . يوم أن جئت المدينة عام ١٩٥٩ عاشقًا وغريبًا . وقلبى معلق بحبيبتى فى القرية . وقرأت إعلانات لشوارع عن فيلم « بين الأطلال » وقرأت هذه الكلمات : « أيتها الشمس لاتغربى قبل أن تشهدى على أن حبى لها خالد كخلودك . بل إنك تغربين . ولكن حبى لها لن يغرب أبدًا » .

ويومها كنت أريد أن أرسل مع الرياح خطابًا أشهد فيه الشمس على أن حبى لحبيبتى خالد كخلود الشمس . وسرت فى جسدى رعشة . وسال الدمع من عيونى بسبب الحب والغربة . وكنت أسأل من يعطى الغريب مثلى حبًا مثلما أعطتنى حبيبتى ؟!

وشاهدت الفيلم والأشواق تدخل قلبى . والأسى يخرج من عيونى . وقررت أن ألتقى بالسباعى . والتقيت به . ومنذ ذلك التاريخ واللقاء موصول . فالسباعى كان أخًا وصديقًا لكل من عرف .

أنا مازلت أقرأ سطورى على جدران الأيام . وأجدنى قرأت السطور الأولى . وأعبر بقية السطور التى يزيد عمرها على ثمانية عشر عامًا . وأقف لأقرأ السطور الأخيرة يوم أن عرفت الدنيا أنه مات . وأن موكبه المهيب يذهب به بعيدًا عن الدنيا . هذا اليوم نسيت فيه الحساب والجغرافيا وأسماء البلدان والناس .

ساعتها كنت أعبر الجزر اليونانية الجنوبية فى البحر الأبيض فى طريق إلى تونس . والعين تدمع ومضيفة الطائرة تتحدث عن الطقس وموعد الوصول .. والفؤاد معلق برحيل يوسف . وتوزع المضيفة الطعام والشراب . والناس لاحديث لهم إلا عن يوسف . ونصل إلى تونس فيبرع وزير الإعلام التونسى مصطفى المصمودى ليقدم العزاء إلى محمود رياض الأمين العام للجامعة العربية ولى

حيث نقيم فى فندق هيلتون . ويتسابق الناس هنا مسارعين فى تقديم العزاء لنا .

ولذلك ليس بغريب على تونس التى تضم أرق الناس حاشية فى الوطن العربى . وهم يقدمون للناس حبًّا خالصًا . وإذا كانت الدنيا قد شاركت مصر العزاء وخصوصًا الشعب العربى والشعوب الأسيوية والأفريقية إلا أن عزاء تونس دائمًا مايأخذ شكلا خاصًا . لوداعة الناس وصدقهم . وهم فى ذلك لهم سوابق عندما تفقد مصر أحد أبنائها ، تراهم يقيمون سرادقات للعزاء ، وليس ذلك فقط للمشاهير من أبناء مصر . بل للذين يسيرون بعيدًا عن الأضواء .

فعندما مات الشيخ منصور رجب وهو من علماء الأزهر الشريف . أقامت تونس سرادقًا للعزاء فيه . وكان الرئيس بورقيبة يقف فى مقدمة السرادق يتقبل فيه العزاء شخصيا لأن الشيخ فاضت روحه على أرض تونس .

وسطورى عن تونس . هى نوع من المحاولة للابتعاد عن سطور جدران الأيام المحفورة بالحب عن يوسف السباعى . وسأعود يومًا لأقرأها بالأشواق ، عندما يهدأ قلبى الذى أصبح بالحزن مثل مغارة الملح ! . ويومها سأنتصر على الأحزان وأطردها من قلبى ليدخله الضوء ، ويومها سأحتاج إلى كثير من الأوراق مددًا لنقل سطورى على جدران الأيام لأجعلها سطورًا فى كتاب عن يوسف السباعى ..

النذير والغائب لن يعود

ملوك القول الحسن . والكلم الطيب اجتمعوا فى القاهرة فى جمع حاشد ومهيب . وكانوا من الخالدين أعضاء مجمع اللغة العربية الذين ينتمون إلى أجيال سبقت ويعملون للمستقبل .

واتخذ الخالدون مجلسهم فى قاعة مجلس جامعة الدول العربية .

وتمنى الدكتور مذكور فى كلمته أن يكون العالم الكبير قدرى طوقان عضو المجمع حاضرًا بينهم . ذلك العالم الذى يعيش الآن رهين مدينته نابلس فى الضفة الغربية المحتلة . وإنه ليبعث باسم الحاضرين من أعضاء المؤتمر الموقر بالتحية والإكبار له راجيًا أن تتاح له فرصة الحضور . ولمعت فى العيون دمعة .. وعلا صوت بالرجاء أن يجىء .. وهفت النفوس إلى لقائه . وكأننا نحن الحاضرين كنا نعلم أنه لن يجىء أبدًا .. لمجرد خاطر كئيب .. وكأنه زائر غريب كالنذير ..

ورحل عالمنا الجليل قدرى طوقان عن عالمنا .. ذلك الذى وهب نفسه للعلم فأعطاه العلم بعضه تمثل فى ١٨ كتابًا . وكان عضو المجمع العلمى العربى بدمشق وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ونائب رئيس الاتحاد العلمى العربى بالقاهرة . ورئيس الجمعية الأردنية للعلوم . وعضو المجمع العلمى لدول البحر الأبيض

المتوسط بايطاليا . وعضوا فى عدة جمعيات علمية فى أمريكا وأوربا .

هو فوق كل ذلك الإنسان .. الفنان الرقيق المشاعر الصديق لكل من التقى به يومًا على الطريق . وهو السياسى الذى شغل منصب وزير خارجية الأردن والذى أخضع العمل الدبلوماسى الذى يتسم بالبسمة المرسومة ، والخطوة المحسوبة ، والكلمة الموزونة بألف ميزان إلى أسلوبه الخاص والذى كان طابعه العام الانطلاق الظريف فى الحياة .

أذكر أننى تجولت معه فى إحدى الأمسيات بمدينة نابلس وكان وزيرًا للخارجية وكنت فى زيارة للأردن ضيفًا على الملك حسين فى أكتوبر عام ١٩٦٤ . وفى أثناء مرورنا فى أحد الشوارع لمح عروسين جميلين من أهل المدينة ، ونزل من سيارته يقدم لهما التهنئة بالزواج ، وصافح العريس وهو يقول : إن ذوقك ممتاز فى اختيار عروسك ، وصافح العروس قائلا : وأنت قليلة الذوق لاختيار عريسك .. وضحك كل منهما لدعابته الحلوة .

رحمه الله .. عشق الحياة .

أصدقاء الضحك القديم ! !

تلقيت دعوة كريمة من الفنان الكبير حمدى غيث ، وكان وقتئذ وكيلا لوزارة الثقافة للمشاركة فى الحفل الذى يقيمه قصر الثقافة فى الزقازيق لإحياء ذكرى رحيل الشاعر الغنائى الكبير مرسى جميل عزيز ، تحت رعاية محافظ الشرقية محمد أمين ميتكيس .

وكنت لاأحتاج إلى دعوة لإلقاء كلمة فى الحفل الكبير ، لأننى من أصدقاء الشاعر الراحل ، الذى يضاعف من حزنى عليه ، ذلك الهزال الذى أصاب أغانينا من بعد رحيله ، ومن بعد وفاة رائد الشعر الغنائى فى مصر الأستاذ أحمد رامى رحمه الله ، ، ومن بعد موت الشاعر الكبير بيرم التونسى ، ومن بعدهم أصبحنا ندعو الله أن تمنحنا الدنيا شعراء مثلهم ، بعد أن أصبحت الكلمة فى غيابهم مثل الكسيح الذى يجوس الليل فى المدن الضريرة ! !

ودعيت لإلقاء كلمتى فى الحفل بعد الدكتور أحمد هيكل عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة . وفى الحقيقة ، فإن الدكتور هيكل يتعب من يجىء بعده .

فقد تناول فى كلمته الممتازة كل عمر الشاعر منذ طفولته وحتى الرحيل ، ولم يعد لى ماأقول بعده ، فهو لم يترك شيئًا لم يتناوله .

واقتصرت كلمتى على ذكر بعض مشاعرى تجاه شعر الشاعر الذى كان يلبى احتياجاتنا العاطفية بالكلمة الطيبة ، وأن الكلمة عند مرسى جميل عزيز ظلت طفلة ، ولم تفقد تلقائيتها ، ولاعفويتها ، ولا طهارتها وبراءتها وقلت إن مرسى جميل عزيز أدرك سر العواطف الكريمة ، والحب عنده لم يقتصر على المحب والمحبوب ، بل شمل العلاقات الأسرية النبيلة ، فكان حبه للدنيا والليل والقمر والعشاق ، والطبيعة ، والزرع فى الحقول ، والورد فى الحدائق ، وللعائلة المصرية ، وللإخوة ، والآباء ، والأفراح ، وبيت العز وذكريات السعادة فيه !

وقلت : إن مرسى كان عظيم العطاء ، وكريمًا وكأنه عرف أن أيامه فى هذه الدنيا قليلة ، لأنه القائل فى الأغنية الشهيرة التى تغنيها المطربة الكبيرة فيروز :

ليس سرًّا ياصديق
أن أيامى قليله
ليس سرًّا إنما الأيام
بسمات طويله
إن أردت السر
فاسأل عنه أزهار الخميله .
عمرها يوم وتحيا اليوم
حتى منتهاه ! !

وأنهيت كلمتى لمن يجىء بعدى فى الكلام ، وهو المرحوم الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور وهو من قدامى الجالسين على مائدة الصحبة الطويلة . ومن السامعين لى كلامها الجميل فى الليل الطويل .

قد شاركه فيها الكثيرون .. ومنهم الدكتور هيكل ، والشاعر إبراهيم شاهين ، لمطرب الراحل عبد الحليم حافظ ، والدكتور وجيه إسكندر . وأمين العقاد .

وهؤلاء يسميهم صلاح عبد الصبور أصدقاء الضحك القديم .

وقد تناول المرحوم صلاح عبد الصبور فى كلمته حياة مرسى جميل التى أصبحت سيرة من السير الجميلة فى حياته هو شخصيًا . وقد طهرنا صلاح بكلمته . وغسل أرواحنا من شوائب الأيام . وأضاء قنديل الشاعر فى ليل الساهرين ، وأصبح مرسى فى ليلتنا قمرًا يقف بالحب فى سمائنا العالية !

وتحدث الفنان حمدى غيث .. ووعد أن يكون هذا اليوم من كل عام عيدًا ومهرجانًا للشعر وللكلمة الطيبة . ووعدنا الدكتور طلبة عويضة أن تمنح كلية الآداب بجامعة الزقازيق جائزة سنوية باسم الشاعر الراحل . وتمنح لأحسن شعراء المحافظة . من الطلاب فى قسم اللغة العربية .

وقال المحافظ محمد أمين ميتكيس : إنه فى انتظار كل الاقتراحات لتخليد ذكرى ابن الشرقية . وابن مصر كلها . وابن الأمة العربية مرسى جميل عزيز .

وبدأ بعد ذلك مهرجان الشعر والأغنية لشعراء المحافظات الذين جاءوا للمشاركة فى هذه الذكرى . ولفت نظرى جميل شعرهم . ولكن لاأحد يعرفهم . . وهنا .. لابد لنا من كلمة إلى المطربين : أقول لهم : ابحثوا عن هؤلاء .. فالكلام لم يزل عندهم بكرًا وجميلا .. وكفانا كلامًا من سماسرة الكلام والمحترفين !

وشعراء المحافظات الذين أمتعونا بأشعارهم جاءوا اعترافًا منهم بفضل مرسى جميل على كلام الغناء .. والشعر ! !

هكذا كانت الليلة . وهكذا كانت الذكرى لواحد من أكابر الشعراء . . وهو مرسى جميل عزيز ، الذى أخلص للكلمة فمنحته الكلمة ثقتها ، وأصبحت ضوءًا عاطفيًا فى قلوب العشاق !

الغياب .. والذكرى !

وجاءت الذكرى بعد الغياب ! فأنا بعض غرس يد كريمة رحلت ومازلت أشعر بأنى تلك النبتة . أو الشجرة الصغيرة التى أخذت ماءها . وشمسها . وظلها . وغذاءها وأرضها . وسماءها من الراحل الأسطورة .

والذى كلما رأيت الأشجار الكبرى تذكرته . وكلما ذهبت إلى ظلال شجرة أنعم تحتها بالراحة تذكرته . وكلما لفحتنى حرارة الشمس تذكرته . وكلما زارتنى الرحمة تذكرته . وكلما غضبت تذكرته . وكلما استعصى التسامح على قلبى تذكرته . وكلما رأيت الظواهر الطبيعية تذكرته . لأن فيه خصائصها . وكلما فكرت قليلا تذكرته . فهو صاحب أكبر معمل أو مصنع لايكف عن إنتاج الأفكار . وكلما قرأت فكرة تذكرته . وكلما كتبت جاءنى الخوف من الفشل وأذكره . فهو الذى علمنا مبادئ وأصول الكتابة الصحفية . ومن قبلها القراءة . وهو الذى كان يقول لنا : إن محنة الجيل الجديد أنهم يكتبون أكثر مما يقرءون .

وكلما هب النسيم بالرحمة تذكرته . وكلما جاءنى الحب تذكرته . وكلما طلبت المزيد من العلم والمعرفة تذكرته . وكلما عصف بى الانفعال تذكرته . وكلما تضيع منى روح الصفاء والمودة تذكرته . وكلما أفتقد الأبوة تذكرته . وكلما قرأت للعقاد

بالتقدير تذكرته ، فهو الذى هاجمنى يومًا لأننى لم أفهم عبارات العقاد . وقال لى : على الذين يسيرون فى السفح . أن يجاهدوا فى سبيل الوصول إلى القمة ' وكلما سمعت دعاءً تذكرته . فقد كان دائمًا يناجى ربه بالدعاء النبيل ويقول :

يارب !

إن حياتى كلها تذكرنى به .

يارب ارحم على أمين ! !

موت حليم !

مات عبد الحليم حافظ ، وأصبحت الأغنية المصرية مثل الراية المنكسة ، أو العلم الذى انكسرت ساريته العالية . وأصبح سوق الغناء مفتوحًا لسماسرة الكلام الضعيف .. والصوت القبيح .

كان عبد الحليم عالمًا فى الموسيقى وأصولها .. ولم يفكر يومًا أن يضع لحنًا لأغنية من أغانيه . ولكنه احترم التخصص . . فكان عطاؤه عظيمًا ، أخلص للأغنية ، فأعطته القلوب مجدها . ويوم أن ودعته مصر ساعة رحيله منذ خمس سنوات .. كان الناس يودعون سعادة وأفراحًا وربيعًا لأيامنا ولياليا . التى أصبحت يتيمة الصمت . أو المقهورة بمقاولى الأنفار فى سوق الغناء ! !

واليوم تحل بنا الذكريات .. وتهل علينا الأشواق إلى لحظات حافلة بالجمال .. كان عبد الحليم قد انتزعها لنا من بين عذابه وانينه !

وفى يوم الذكرى .. يدخل قلبى ضوء صغير يصلنى ضعيفًا عبر المسافات بعيدة . عندما سهرت ليلة على شاطئ المحيط الأطلسى . وكنت وقتها أزور المغرب عوة من حكومته منذ خمس سنوات . وجاءنى فى الفندق الصديق الفنان مد الرجيب سفير الكويت فى المغرب وقتذاك .

ودعانى السفير على سهرة فى بيته بالعاصمة المغربية (الرباط) . وعرض السفير فى السهرة فيلما لعبد الحليم حافظ على جهاز فيديو وهذا الفيلم لم تشاهده القاهرة ، وكان باسم (فرحة السمار) . ووضع قصته أحمد العدوانى ولحن أغانيه حمد عيسى الرجيب ، وزير الإسكان والشئون الاجتماعية الحالى فى حكومة الكويت .. والذى عرفته القاهرة عاشقًا للفن ، وعازفًا على آلة القانون ، عندما عاش بيننا عشر سنوات كان خلالها سفيرًا لبلاده فى مصر .

وكنت أرجو تليفزيون القاهرة الاتصال بتليفزيون الكويت ، لعرض هذا الفيلم الجميل ، لنسعد به . وبألحانه ، مثلما سعدنا قبل ذلك بأغنية حليم الرائعة (ياهلى .. ياهلى) يكفى ملامى والعتاب .

ورحم الله عبد الحليم ، ورحمنا من غناء أشباه عبد الحليم ، الذى مات غريبًا .. وكان فى حياتنا عذبا وفى حياته معذبًا ! !

زكى عبد القادر يمضى نحو النور .. الآخر

إذا كنت فى حياتك كلها لم تلتق بالأستاذ محمد زكى عبد القادر أو تشاهد صوره .. فأنت تستطيع من خلال أسلوبه أن ترسم له صورة فى خيالك . وتكون هذه الصورة الخيالية هى صورة واقعية فى نفس الوقت !

فالرجل من خصائصه الكبرى الهدوء الشديد .. والتأمل العميق . . وهذا يجعله أقرب إلى المتصوفين من أهل الفكر .

كذلك كان زكى عبد القادر من المؤرخين للأحداث والتى هو شاهد عليها . بل من المسجلين لهذه الأحداث .. وكان من رأيه أن ينتظر فى الكتابة ، حتى تبتعد الساحة من تلك الشخصيات التاريخية التى يتحدث عنها ، حتى لاتكون هناك أى تأثير على رأيه أو روايته للأحداث من خلال مايرى هو شخصيًا . ومن خلال ما سمع . ولذلك بدأ منذ شهرين قبل رحيله فى رواية لأحداث حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وكان يرى أن هذا هو أنسب وقت لتقييم أو تقويم هذه الحركة هو .. بعد أن ابتعد أصحابها عن مراكز التأثير .

محمد زكى عبد القادر كان قد توجس خيفة من يوم ٢٣ يوليو .. لأنه كما قال : إنه كان يكتب عموده اليومى « نحو النور » قبل ٢٣ يوليو بعشرين عامًا .

ولما قامت حركة ٢٣ يوليو استمر فى كتابته ، ولكن وجد زكى عبد القادر من يقول له : لماذا تكتب (نحو النور) حتى الآن ؟ .. وكان المتحدث من الذين لهم صلة بحركة الجيش . . ومضى ذلك الرجل المسئول يقول لزكى عبد القادر : إننا نفهم أن تكتب نحو النور فى عصر الظلام .. أما وقد وصلنا إلى النور بطرد الملك . وإلغاء الأحزاب وإلغاء الألقاب ، وبصدور قانون الإصلاح الزراعى .. فلا داعى إذن أن تواصل كتابتك تحت هذا الاسم لأننا لن نصل إلى نور أكثر من هذا

وكاد المتحدث أن يتهم زكى عبد القادر فى وطنيته عندما قال له : إن استمرا كتابتك (نحو النور) هذا معناه أننا مازلنا نعيش فى ظلام . . ولم نصل إلى النو بعد .

وعرف زكى عبد القادر أن نظام الحكم فى طريقه أن يكون شموليًّا . ولذلا فضل التريث الحكيم . الذى يتفق مع طبعه ومنهجه البعيد عن التطرف والعن والصخب !

ونراه يفعل ذلك فى كتابه عن (محنة الدستور) وهو يؤرخ فيه للفترة السا على يوليو عام ١٩٥٢ بأكثر من ثلاثين عامًا . ومضى زكى عبد القادر فى سلام د أن يكمل سلسلة مقالاته عن ٢٣ يوليو .

والأستاذ محمد زكى عبد القادر صاحب أسلوب شفاف ورصين . ويصدر أدب رفيع ، عندما يبحر فى أعماق النفس البشرية من خلال تأملاته . . رومانسى الأسلوب عندما يكتب عن الطبيعة وقريته (فرسيس شرقية) والتى تنقطع صلته بها . والتى كثيرًا ما كتب عنها أروع ما كتب ، وكان بذلك يكتب الفلاح المصرى وطبيعته السمحة . والريف المصرى بكل خصائصه الحبيبة النفس . وقد تأثر زكى عبد القادر فى أسلوبه بأدب الطبيعة وأدب الرومانسيين لأن الراحل الكبير أدرك هذا العهد الذى أزدهر منذ القرن التاسع عشر

بدايات القرن العشرين . وما لهذا الأدب من خصائص جميلة .. ويعتبر النقاد أن
لأدب الرومانسى هو أدب الإنسان الحقيقى . حتى تجد الأستاذ زكى عبد القادر
ذرف الدمع ساخنًا لموت شجرة . . كان الفقيد قد عقد صداقة معها لأن هذه
شجرة قد شهدت مولده ، وشهدت طفولته ، وأصبحت ظلالها هى مراتع الصبا
كاتب الكبير . وهذا الأسلوب يدل على أن صاحبه مفطور على الود حتى مع
ماد . وأنه يألف .. ويؤلف . وما أحوج الإنسان إلى هذه الصفات !

ومضى الكاتب المخضرم والكبير فى سلام .. كما كانت حياته فى سلام .. حتى
ك تلحظ أن فكره الدينى كان يحاول فيه أن يعقد صلحًا بين الأديان ..
قائد . . ويأخذ بالفضائل التى حفلت بها الأديان . وفكر المفكرين السابقين
الإسلام مثل زورادشت وكونفوشيوس .

وأخيرًا .. جعل الموت كاتبنا الكبير يخلف موعده معنا كل صباح فى عموده
ى نحو النور .. ولقائه الأسبوعى فى يوميات الأحد . والتى كانت قبل ذلك
ر يوم الخميس . ثم يوم الجمعة . ثم استقرت منذ أكثر من عشر سنوات فى
الأحد .

لم يكن زكى عبد القادر يكتفى فقط بجهده الصحفى والفكرى ، ولكنه كان
يساهم بهذا الفكر فى أعمال المجالس القومية المتخصصة .. وفى المجلس القومى
بالذات . وفى شعبتى الثقافة والإعلام .. على وجه التحديد .

كان يجلس بين كوكبة أهل العلم والفضل من المفكرين ، يساهم بالرأى من
ثقافة مصر ، وشخصية مصر .

القبر.. والقمر

أمى .. حبيبتى :
فى هذه اللحظة .
لم يعد فى عيونى ..
سوى قبرك .. والقمر !
وقبرك .. أقف أمامه الآن
.. بالدموع خاشعًا .
والقمر ..
جاء معى الليلة ..
يقرأ الفاتحة على روحك !
ويرش حفنة من نوره .
على قبرك ..
وأكاد أرى وجهك ..
الذى غاب بالموت سنينا .
وأصبحت أستدعيه حنينا .

وأرسمه على جدران وحدتى
لعله يضىء بالذكريات غربتى !
وأصبحت أنتظر اللا شىء !
ولازلت بالعذاب أنتظر .
مثل الغريب الذى فقد
الطريق والبصر !

• • •

عندما سرقتنى من أمى المدينة
كنت أناديها أمومة !
اختارت فى رحاب الريف
سكنًا .. وسكينة !
وكان يأتينى رسولها
بالخير والدعوات
والحب
ويطمئن منى القلب .
وأهفو إليها ..
وأسافر .. وأعود
وأحملها من جديد .
فى قلبى . . وفى عيونى !
واليوم ..
على من أنادى ..
وفؤادى ..

أصبح فارغًا .
بموت التى كان منها ميلادى !

* * *

أمى التى وهبت الطيور
أسرار حبها لصغارها ..
ماتت ! !
وعلمها الموت معنى الغياب
وعلمنى أنا معنى البكاء .
على الحب .. والأحباب !
وصنع الموت من وحدتى
ستائر بالظلام !
وعرفت مرارة الليالى ..
والأيام !
وزرع الفراق فى قلبى
أشجارًا لاظلال لها ..
ولاثمار !
.. ومات النهار .
وأصبحت بالعذاب ..
أهرب من نار ..
إلى نار !
وباتت الليالى التى ماتت ..
بموتها بلا قمر .. ولانجوم ..

وخلت الدنيا من سماء ..
كانت تمطرنا حياة !

* * *

أمى التى وهبت
الندى طهره .. وصفاءه
ووهبت القمر سحره وضياءه
ماتت !
وصارت كل الوجوه
قاسية كاللهيب .
والحجارة !
وأصبحت الأحزان للقلب .
قيثارة !
أمى ماتت ..
ومات الدعاء النبيل ..
بالخير لأيامى القادمة !
وماتت من كنت أناديها ..
وأنادى الحياة فيها ..
وأناجيها ..
وماتت دنيا عظيمة
العطاء بالحنان .
ومات كل كمال الحياة ..
يرحمنى الله .

هموم الرجل السعيد

الأزمة الاقتصادية تمسك بخناقنا جميعًا . ولم يعد فى هذا الوطن من لايحمل همومه ، ولو بمقدار . وهذا البلد الأمين .. هو ملك لنا جميعًا .. وبناؤه هو مسئوليتنا جميعًا .

فى هذا العصر لم يعد هناك ذلك الفرق الحاد بين فرد فقير .. وآخر غنى .. بل أصبح من خصائص هذا العصر أن يوجد مجتمع غنى ومجتمع آخر فقير . بمعنى أنه إذا وجد الفرد الغنى فى المجتمع الفقير فلابد أن يعانى هموم ذلك المجتمع الفقير ، لأن هذا الغنى لايملك أن ينشئ له مرافق خاصة مثل إنشاء طريق خاص ، وشبكة إنارة خاصة ، وسنترال خاص ، وسكك حديدية خاصة ، وشبكة مياه خاصة ، وكذلك إقامة مجتمع من نوع خاص .

إذن هذا الغنى لابد له من أن يعانى أيضًا من مشكلات المجتمع الفقير . والعكس صحيح .. فالفقير الذى يعيش فى مجتمع غنى يستمتع برخاء هذا المجتمع ووفرة العيش فيه وهناء الحياة على أرضه .

ماالعمل إذن ؟ العمل هو العطاء فى هذه السنين دون انتظار المقابل الجشع . هذا البلد الذى يمنحنا الأمن .. والأمان .. لابد أن نعطيه حتى ينهض من جديد ..

وأليمة هى الكلمات التى نسمعها من ذلك الطبيب الذى سوف يحدد عدد مرضاه .. ثم يرتاح لأن الضرائب سوف تغتال دخله الخرافى ، وكذلك التاجر .. وصاحب المال الذى سارع بسحب أمواله من البنك خوفا من الإجراءات الأخيرة .. ولم يدع ماله يشارك فى صنع رخاء البلد . ما الذى يمنع أن نعمل كثيرًا .. ونكسب كثيرًا .. ونعطى حق الدولة ؟ ! ماذا يمنع الذى يكسب ألفين أن يعطى مائتين ؟ ! .. كل الدول تفعل ذلك .. ولا أظن أن هناك مواطنًا فى أكبر دول الدنيا من ناحية القوة والغنى وهى أمريكا يهرب من ضريبة الوطن .. والمتهرب هو ذلك الخائن الذى يحرم من كل الحقوق .. فلماذا تلك الهمهمات الصادرة من أفواه القادرين .. الباحثين عن وسائل للهرب من دفع حق المجتمع الذى يعانى المحنة . والأمثلة كثيرة فى كل الدنيا . وكل الدول التى نهضت من عثرتها بعد الحروب ماذا فعلت حتى أصبحت من أكثر البلاد رخاء . وغنى .. وأمنًا ؟ ولانريد أن نطيل وهذه الدول معروفة مثل ألمانيا وإنجلترا واليابان .

أنتم أيها الأغنياء عليكم العبء الأكبر لكى يبقى هذا البلد آمناً مطمئنًا .. بعيدًا عن تلك الأفكار السوداء عن الصراع الطبقى الذى تريده له قوى خارجية .. وبعيدًا عن ذلك الحقد الأسود الذى يجعل القلب أشبه بمغارة وحشية فى غياب الحب ومرحبًا بالضريبة .. ومرحبًا بالعمل .. والربح .. والحب على أرض مصر .. وأهلا بالزمن السعيد ! !

هموم .. صغيرة ! !

ماالذى تستطيع أن تفعله أمام همومك الصغيرة ؟ ! هل تعتبرها نوعًا من الأقدار ؟ .. وفى هذه الحالة تعقد صلحًا منفردًا معها لأنك لاتستطيع تغييرها ؟ .. أم تترك نفسك فريسة لمشاعر الغضب وانفعالاته ؟

وفى الحقيقة أن هذه الهموم الصغيرة فى حياتى اليومية تمثل لى نوعًا من الإرهاق النفسى المستمر . فأنا لم أنجح فى عقد صلح منفرد معها ، كذلك لم أنجح فى تغييرها ، وفشلت فى النسيان ، وأحياناً أشعر بالسعادة الغامضة فى وقت الغضب منها ، وأعتبر نفسى سليمًا من الناحية النفسية ، لأننى أستشعر هذه الهموم . لماذا ؟ لأن قمة المأساة هى ألا تشعر أنك فى مأساة ! !

وهذه عينة بسيطة من همومى الصغيرة ، وهى تبدأ معى من الصباح عندما أكتشف انقطاع الماء .. وما يترتب على ذلك من مشاعر الغضب بسبب مايترتب على ذلك وهو فى حده الأدنى تأخيرك من مواعيدك ، وإذا حضر الماء واستقبلته بفرحة الطفل وأخرج من بيتى سعيدًا ، وأفاجأ أن الماء الذى كان قد جف من المواسير فى المنازل قد انتقل إلى الطريق . وعليك أن تخوض مياه الشوارع فى ساحة خطرة !

وإذا كتبت لك السلامة . ووصلت إلى بر الأمان ، عليك أن تبتهل إلى الله أن يرزقك بتاكسى سواء كان خاصًا . أو مع الناس ، أو بالنفر وعندما تجد بالفرحة هذا التاكسى بالنفر عليك هنا أن تبحث عن هذا الصلح المنفرد مع النفس . فأنت تركب مع الآخرين وعليك أن تستمع إلى أحاديثهم. ومنها هذا الحديث الذى أرى أن صاحبه فى قمة المأساة لالأنه لص ، ولكنه لايستشعر أنه كذلك . بل يفاخر ، ويجاهر بذلك .

فالراكب مثلا اسمه نبيل وقد عرفت ذلك من خلال حديثه المشترك مع صاحبه . وأنه يقول إنه يكسب فى الشهر من ٥٠ إلى ٨٠ جنيهاً علاوة على مرتبه ، لأنه يذهب إلى السوق ويشترى لمبات كهربائية محروقة مع بعض اللمبات الجديدة . ثم يورد اللمبات المستعملة والمحروقة إلى مخازن الهيئة التى يعمل بها بدعوى أنها استهلكت واحترقت بسبب الاستعمال وهكذا . ويكاد الغضب يفتك بى فى صمت وهو يضحك فى صوت جهير مع صاحبه ! !

وإذا رزقت بسيارة أخرى بالنفر ، عليك أن تستسلم لقدرك مع ذلك الشخص عديم المروءة الذى يجعلنى فى كل لحظة أضع يدى على رقبتى من الخلف لالتقاط شىء صغير استقر بين عنق وملابسى ، هذا الشىء الذى يستقر فى مواضع مختلفة هو قشر اللب . ولاأدرى ماهى السعادة التى تتحقق مع ذلك الصغير الذى وصفه إبراهيم عبد القادر المازنى يومًا بأن الذى « يقزقز اللب إنسان عديم المروءة » وأنا طبعًا مع الكاتب الساخر الكبير والعظيم المازنى فى ذلك . ولاأعرف سر انتشار باعة اللب ، فى كل مكان وكثرة المحلات التى تبيعه فى كل بقعة ، على الرغم من أنه ليس غذاء .. ولامتعة .. ومنظر الإنسان الذى يتعاطاه مقزز فضلا عما يسببه من متاعب . فأنا مثلا حرمت دخول السينما بسبب اللب . عندما أجد كل من حولى يفسد متعتى بسبب القشر المتطاير ، والأصوات القبيحة الصادرة من كل اتجاه ،

.كلها تسبب لك حالة تشبه الجنون .

أكثر من هذا تلك السيدة الطاعنة فى السن التى تركب الأتوبيس وتفتح فمها فى فبح شديد وتمارس هذه العادة الأقبح وهى قزقزة اللب . أو أولئك الموظفين والموظفات أيضًا تجدهم فى مكاتبهم يقزقزون اللب الذى يحاصرنى من كل جانب . وأين المفر من ذلك العجوز الطاعن فى السن . الذى بلا أسنان . وأراه فى القطار الذاهب إلى القناطر الخيرية ويقزقز اللب . وهو أهنم (ويحرك فمه بطريقة ميانيكية) قبيحة ويصدر من فمه فشرًا ولعابًا ، وصوتًا منفرًا .

وتستشرى هذه العادة . عند الكبار والصغار . وفى كل مكان . وفى كل وقت . وأصبحت تمثل ظاهرة مرضية على علماء النفس أن يدرسوها . وعلى الدولة أن تمتنع عن استيراد ذلك الشىء البغيض الذى يتنافى مع الذوق . والمروءة . والشهامة . والأدب ! !

ومعذرة من الاسترسال . فالنور انقطع مضيفًا بذلك همًّا جديدًا . يضاف إلى مجموعة همومى . مع الناس . والناموس . ورياح الخماسين . وعذاب التراب والذباب ومخاطر الطريق ! !

تجربة شخصية جدًّا ..
حاولت فيها عدم أكل اللحمة !

ها هو ذا الأسبوع الثانى بنجاح ساحق على غياب اللحمة يمر بسلام . ويستمر لغياب حتى إشعار آخر . وكنت أحسب أننى سأشعر بقسوة الغياب على فراق لحبيبة . خصوصًا أن صلتى بها كانت حميمة على امتداد عمرى . والذى بدأ نتهاء ذلك الزمن الكريم .

فقد سمعت والدى يشكو غلاء اللحم منذ كان ثمن الرطل عشرة قروش .. كان يلعن الحرب العالمية الثانية . التى جلبت للعالم الدمار والغلاء . فأنا ولدت فى ن المحنة . وعشت أنتظر الزمن الكريم .

ولم يعد ذلك الزمان الذى لم أشهده . وعقدت صلحًا بينى وبين هذا الزمان كئيب ، والذى من سماته الغلاء ، وفراق الأحباب . وقصار القامة ، الذين ناولون فى البنيان ! !

واللحمة غابت عنى ولم تعد بالنسبة لى تلك الجميلة التى أودعتها حبى ، والتى قتها فى جميع مراحل عمرها ، أحببتها طفلة وصبية ، وفتاة . وعجوزًا ! ! هذه حل التى يسميها « الجزار » « البتلو ، والكندوز الصغير ، والكندوز الكبير قيع » .

وكانت اللحمة هى سيدة الطعام الأولى . وعندما تحضر أعزف لها السلام الوطنى ، وعاشت معى ولها خصائص الملكات ، فقد كانت هى آخر شىء يدخل معدتى الشريفة عند تناول الطعام ، وبعدما يكون قد سبقتها الحاشية من بقية المأكولات . وكنت دائمًا وأبدًا أبدأ بالحلويات وأختم بجميلة الجميلات اللحمة ! ! وتمادت حبيبتى فى دلالها لدرجة أننى كنت أنتظر قليلا بعد الأكل ولاأذهب « للغسيل » فورًا . حتى لايتأثر طعمها الشريف بطعم الصابون .

واستمرت الغالية فى دلالها .. وحسبتنى ذلك النوع من العشاق العرب التاريخ القديم ، الذى يقضى حياته فى النواح على فراق الحبيب ، والبكاء ء الأطلال ، أبدًا .. لم أبكها مع العلم بأننى أحمل خصائص بعض الشع القدامى ، ولكننى لست من القائلين : « يامين يجيب لى حبيبى ، وياخد من عيو عين » ! فأنا لم أعد أستطيع مع اللحم صبرًا بعد هذا الغلاء الفاجر ، الأمر الذ جعل اللحم يغيب عن جموع المواطنين !

وقد سمعت من الجزار ، الذى كان يتحدث مع صديق له ويقول : لم الموظفون يأتون إلينا بعدما أصبح السعر ثلاثة جنيهات . وأصبح الجزار لايتعامل الموظفين وطبقة « الخمسين فى المية » . بل أصبح الجزار « فئات أخرى » يتعامل الميكانيكى ، والسباك ، والنجار ، ورجال الأعمال !

وتبقى اللحمة لها مكانة خاصة فى نفوس البسطاء من أهل الريف والبنا ولعل هذه الأغنية التى تغنيها فتيات الريف فى جماعات عند الحصاد ، تعبر عن المكانة ، وهذه الأغنية تصور كلماتها فرح البنت بعريسها عندما يدعوها لا (اللحمة) وتقول كلمات الأغنية :

وعزمنى يامه فى الغدا لحمه وحبه يامّه فى القلوب

ويبدو أن اللحمة اكتسبت هذه المكانة الرفيعة بعد صراع تاريخى طويل مع الأطعمة الأخرى ، وبالأخص الفول النابت .. فهذه الأغنية كانت تغنى قبل ذلك للفول النابت ، قبل هزيمته أمام ذلك الاختراع المذهل وهو اللحم ! وكانت كلمات الأغنية فى نفس الموقف السابق الذى تصف به البنت عريسها بالكرم النبيل تقول :

عزمنى ياامّه فى الغدا نابت وحبه ياامه فى القلوب ثابت

وقد لاحظت فى الفترة الأخيرة أن الجزارين يضمرون حقدًا دفينًا لطبقة لجواهرجية . وصاروا يقلدونهم فى الميزان والاستعلاء على الناس .

وأصبحت أرى الجزار يتعامل مع اللحم بالجرام ، كما لو كان يتعامل مع لأحجار الكريمة ! ! .. مع العلم أن اللحم عزيز على قلوب عشاقه وأكثر بكثير جدًا تلك الأحجار التى لاتشبع ولاتغنى من جوع .. ولكن العقد النفسية عند زارين هى التى دفعتهم إلى ذلك وهم الذين جعلوا اللحمة كما لو كانت الغطاء دى للعملات فى مصر . بعد جنون الذهب ! !

ولن يشفيهم من تلك العقدة ، ولن يشفى غليلنا فيهم إلا إذا أرسلنا مجموعة من ارين إلى إيران للمحاكمة أمام آية الله خلخالى رئيس المحاكم هناك . ليحكم م بالإعدام مع تجار المخدرات ، وعملاء السافاك ، ورجال البوليس السرى . بعد ذلك تكون « اللحمة » قد عادت ملكة لها بهاؤها القديم ، واحترامها على د ، عندما كانت تصدر الموانى ، مرفوعة الرأس فوق القوارب . ولها تلك ماشة الجميلة لحظة خروجها من المرق لتوضع فوق الثريد ولتؤنس الأرز فى نه الأبدية ، وبعدما يكون انتهى هذا العصر الذى جعلها الجزارون فيه ية الأحجام مثل الجاتوه ! !

وفى هذه الحالة وعندما أصبحت مثل الأحجار الكريمة والحلويات . قررت بينى وبين نفسى عدم التعامل معها ، وندمت على حبى القديم ، وتضحياتى من أجلها ، فهى سبب ضعفى فى اللغة الإنجليزية . واكتشفت هذه العلاقة بعد فوات الأوان ، فوالدتى رحمها الله .. كانت تقدم لى اللحم فى الصباح مع الإفطار وكانت ترى أن ذلك يجعل العقل سليمًا لابنها التلميذ . عندما يتلقى العلم . وتساعدنى بذلك على الفهم . ولكن النتيجة جاءت عكسية تمامًا . حيث كان يغلبنى النوم عند درس الإنجليزى ، فى « الحصة » الأولى فى أثناء الدراسة الابتدائية .

ولكن لايعلم الغيب إلا الله ، وربما لو فشلت فى دراستى بسبب اللحم .. كنت أتوجه بمواهبى نحو مهنة الجزار خصوصًا ، وقد بانت ملامح حبى لهذه المهنة فى بواكير طفولتى عندما شاهدت يومًا الجزار وهو يتعامل مع اللحم ، وقررت تقليد فى مهنته ، وأحضرت « فردة موسى » قديم وقطعت بها حذائى الجديد الذى اشتر لى أبى لكى أرتديه فى يوم العيد . ولولا جهود أمى رحمها الله فى إقناع أبى بالصف عنى : لكان حظى من العقاب كثيرًا ..

ولكن الحمد لله الذى جعلنى بسيطًا بين الناس ، لأننى عرفت أن مهنة الجز ليست كما تشتهى النفس الكريمة ، بعدما سمعت من المثقفين الأثرياء رأيهم فى ه المهنة !

فالمثقفون من الأثرياء مثلا يرفضون ركوب السيارات الفارهة والفخمة ، و قادرون على ذلك ، ولكن يفضلون السيارات الصغيرة حتى لايظن الناس أنهم الجزارين ! !

لو أن القانون يحاكم هؤلاء !

لو أن القانون يحاكم قليل الذوق .. لأنصفنى القاضى ! .. ولكن ماحيلتى .. وحيلتك أيضًا .. عليك أن تعامل الناس بأخلاقك أنت .. لابأخلاقهم .

واستمع إلى هذه الحكاية :

كنت فى الأتوبيس القادم من الزقازيق فى طريقه إلى القاهرة .. وأعانى من صداع فى الرأس ، وأقوم بمحاولة التغلب على هذا الصداع بالفرجة على الطبيعة ، ومحاولة معرفة عدد الأشجار على جانب الطريق وأنا أجلس فى مقعدى .. وفى إحدى المحطات صعد إلى السيارة رجل معه سيدة .. ولا أدرى إن كانت زوجته أو شقيقته ، أو إحدى قريباته ، إنما فى كل الأحوال ليست صديقة ، فالابتسامة بفرحة اللقاء والصحبة الجميلة غائبة عن وجهه ووجهها أيضًا .

ووجدتنى أقوم من مقعدى تاركًا مكانى لهذه السيدة لتستريح .. فالطريق طويل .. وربما كانت التكشيرة التى تعلو وجهها أنها تعانى مثلى من صداع أو آلام .. وجلست السيدة . ولم أستمع منها إلى كلمة شكر .. وفى الحقيقة غضبت لهذا المسلك ، ولكننى أقنعت نفسى بأن هذه السيدة ربما أنابت الذى فى صحبتها ليؤدى واجب الشكر ! ولكن ربما كان الرجل فى غفلة ! .. أو يعانى من الهموم ،

ومضت بنا السيارة تقطع الطريق . وأنا أحاول نسيان ماحدث .

وفى المحطة التالية نزل أحد الركاب . وكان يجلس بجوارها . وكان يجلس بجوارى قبل ذلك وعندما ترك الراكب المقعد استعدادًا للنزول . إذا بالشخص المصاحب للسيدة يزاحمنى . ويجلس بجوارها وصعد الدم فى رأسى . وزاد صداعى (وركبنى العفريت) وقلت فى سرى : والله لو كان هذا الرجل ترك لى المكان .. لكان الرد من جانبى هو الإصرار أن يجلس هو بجوار السيدة ، ولم أتمالك نفسى .. ووجدتنى عاجزًا عن الاستمرار فى شهامة ليست فى محلها . . ولم يحضر أهلها .. وشعرت بالاحتقار للرجل ، وفى لحظة وجدتنى أجذبه بقوة ليخلى المكان قبل أن يصل إليه . وجلست . . ولم ينطق كل منا بكلمة .. وإن كنت متحفزًا له .. والحمد لله على السلامة ! !

ارحمونى !

أنا لن أتحدث عن التليفونات وعذابها .. فأنا أعرف الكثير . ولكننى قضيت ليلة طويلة بالعذاب الأليم مع عاملة الترنك .. فقد حمل لى الرنين المتواصل فى بيتى صوتها يقول : إحنا الترنك وطلبت منى أن أتحدث ، وقبل أن أسمع شيئًا انقطع الخط ، وانتظرت وطال انتظارى . وكان كلما دق جرس التليفون أطلب من محدثى أن ينتهى لأننى فى انتظار مكالمة خارجية لأن هناك خطوطًا مباشرة تتصل بها عاملة الترنك بطريقة عادية لاتحتاج فيها إلى قطع المكالمات .

ومضى الليل بالانتظار ولم يتصل بى أحد ، وحاول طلب الترنك لمعرفة من الطالب ولامجيب ، ومن ياترى الذى يطلبنى فى عز الليل من الخارج ، وتشتد بى الوساوس ، وأسأل نفسى مرة أخرى ومرات : من ياترى من أهلى فى القرية أصيب

بمكروه . وهذا هو الخاطر الوحيد الذى ظل يسيطر على تفكيرى ، خصوصًا أن المكالمات الخارجية تكون فى العادة من أهلى فى الريف .. ياإلهى ماذا جرى لأسرتى .. اللهم اجعله خيرًا .. ولم أصل إلى شىء يعيد لى هدوئى ، ويبدد وساوسى خاصة أن هذا الترنك .. وقد حمل لى يومًا ذلك الصوت المعتذر الذى قال : امك ماتت ! !

نادى المرور !

عبد المنعم الصاوى وزير الثقافة والإعلام الأسبق من الذين لايرون فى المشاكل شرًّا كثيرًا . ولعله بنظرته المتفائلة يرى أن فى بعض المشاكل خيرًا ونحن لاندرى . وانطلاقاً من هذه القاعدة وجدته يومًا يقول لى ونحن فى حديث عابر وكنت أركب معه سيارته ، وقد وقفنا طويلا أمام إشارة المرور : أحيانًا أرى الكثير من أصدقائى فى إشارات المرور . وأتبادل معهم الحديث . وأفرح بمشاهدتهم بسبب مرور وقت طويل لم أرهم فيه . وبما كانت مشاغل الحياة وهمومها هى السبب فى التنائى ، ولضيق الوقت أصبح لايرى كل منا الآخر سواء فى النادى أو فى البيت وأصبحت إشارة المرور الطويلة هى بمثابة النادى الذى ترى فيه الأحباب ! !

سطور ناقصة .. فى كتب التاريخ

سعادة حقيقية .. ومتعة مضمونة أن تجلس مع توفيق الحكيم ، وأن تستمع إليه يتحدث ويسترسل ولاتقاطعه ، وحذار ان يشعر أنك تريد نشر حديثه فى الصحف .. فى هذه الحالة سيكف عن الحديث ، ويعود إلى صمته .. بل يخيل إليك أنه لايسمع .

اترك الرجل يتكلم فى مجلسه الكريم وصحبه الكرام أيضًا مثل نجيب محفوظ وصلاح طاهر .

وإذا أردت أن تسأل .. فوجه سؤالك وأنت فقط تريد أن تعلم شيئًا أو تستخرج كنوزه .. والأفضل أن تتركه يسترسل بلا مقاطعة ويطوف بك فى الآفاق مع فكره القديم الحديث وموضوعاته التى لاتغيب عنها المعاصرة فى كل شىء .

واليوم كنت أحد الجالسين .. ومن الذين معه .. وأخذنى بحديثه فى رحلة إلى المستقبل .. والغد الجديد .. وتخيلت الرجل أحد شباب هذا العصر من جيل الغضب الذى عرفته أوربا فى الفن والأدب .. والفكر . فأرى توفيق الحكيم ذلك الشيخ الذى يقترب من الثمانين يحدثنا عن مسئولياتنا تجاه الأطفال . ويطالب بتغيير

مناهج الدراسة بحيث نشمل إعادة صياغة كثير من المفاهيم ، وفى مقدمة هذه المفاهيم مفهوم البطولة فى كتب التاريخ .

فالموروث القديم من حكايات التاريخ عن البطولة ـ هو أن تكون قويًا باطشًا مثلما تصور نابليون وقمبيز والإسكندر المقدونى .

ويتساءل توفيق الحكيم : لماذا لاتكون البطولة فى رجل يحب الوردة ويعشق الخضرة ، وهوايته أن يغرس فى كل يوم شجرة .. أو فى كل عام .

لماذا لانضيف إلى مفهوم البطولة تلك الصفات النبيلة فى الإنسان ، ولماذا لانبرز هذه الصفات ؟ .. فعمرو بن العاص لم يكن فاتحًا لمصر ولاعارياً . ولا قاهرًا لابد أن نفتش فى تاريخه عن الجانب الآخر حتى يسير موازيا لصفاته فى القوة كذلك جميع الأبطال التاريخيين لم تكن الفروسية فقط هى القوة ، بل القدرة على الحب . والرغبة فى جعل الحياة عامرة بقيم الخير والجمال .

وبذلك نكون قد كتبنا سطورًا ناقصة عن مفهوم القوة والفحولة .. والرجولة البطولة فى كتب التاريخ !

البحث عن طريق آخر للفشل ! !

من البديهيات فى الحياة .. أن النجاح له أكثر من طرف يدعى الفضل فيه وأن الفشل له طرف واحد فقط !

وأنا أعلم أن هذه البديهية ستجعل وزارة الشئون الاجتماعية منى غاضبة ! وأعلم أيضًا ردها ووجهة نظرها بشأن هذا الموضوع الذى سوف أتعرض له بعد قليل .

وذات مرة كنا ضيوفًا على مائدة عشاء فى فندق شيراتون .. والحديث يسير كل اتجاه .. و «الكلام ابن ساعته» .. كما يقولون فى الأمثال .

والمتحدثون هم : الدكتور جمال مختار رئيس هيئة الآثار السابق .. والدكتور ناصر الدين الأسد المدير العام المساعد لليونسكو العربية سابقًا ، وبدر الدين أبو غازى وزير الثقافة السابق ، والدكتور محمد الصياد عميد معهد الدراسات الأفريقية الأسبق .

وكان محور حديث اللحظة .. أن العمل الإدارى أصبح يشكل خطرًا على الحياة العلمية للعالم عندما يصبح مديرًا .

ويقول الدكتور الأسد .. لذلك فإنه أشرف للعالم أن يظل عالمًا .. وأن يـ

بالحب مدرسًا أمام تلاميذه يلقى عليهم العلم فى محبة ..

ويرد الدكتور الصياد .. بأن هذا الكلام كان يصلح لجيل سابق من تلاميذ الجامعة .. وليس الآن .. فى عصر جامعة الأعداد الكبيرة التى يشعر فيها الأستاذ بأنه لايقول شيئًا لانعدام ذلك الأثر المقدس للعلم فى عقول الطلاب .. فالأستاذ .. كما لو كان يتحدث مع نفسه .. ويشعر بالمرارة والألم لذلك .

ويتفرع الحديث ابتداء من ضعف التحصيل عند التلاميذ مرورًا بتعيين الضريرات وخريجى أقسام اللغات الشرقية فى الجامعات فى هيئة الآثار ولايقومون بأى عمل .. وأصبحت الهيئة مجرد جهة صرف للمرتبات ، وانتهاء بالمشروع الفاشل للخدمة العامة للطلاب .

ويقول الدكتور جمال مختار .. إنه عضو بمجلس محافظة الجيزة وقد سمع أخيرًا من المحافظ أنه تم تعيين ١٥٠٠ من الخريجين للعمل سنة فى الخدمة العامة فى المحافظة ! !

ويعلق الدكتور مختار على ذلك أننا نعلم الخريجين منهج التزويغ فى بداية حياتهم .. نعلم الخريج كيف يوقع فى الدفتر ثم ينصرف دون أن يؤدى عملا .

فيرد الدكتور ناصر الدين الأسد فيقول : هذه بداية أليمة ومدمرة لنفسية الخريج طموح الذى يريد أن يعمل . . ولايستطيع .. ولا يوجد هناك من يدله على شىء مله . ولاأحد يريد العمل .. سواء كان موجهًا أو خريجًا ! وهذه ظاهرة خطيرة ب دراستها ووضع الحلول لها !

فيرد الدكتور الصياد قائلا : من الغريب أن وزارة التربية والتعليم تعانى من س شديد فى المدرسين .. فلماذا لاتكون سنة الخدمة العامة فى المدارس .. أو فى الأمية ؟ .. وهذه القضية يجب أن نتصدى لها كقضية قومية ولابد من عمل كل جهزة فى خدمتها . . والقضاء عليها . . لأن القضاء على الأمية هو القضاء على

كل أمراضنا وتخلفنا فى جميع الميادين . وسوف يأتينا النجاح فى كل مانعمل من كل اتجاه ؟

ويستمر الحديث .. ويستمر النقد لمشروع سنة الخدمة العامة للخريجين .. وهدموا المشروع من أساسه .. وتساءل المحدثون عن أسباب الإصرار عليه برغم فشله .. وبرغم النقد الشديد الذى تعرض له فى الصحف ؟.

وانصرفت بذهنى عن المتحدثين قليلا مع هذا السؤال : لماذا الإصرار على الفشل ؟! .. وهل العبرة بفكرة المشروع الباهرة ولاشك .. بل العبرة بنتائجه .. وهل تم تقويم هذا المشروع بصدق .. أم بخوف ؟ !

وهل هناك فكرة لتطويره وجعله لصالح محو الأمية :. والتدريس فى مدارسنا الخالية من كثير فى التخصصات .. أو حتى العمل فى الحقول لإنقاذ محاصيلنا .. أو التوعية بنظافة بيوتنا .. ومن بعد ذلك تجىء نظافة شوارعنا ؟ وكل هذه أعمال جليلة ونبيلة .. مادمنا نقول : إننا فى مرحلة إعادة بناء حياتنا من جديد بمنهج العصر ، والأخذ بأسباب الحضارة ! !

وأنصرف عن هذا الموضوع الذى بدأ يترنح فى ذهنى باليأس .. وأنتبه إلى المتحدثين وهم يخوضون فى حديث غيره ! !

أفادكم الله

قد يكون الهجوم على شركة مصر للطيران صحيحًا .. فأنا لا أكذبه .. ولكن ربما كانت صدفة فى كل أسفارى على شركة مصر للطيران .. تقوم الطائرة فى موعدها المحدد . وأن تصل فى موعدها المحدد ، وأن تكون مستوى الخدمة على الطائرة غاية فى الامتياز . وأن يكون الهبوط والصعود فى منتهى المهارة ..

أقول ربما كانت صدفة بحتة ولذا فأنا من أنصار شركة مصر للطيران . حتى آخر رحلتى الأخيرة .. فقد استمعت فى باريس إلى مواطنين يريدون العودة على شركة مصر للطيران . وعندما كانوا يسألون .. كان الذى يجيبهم بأن أسماءهم فى قمة الانتظار . مما يجعل الراكب يفضل شركة طيران أخرى تعطيه تأكيدًا بأنها قبلته كبًا إلى القاهرة .. وكنت أعلل ذلك بازدحام الشركة ربما لكثرة العائدين ، بسبب رغبة الكثيرين لزيارة مصر من رجال الأعمال بسبب الانفتاح الاقتصادى .

وكانت مفاجأة أن الطائرة التى حملتنى من باريس إلى القاهرة تكاد تكون كاملة من الركاب اللهم من فريق التجديف المصرى .. والطائرة .. فخمة .. فخمة .. من طراز بوينج ٧٠٧ التى تسع الكثير .. وأحزن لأنها خالية من

الركاب .. وحزنت أيضًا أن مستوى النظافة فيها ليس كما يجب . لم تكن لامعة تشرح الصدور كما كنت أراها .. وأرى الكثير من الزبالة تحت المقاعد والاتساخ يغطى جوانبها ويطمس بعض رموزها الفرعونية ، مع عدم العناية بالمقاعد التى تغير لونها بسبب عدم النظافة .. وأرى المضيفات فأحس بالإشفاق على الشركة من هذه الحالة التى وصلت إليها .. لقد كنا نرى أجمل بنات الدنيا على هذه الطائرات . وكانت رئيسة المضيفات سهام رءوف التى لاأعرفها وأسمع عنها من معارفى من المضيفات تفحص المضيفة قبل أن تطير وتطمئن على ماكياجها . وتسريحة شعرها وملابسها .

ترى ماحجة الشركة فى إهمال النظافة ، والخدمة ولعبة الحجز الغامضة ؟!! أفيدونا .. أفادكم الله ؟ !

السباحة القذرة !

فى زمن الانتخابات نسمع عن قانون النظافة . وأن المحافظ أمر بتوقيع عقوبات على كل مرشح قام بتشويه المدينة بسبب الملصقات والكتابة على جدران المبانى .

ويبدو أن ذلك القانون فى إجازة ، أو أن سلطات المجالس المحلية ضعيفة ، القانون ضعيف ، أو لم يجد ماينفذه لضعف سلطات الذين يقومون بتنفيذه ، لا فما هو سر الاستمرار فى العدوان على الجدران بقبيح الصور والكلام ؟ !

وكلما سرت فى أى طريق أجد القبح يغطى أجمل مبانينا وجدران بيوتنا ، ولم يسلم من ذلك الجامعات والمستشفيات ، وفى هذه الأيام يطاردنى واحد يقول عن نفسه (أديب الشباب) ويدعونا للسباحة معه ضد التيار . والأغرب من ذلك أنه يكتب مهنته خلف اسمه ، وأشك أنه يعمل بالمحاماة . لأن المحامى أو القاضى أو الموظف ، يرفض مبدأ التشويه والاعتداء على القانون ، أو حتى تعليمات السلطات العامة ، ويرفض العدوان على الناس .

وكان أولى بذلك المحامى أن يذهب بكتابه إلى الكتاب والأدباء والنقاد فى دور النشر ، ليكتبوا عنه إن وجدوا له قيمة . وأن يبشروا به . وأن الموهبة خلقت

لتشع ضوءا للناس ، وإذا كانت الكتابة لاقيمة لها ولاتصدر عن موهبة فصاحبها فقط أولى بها .

وأديب الشباب المحامى الذى يلطخ كل الجدران بالبوية السوداء ويقول : من يسبح معى ضد التيار ؟ .. وأن كتاباته يعارضها الأزهر ، ويملأ الأوتوبيسات بالاعلانات وتعلوها صورته التى تعكس وضعه المتأمل كتلاميذ المدارس فى الابتدائى عندما يريدون صورًا وهم يلبسون (العقال) أو يضعون أيديهم على خدودهم لكى تظهر الساعة المستعارة من المصور ، كان أولى بهذا المؤلف أن يدفع تكاليف ذلك فى إعلان واحد فى صحيفة كبرى .

ولكن الكاتب اختار التشويه طريقًا وبداية ، ويطالبنا بالسباحة فى المياه القذرة ، وطبعًا لن يجد من يسبح معه .

إننى أطالب السلطات المحلية أن ترفع الأذى عنا ، وأن تعاقب ذلك المعتدى على الذوق العام والجدران . ونفس الكلام على متعهدى الدعاية لمطرب تملأ العاصمة صوره بلا مبرر سوى أنه سوف يغنى (أو يصرخ) على مسرح كوبرى الجامعة . وأن تلزم هذه السلطات هؤلاء وكذلك أصحاب مدارس السباحة وقياد السيارات ، وتعليم اللغات بنفقات إزالة أوساخهم للعاصمة . وكفانا زبالة الطرقات ! !

الرجل الهايف !

ماهو المطلوب من أى إنسان بالضبط وبالتحديد أن يفعله إذا وجد أمامه سيارة وعليها شارة مهنية تفيد أن راكبها صحفى أو إذاعى أو ضابط ، أو قاض أو محام أو مهندس ، أو زراعى . أو صيدلى .. إلخ ؟!

أنا لاأعرف بالضبط ماهو المطلوب ؟! كل ماأعرفه عن نفسى أننى أشعر بالقرف من كل من سار فى الطريق معلنًا عن نفسه .

وكأنه يريد أن يقول لنا : أنا أهو ! !

وإذا أراد أن يفعل المذكورون ذلك .. فما الذى أفعله أنا . هل أقوم بواجب التحية والتعظيم ؟

أم المقصود هو إرهاب رجل المرور الغلبان ؟! ففى هذه الأيام انتشرت ظاهرة الإفصاح عن الذات بوضع الشارات على السيارات .

وأصبحت أجد الكثير من العلامات على ثمر العربات ولاأفهم مدلولها . أو فى أية مهنة يعمل ذلك الأفندى راكب السيارة .

كل ماأعلمه أن راكبها رجل هايف وصغير ، فأنا أعرف الكثيرين من الأطباء لايضعون شارتهم على السيارة وشارة الأطباء هى الأصل فى كل الشارات . وقد

اخترعت فى زمن الحرب العالمية ، حتى يعرف الناس أن راكب السيارة طبيب فيأخذه الجنود فى ساعات حظر التجول إلى حيث يسعف جريحًا فى الطريق ..

وبعد الحرب استمرت تلك الشارات فى أوربا والعالم ، ولايضعها الطبيب إلا فى حالة الاستدعاء لإنقاذ مريض حتى يسمح له بالوقوف فى الأماكن الممنوعة . ولكن المسألة أصبحت « هوجة » والأكثر من ذلك أصبحت ترى شارة الطبيب على السيارة وفوقها « نسر » وهذا يعنى أن راكب العربة ياناس ياهوه حكيم وضابط كمان !! وكذلك تجد شارة « النسر » وتحتها ميزان وهذا يعنى أن هذا هو نائب أحكام . وكذلك نرى الميزان بجوار علامة الصحافة .. وهذا يعنى أن ذلك الأستاذ هو فى الشئون القانونية فى مؤسسة صحفية !! .. عجبى !!

علمًا بأن شارة الصحافة كان القصد منها هو السير فى الأماكن الممنوعة حتى يصل الصحفى إلى مكان الحادث أو المؤتمر . ولكن فى المؤتمرات أصبح لكل مؤتمر شارة خاصة به . وهذا معناه أنه ليس كل صحفى يستطيع الدخول إلى هذا المكان .. فماهى حجة الصحفى فى تلك الشارة ؟ اللهم إلا تلك الرغبة فى حب الظهور .

والذى أعرفه أن الصحفيين الحقيقيين الذين يمارسون مهنة الكتابة باحترام لايضعون هذه الشارات . ولم أعرف كاتبًا واحدًا أو صحفيًّا كبيرًا وضع هذه اليافطة ولكن الذين وضعوها فى دور الصحف هم موظفو الإدارة مثل موظف الحسابات والإعلانات والتوزيع والجراج والمطابع . وهؤلاء لهم منا كل تقدير ولكنهم لايستطيعون الزعم بأنهم صحفيون !!

طبعًا هذا بالإضافة إلى الصحفيين الصغار والجدد الذين يحرصون على وضع هذه الشارة من باب « العياقة » وحب الظهور .

والغريب فى الأمر أن قانون المرور لايسمح بهذا العبث .. ولكن لم يحترم ذلك القانون .

وهنا يبرز سؤال ماقيمة القانون فى غياب تنفيذ ذلك القانون ؟!!!

وماالعمل - حتى تختفى تلك الهيافة من الشوارع والعقول أيضا ؟!! ... لاأعرف !!

وماهو المطلوب منى أن أعمل عندما أرى هؤلاء فى الطريق ؟ .. والجواب لاأعرف !

كل ماأعرفه أن ذلك هيافة .. ومرض والعياذ بالله !!

صبر أيوب !

ماذا جرى .. الرعب يسكننى .. لابسبب ماأسمع عن انفجار أنابيب البوتاجاز .. ولكن بسبب ماأسمع من صديق يروى لى ماحدث . فما الذى حدث ؟ واحد استولى على شقة أسرة بالقوة .. مدعيًا أن صاحب الشقة أجرها له مفروشة لمدة عام .. وهذا هو توقيعه على عقد الإيجار ..

ويروى الصديق أنه استمع من أحد أقارب الذى اغتصب الشقة وشرد صاحبها أنه قام بتزوير توقيعه مستغلا تأخير إجراءات التقاضى والعدالة . فهو يعرف أن البوليس سوف يحمى الأمر الواقع ، وعلى النيابة أن تحول القضية إلى المحكمة . وتأخير العدالة سوف يعطيه الوقت للوصول بطريقة أو بأخرى إلى غرضه .. فى هذه الحالة يصبح تأخير العدالة نوعًا من الظلم المستمر .

وقضية تأخير العدالة بحث بسببها الحناجر .. ونحن نعرف أعباء القضاة وآلامهم .. ولكن لابد من وسيلة .. أى إجراء يحمينا من ذلك الرعب الذى يسكننا . وحتى لاتصبح إجراءات التقاضى أمام المحاكم نوعًا من أنواع الجريمة المستمرة !

حج غير مبرور

هذا العائد من أرض الحجاز .. حجه غير مبرور .. وذنبه غير مغفور ؟ .. هذا الحاج هو الذى لم يعرف نعمة اطمئنان القلب ، والصبر ، والخشية والورع والتقوى عند المسجد الحرام ، وأمام قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ! !

هذا الحاج عندما عاد إلى أرض البلاد ، أفزع الليل فيها ، بطلقات الرصاص .. يطلقها على قلب هدوء الليل وقلوب النائمين . فهذا الحاج إذا كان لم يطلق الرصاص ، فإنه على الأقل سمح بذلك لمستقبليه من الأقارب ، ولم يردعهم عن ارتكاب هذا الإثم ، والفسوق فى حق المجتمع ! !

هذه الطلقات التى أصابت نومى بالقلق ، وأيقظت ابنتى بالرعب ، أرجو من الله أن يردها إلى قلب صاحبها ، فالمجتمع غير محتاج إلى هذه الهمجية فى التعبير عن الأفراح .

وقد جاء هذا السلوك القبيح ، عشية صدور قوانين الانضباط فى الشارع مصرى . وكان الفاعل يريد اغتيالها مع سبق الإصرار والترصد . وإذا كنا نرفض لك فى الريف ، فما بالك أن يحدث هذا فى المدينة !

ولذلك فهذه القوانين .. إذا لم تكن هناك سلطة تنفيذية تحرسها بالروع ،

فسيأخذها العابثون إلى مقابرها المجهولة . . وإذا لم يساعد المجتمع السلطة التنفيذية على حراستها . فسنصبح شعبًا فى الغابرين !

فنحن نسمع عن كثير من القوانين لاتنفذ أو يتحايل الناس عليها . وتكون النتيجة واحدة . . وهى ما نعانيه الآن من فوضى فى كل شىء !

نحن نريد السلوك المحترم أن يكون منهج حياة . فى كل مكان . لأن الدولة لاتستطيع أن تعين حارسًا لكل فرد . . وهذا مستحيل ! وسأضرب للناس مثلا رأيته بنفسى رأيت صاحب سيارة ملاكى القاهرة صفراء اللون ومن خلفها ستائر . وتحمل رقم ١٦٨١١٨ رأيت صاحب السيارة يريد العودة بسيارته فى الاتجاه المخالف أسفل نفق شارع الهرم . . وهو قادم من الجيزة . ويريد العودة من جديد ولم يصبر حتى أول فتحة بعد مسجد نصر الدين فى أول شارع الهرم . وكانت النتيجة أن المرور قد أوقف تمامًا فى الاتجاهين . لأن صاحب السيارة وهو « غلام » لم يتجاوز العشرين من العمر بقليل قد وقف بسيرته بعرض الشارعين فاستحق لعنة الناس جميعًا ، ولكن فى صمت ، وكانت « نجاحة » « الولد » أعلى صوتًا من الناس .

مثل هذا « الصبى » يصلح لأن يكون لصًا لأنه غافل عسكرى المرور . وضابط المرور ، وأمين الشرطة فى المنطقة وفعل هذا . وفى شارع يحتاج إلى ساعات لتسير فيه بضعة أمتار فى الصباح ! ولانعلم ماالذى أصاب شارع الهرم بهذه الكارثة كل صباح ، وأيضًا ميدان الجيزة ! !

وهل يعقل أن ترسل إدارات المرور عسكرى فى كل خطوة ؟ . . ونحن نراهم على الطريق .

وفى الحقيقة . . أن وجود هؤلاء يعطينا قدرا من الأمان لحراستنا من القتلة على الطريق ، وحمايتنا من الأتوبيسات واللوارى والتاكسى . . خصوصًا « البيجو

واللهم اجعل كلامنا خفيفًا عليهم .. واحفظنا يا الله منهم .. فإنك خير حافظ وأنت أرحم الراحمين ! !

وبعد .. فكلماتى لم تزل خجلى من كثرة الكلام عن الانضباط فى الشارع المصرى ، وكأن الكلام ليس للناس . وكأننا قوم من الهمج ! حتى هذه اللحظة من الليل أسمع مظاهرة السيارات بالضجيج فى شارع الهرم لزفة عروسين !

وأنا بالطبع لاأدعو لها بالسعادة لأنها سرقا السكينة من قلب الناس الطامعين فى النوم فى هدوء الليل .. هذا الزواج المفروض فيه المودة والرحمة والسكينة بنص القرآن الكريم . يتحول إلى شىء منكر ، ومناسبة نستقبلها بالقبح الشديد .

والغريب فى الأمر .. أن تجد كل إنسان يستجدى الهدوء ويستنكر الإزعاج ، ويهلل فرحًا لقوانين الانضباط ، وكأن الذين يحيشون بأحقر الأفعال ليسوا منا !

وأنا أسكن شارع الهرم . وأرى مواكب القبح عيانًا ، بيانًا . وكأن القوانين ليست لنا ، ويزداد الأمر سوءًا عندما ينعطف الموكب القبيح فى الشوارع الجانبية !

ومع أن الأفراح والأحزان أشياء شخصية جدًا ، إلا أننا نصر على جعلها عامة !

وفى الحقيقة أنا فى حيرة .. وإلى من أتوجه بحديثى . وماذا نفعل نحن الذين نادى بالسلوك المحترم . وماذا تفعل الدولة أكثر من إصدار القوانين؟ أغلب الظن نى سوف أذهب لمشاركة الذين ينالون من سمعة هذا الشعب فى المجالس الخاصة . يبدو أن الأمر يحتاج إلى تربية على امتداد أجيال أو أحكام رادعة تنفذ . ويشهدها لأ من الناس . أو أصمت حتى تنهش الغربان لحمى ! وماقيمة قانون لاتنفذه حترام . وماقيمة قانون يتحايل عليه أولاد الحرام ! ! وأولاد الحلال غفلة واليأس صامتين . . وكأن الأمر لايعنيهم ! وسأضرب لكم مثلا سمعته من ديق كريم .. قال هذا الصديق وهو وزير فى الحكم : إن الدولة أرادت من أجل

توفير الغذاء للناس أن تسمح لبعض الفلاحين من الذين يريدون عمل مزارع سمكية فى حقولهم باستخراج تصريح من مديريات الزراعة فى المحافظات .. والفكرة من ذلك ، أن الفلاح الذى يقوم بتربية الماشية ، والدواجن فى البيت من أجل لحمها وبيضها يستطيع أيضًا أن يجعل مساحة محدودة من أرضه كبحيرة لتربية الأسماك ، تكفى أسرته ، وتفيض على غيره بالسمك . وفى ذلك الخير والبركة والطعام لكل الناس فماذا كان ؟ .. الذى حدث أن أخذ الفلاحون هذه التصاريح ، واستغلوها فى تجريف الأرض بدعوى المزارع السمكية ، وباعوا تراب الأرض لأصحاب مصانع الطوب وقبضوا الفلوس ، ولم يقوموا بعمل شىء . وبذلك نجا كل محتال من عقوبة تجريف الأرض الزراعية والمنصوص عليها فى القانون ! .. وآخر الكلام .. هل أقول : عليه العوض فى الأخلاق ؟!

دعاء ليلة القدر !

طالب من الله .. ولايكتر على الله .. شقة واسعة .. هواها بحرى وإيجارها يتعدى عشرة جنيهات بدون مقدم ولاخلو ، وفى مكان قريب . ولابأس أن كون فى الأحياء الراقية ! لأننى فى هذه الأيام أعانى من الاكتئاب النفسى بسبب ر الذى جعل مصر العظيمة كما لو كانت إحدى مشيخات الخليج فى زمن بل البترول ! ونظرًا لأن شقتى قبلى غربى وآخر دور ، فالشمس فى حالة إقامة ة فى بيتى ، ومدار السرطان يمر من فوق رأسى ، ودرجة الحرارة تصل إلى مة آلاف ، لاكما تقول مصلحة الأرصاد الجوية ، وكلمة النسيم افتقدناها إلى د ولايمكن أن تجدها إلا فى القاموس القديم ، لهذه الأسباب أدعو الله مخلصًا رزقنى بالشقة المذكورة ، أو يجعل الشتاء فى مصر سرمدًا إلى يوم القيامة ..

كعك العيد !

أظن أنه لم يعد خافيًا على أحد فى الداخل والخارج مانعانيه . وأن الأزمة الاقتصادية التى نشهدها تهددنا جميعًا . وأنه أصبح من المعلوم أن مصر تستدين من أجل الطعام . وهذا قدرنا بسبب الظروف القاسية التى مرت بها مصر . ولاتزال تمر بها .

وأظن أيضًا أنه من العيب جدًّا أن تستدين الدولة بالفايظ وبالربا الفاحش من أجل كعك العيد .. وأن هذا الكعك لاهو طعام مفيد ولاهو بالقوت الضرورى للأمة المصرية ! . وأظن أنه من العار أن نذكر دائمًا مافعلته الأمم قبلنا فى زمن الحرب ، ومابعدها حتى تبنى خرائبها . وأن نقول إن نصيب الفرد فى بريطانيا كا نصف بيضة فى الأسبوع ، وإن المواطن الألمانى كان يقطع أكثر من عشرة كيلو مترات يوميًّا سيرًا على الأقدام حتى يصل إلى عمله لعدم وجود مواصلات . وهكذا فعلت اليابان أيضًا . ونهضت ألمانيا واليابان وبريطانيا . وفرنسا . وهذه السطور موجهة إلى القادرين من الشعب . والأغنياء أما الفقراء . . فيكفيهم فقرهم وهم لايستطيعون شراء هذا الكتاب حتى يطالعوا هذه السطور وهذه ليست نكتة فهناك دراسة عن توزيع الصحف والكتب تقول : إن نسبة بيع الصحف والكتب

تقل فى الأيام الأخيرة من كل شهر . وهذا يعنى أن هناك من لايجد قرشين ثمنًا لصحيفة اعتاد قراءتها فى نهاية الشهر ، وفضل أن يشترى القارئ الفقير خبزًا على شراء صحيفته .

هذا القارئ لايحتاج أن نقول له لاتأكل كعكًا فى العيد !

أكرر القول : بأن سطورى موجهة للأغنياء والقادرين ولست فى حاجة أن أضم صوتى إلى صوت وزير التخطيط فى مصر الذى يناشد الأمة بالاستغناء عن كعك العيد . كل عام وأنتم بخير بلا كعك فى العيد ! !

واشتعل الضوء بالظلام .. أسفا وحزنا

الجلوس مع عقول مصر وعقلائها يعطينى الإحساس بأننى أستقبل بالحب ضوءً يأتينى من كل بدر منير . وأننى أجلس بالسعادة تحت ظلال المعرفة التى طالت أشواقى لمعرفتها وفى هذه اللحظة أجلس فى حضرتها الزكية . وكنت قبل ذلك مثل الصحراء التى تنتظر المطر .

وأحاديث العقول والعقلاء تأتينى من كل اتجاه ، وهى أشبه ماتكون بالروافد الآتية من الأراضى العالية لتصب ماءها العذب فى النهر الكبير والنهر هنا هو الثقافة فى مصر . والحضارة فى مصر .

ومن الروافد مايشبه الأنهار .. ومنها مايشبه الجداول فى العطاء ، كل على قدر مايحمل من ماء الخير والحياة ..

وبدأت الجلسة بكلمة من الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالات القومية المتخصصة ، أشار فيها إلى أعمال المجلس القومى للثقافة .. وطلب الدكتور سليمان حزين أن يستعرض التقرير الذى أعدته شعبة الثقافة .. و استعراض التقرير الذى تضمن دراسات عن الثقافة والحضارة ، جرت منا عامة حول ماجاء فى هذا التقرير .. واشترك فى المناقشة الدكتور زكى نجيب مح

والذى حدد الإطار العام للثقافة وأساسها الذى تقوم عليه وأثر العقيدة الدينية ، والانتماء العربى والتكوين المصرى فى ذلك .

كما أشار الدكتور رشاد رشدى إلى أنه يستحيل فرض وصاية على الأجيال القادمة من خلال تصوراتنا لمفهوم الثقافة ، كما أشار الروائى نجيب محفوظ إلى أهمية الحرية فى التكوين الثقافى عند الإنسان .

وأثار الدكتور أحمد هيكل عميد كلية دار العلوم ، قضية هامة عندما تحدث عن ضرورة إسهام المؤسسات المالية فى مصر فى النشاط الثقافى المصرى ، فهذه المؤسسات تحقق الثراء الواسع من مال الشعب مثل البنوك وشركات التأمين ، وهى مطالبة أيضًا بإنفاق بعض مالها على نشر الوعى الثقافى مثلما يحدث فى كل دول العالم المتحضر فى أوربا الغربية وأمريكا .. وقد ذكرنى حديث الدكتور هيكل بحديث قائل للدكتور عبد العزيز السيد وزير التعليم الأسبق عندما قال : إن مهمة الجامعات هى التعليم .. ولكن ازدهار البحث العلمى تساعد فيه مراكز البحوث العلمية التى تقيمها المؤسسات الصناعية الكبرى فى البلاد المتقدمة ، وبالأخص فى الولايات المتحدة .

وإلى هذا الحد استمرت المناقشات هادئة إلى أن أثار الدكتور أحمد هيكل قضية أخرى .. وفجأة شعرت أن أضوائى الداخلية التى غمرها فيض العلماء ، قد امتلأت بالعلم نورًا ، قد اشتعلت بالظلام أسفًا وحزنًا عندما قال : إن الشخصية المصرية لمصر توشك أن تصاب بالانفصام !

وتساءل : هل من الممكن أن نتعلم العلم ونصادره ؟.. وقال : إن ثقافتنا اليوم يراها البعض حرامًا خالصًا ، ويراها البعض الآخر حلالا خالصا .. وروى الدكتور هيكل أن بعض المعيدين بكلية دار العلوم ، أصر على إغلاق الميكروفون بنادى هيئة التدريس ، لأنه يرى أن ذلك حرام .. ومعيد آخر قام

بتحطيم البيانو الموجود فى نفس النادى ، لأنه حرام ! ! .. وتساءل مرة أخرى : من الذى حرم ذلك .. وماهو مفهوم الحرام والحلال عند هؤلاء ؟ !

وهنا طلب الكلمة الدكتور عبد العزيز عيسى وزير الأوقاف الأسبق وقال : لو أن الدولة استجابت للدراسة التى قدمها الأزهر حول إدخال الثقافة الإسلامية فى المدارس والجامعات لما حدث مثل ذلك .. وهذه الدراسة تجعل الطلاب على معرفة من أمر دينهم الحنيف ، والذى لم يحرم مثل هذه الأمور ، التى تجد من يحرمها الآن .. وقال الشيخ عبد العزيز عيسى : إن هذه الدراسة أوصى بها الأزهر منذ أكثر من ثلاث سنوات ، ولم يأخذ أحد بها .

وقد أوضح فضيلة الشيخ عبد العزيز أن هذه الدراسة تتعامل بالاحترام مع كافة الأديان ، لأن الإسلام أوصى خيرًا بأهل الكتاب .. كما أن الثقافة الإسلامية هى التى أبقت على المجتمع العربى .. ثم عادت المناقشات إلى هدوئها ، وسارت تتحدث عن شخصية مصر ، والتى هضمت كل الثقافات ولن يؤثر فيها الغزو الفكرى ، وأن كل الثقافات التى اجتاحت مصر استوعبتها مصر ، ودخلت فى الكيان الثقافى المصرى .. وأن الأدب العربى استوعب أيضًا كتابات الأعاجم وأصبح ذلك من التراث العربى ، والدليل على ذلك ماكتبه ابن المقفع فى كليلة ودمنة ، وهو من أصل غير عربى .

وقد حفلت المناقشات بأشياء .. وأشياء .. لايتسع المقام لذكرها .. وكل تستهدف المضى قدمًا نحو المسار الصحيح للثقافة المصرية من أجل الإنسان مصر .

زواج عرفى !

نهضت السيدة الفاضلة جارتنا من فراشها بسرعة ، والتى كانت ترقد فيه بسبب المرض . وأصابتها الدهشة القاسية عندما سمعت حوارًا غريبًا بين طفليها . فالطفل الصغير الذى لم يتجاوز الخامسة من عمره يقول لشقيقه الأكبر الذى لم يصل بعد إلى التاسعة :

أنا أحب زميلتى فى الفصل سنة أولى حضانة وأريد أن « أبوسها » وأتزوجها !

فغضب منه أخوه الأكبر وقال له : كيف تتزوجها دون أن يدرى بابا وماما بهذا الزواج ولابد أن تطلقها فورًا .

فقال الطفل الأصغر : كيف أطلقها . . والمأذون لم يحضر . وأنا تزوجتها بعقد عرفى ! !

وعند هذا الحد صرخت والدة الطفلين ، وسألت :

من الذى علمك مثل هذا الكلام ياولد ! !

فقال الطفل الصّغير فى هدوء : أصل أنا سمعت الكلام ده فى التليفزيون وأنا رج على المسلسلات !

وقلت فى سرى : رحم الله طفولتنا التى قضيناها فى اللعب فى الطين ، ورحم صبانا الذى لم نتعلم فيه سوى موعد وصول الماء إلى « الترعة » فى قريتنا ، ورحم شبابنا الأول الذى تعلمنا فيه من شيخ المسجد الكثير من أنباء الغيب ، والتى ت فى قصص القرآن الكريم عن طوفان نوح ، وحرق إبراهيم ، وسجن ف ، وهرب موسى .

كما عرفنا أيضًا من ذلك الشيخ الكثير عن نهر رجب فى الجنة ذلك النهر الذى ب منه الصائمون . وعرفنا عن نهر رجب ولم نكن نعرف شيئا عن نهر النيل ! !

فساد الذوق !

ماالذى أصاب الناس فى أذواقهم .. وأى بلاء هم فيه واقعون وهم لايشعرون ! ! وقد تبدو كلماتى للوهلة الأولى أنها عبارة عن ترف ذهنى . ومأأنا من المترفين . ولكن الذى أراه يوميًا يصفع نظرى ، ويمثل عدوانًا على الذوق الرفيع وفيه إيذاء للمشاعر !

والحكاية ياسادة أن بجوار بيتى « عمارة تمليك » وباعها صاحبها إلى ساكنيها فإذا هم لايعجبهم لون الأبواب والشبابيك فجاء كل صاحب شقة بعامل بياض ، يتفقوا على لون محدد . وكانت النتيجة ذلك الخليط المنفر من الألوان .

وأنا أكره أن أقول : إن القانون فى كل مكان فى العالم يلزم كل صاحب بيت جديد بالمحافظة على لون ونمط المدينة التى يقع فيها المسكن الجديد ، حتى يكون لكل مدينة طابعها . فقد سئمنا تكرار ذلك .

وكنت أريد أن أسأل وزير الثقافة عن مصير قانون كان المرحوم يوسف السباعى يحاول إصداره .. إذا لم يكن صدر بالفعل وتعطل العمل به ، وهذا القانون محاولة لتجميل وجه مصر ، وذلك محاولة للحفاظ على طابع العمارة فى البلاد . أن هذا القانون كما سمعت يلزم كل صاحب عمارة بأن يعهد إلى فنان تشكيلى لتنـ

ديكورات مدخلها ، مع وضع لوحات فنية أو تماثيل إذا أمكن فى مداخل المبانى الحكومية .. حتى نساعد على ازدهار الحركة الفنية ، كما لابد أن نتواضع جدًّا عند الحديث عن القاهرة لابالنسبة للمدن الأوربية مثل لندن وباريس وجنيف ولوزان فى سويسرا أو روما . ولكن أيضًا نتواضع أمام هذه العواصم الأفريقية الصغيرة التى رأيتها والتى تكاد أن تكون مجهولة وهى باهرة الجمال فى طرازها ونظافتها مثل داكار فى السنغال والتى تشبه باريس وأيضًا أبدجان فى ساحل العاج ، وماباتو فى موزنبيق والتى تشبه لشبونة عاصمة البرتغال ، ونيروبى فى كينيا وهى تشبه لندن فى جمالها ونظام مبانيها ، وكذلك لاهور فى باكستان . وتونس وعمان فى الأردن وطنجة والرباط ومراكش فى المغرب . فاللون الأحمر يغطى مراكش والأبيض هو طابع العاصمة الرباط .. والمدينة الوحيدة المتعددة الأنماط هى أغادير فى المغرب بسبب الزلزال الذى دمرها فى أوائل الستينيات .

وعندما أرادت كثير من الدول أن تساعد المغرب فى إعادة بناء المدينة . اقترحت حكومة المغرب على كل دولة مساهمة فى إعادة البناء أن تخصص لها منطقة بأكملها يكون فيه البناء على نفس طراز عاصمة الدول المساهمة ..

ولذلك يمكن أن نرى فى تلك المدينة الجميلة الواقعة على المحيط الأطلسى عددًا من العواصم الأخرى . وعندما تنتقل من لندن إلى القاهرة ، أو نيويورك أو السعودية .. مع أنك مازلت فى المغرب أو فى تلك المدينة التى لم تتخل عن طابعها المغربى الجميل فى كثير من أحيائها السكنية ..

ولكن ماذا أقول عن قاهرة المعز ، وأم الدنيا ، وكبرى المدائن . ومأأصابها من تدهور .. هذا بالإضافة إلى فساد الذوق وفقدان القيم الجمالية .

ومرة أخرى أقول لو أن القانون يحاكم قليل الذوق .. لدخل الكثيرون فى قفص لاتهام .. ومنه إلى السجون !!

أخلاقنا فى خطر !

أريد أن أطالع فى القريب العاجل دراسة علمية عن الأخلاق الجديدة فى زمن محنة المواصلات .

وأريد أن يقوم بهذه الدراسة المركز القومى للبحوث الاجتماعية هذا المركز الرائد فى بحوثه القيمة فى علم الاجتماع .

ومنذ سنوات سمعت عن دراسات للدكتور سيد عويس الذى لاأعرفه وتناول فيها رسائل المواطنين من البسطاء إلى الإمام الشافعى والسيدة زينب والأولياء لحل مشاكلهم ، كما سمعت عن دراسات للكلام المكتوب حول وخلف سيارات النقل والأجرة وعربات الكارو مثل الحلوة دى من المنصورة ، وحاسب « عليا » أنا غلبان . ويالناس ياشركفاية قر ، انقطاع صلة رحم أو قربى أو صداقة ، أريد أن أعرف العلاقات الجديدة بعد فساد الخلق وبعد فساد المواصلات . فى عصر لاتستطيع أن تقول فيه وداعًا لمهاجر أو مرحبًا للقادم بعد رحلة سفر . أو أن تسأل فيه عن مريض أو صاحب حاجة من أهلك ، أو تهنئة مواطن قريب لك فى يوم عيد أو مناسبة سعيدة ، أو مواساته فى مكروه أصابه . خصوصًا أنك لاتستطيع

الذهاب إليه بوسائل المواصلات أو التاكسى . لصعوبة الأولى . وندرة سيارات الأجرة .

أريد أن أعرف فى الدراسة الجديدة حجم الكسل فى العمل الذى أصاب الناس ، وعدد الساعات المهدرة ، ومقدار التلف فى الأعصاب الثائرة والمتوترة !

أريد أن أعرف فى الدراسة الجديدة حجم خسائرنا من الناحية الاقتصادية بسبب سوء المواصلات عمومًا ، خصوصًا أننا نعرف أن المواصلات البطيئة معناها التنمية البطيئة بسبب عجز الدورة الاقتصادية والمالية .

نريد دراسة تعطى جميع حياتنا التى أصابها العطل نتيجة لأعطال المواصلات .

والمركز القومى للبحوث هو أقدر مؤسسة علمية تعرف أن الحضارة مواصلات ومن هنا كانت نشأتها الأولى على ضفاف الأنهار وشواطئ البحار ؟ !

أريد عاجلا أن أعرف الكثير . ولعل ذلك يكون حافزًا لمواجهة أخطار حياتنا وأخلاقنا .. وهذا هو المهم أو الأهم ! !

كلام الليل !

الجو المتقلب فى الزمن الردىء يجعلنا ننشد السكون فى مساكننا ! والتليفزيون أصبحت سعادته مضمونة بعد ما تحسنت برامجه ، وتنوعت . وفى كثير من الأحيان تصبح فى حيرة .. أى البرامج نشاهد .. وكلها جميلة وأحيانًا أسأل : هل همت مصطفى استجلبت لنا خبراء أجانب لإمتاعنا ؟ ..

والجواب أبدًا .

فقط هى استشعرت رغبات الناس واستجابت لها . . وقدمت لنا السعادة بنفس جهاز العاملين القديم على وقت من حرير ! ويكفى هذا القدر العظيم من الإبهار الذى شاهدناه فى ليلة مولد النبى وقبلها فى ليلة رأس السنة لذلك المخرج الباهر عبد العزيز السكرى ، وكان التليفزيون يقدم لنا قبل ذلك فى ذكرى المولد الشريف مجرد فيلمين وكلامًا مللناه قبل الفيلمين وهما : الشيماء ، وفجر الإسلام . وكل التنوع الذى كان يقدمه التليفزيون فى الماضى هو أن الفيلم الذى يذاع فى المساء .. يذاع عند الظهيرة فى العام التالى .. أو العكس .. ويادار مادخلك شر !

ولكن ليس كل مانتمناه ندركه . . مع العلم أن فى استطاعتنا إدراكه . . وهذ ليس من المستحيل .

فأحيانًا يصيبنا سوء الاختيار فى سهرات المنوعات بالنكد العظيم . وذلك عندما يقتحم شاشة التليفزيون هذا الحشد من الفرق الغنائية الجديدة ، والتى أصبحت مثل الطفح الجلدى الذى أصاب الغناء المصرى والذى يحتاج إلى قافلة من أطباء الجلد الكبار فى مصر من أمثال الظواهرى والمفتى ومحمد ندا للشفاء منه !!

فهل يعقل أن نستمع فى ليلة واحدة إلى أولاد شفيق أبو عوف فى هذا المسخ لذلك العمل الغنائى الرائع وهو (الليلة الكبيرة) والذى هو من أروع ماكتب صلاح جاهين ومن أروع ألحان عمنا الكبير الشيخ سيد مكاوى . وكذلك أولاد حسن الإمام .

والعيال الذين أسموا أنفسهم بالمصريين والأصدقاء ومحمد نوح . وأجارك الله سمير صبرى وعماد عبد الحليم والإسكندرانى وخلافه ؟!

وفى تلك الليلة . . هبط علينا الليل طويلا . . وثقيلا . . وهربت إلى النوم .

ورأيت فيما يرى النائم أن عصابة الألوية الحمراء ، قد خطفت سمير صبرى . طلبت فدية قدرها « ربع جنيه » للإفراج عنه . . ولم يدفع أحد !! .

حلم غريب !

خير .. اللهم اجعله خيرًا يارب العالمين . فقد رأيت فيما يرى النائم أننى أقف عند بيتى فى شارع الهرم ، والشارع نظيف ، وتحفه الأشجار والظلال تغطيه ، وأرى على القرب « تاكسى » فرفعت يدى مناديًا ، فيقف على الفور ، ثم يسير إلى الخلف فى بطء ، ويقف أمامى وأركب ، ويسألنى السائق فى أدب عن المكان المراد الذهاب اليه فأقول له شارع فؤاد وأنا أرتعد خوفًا ، فإذا به يقول : حاضر ولفت نظرى نظافة السيارة من الداخل وأنه لاتوجد بها بقايا طعام أو قشور فواكه أو لبان ، وتسير السيارة دون أن أستمع إلى قبيح الكلام من السائق ودون أن يحكى مشاكله أو قصة حياته . فقط . كنت أستمع إلى أم كلثوم بصوت خفيض وهى تغنى « الأولة فى الغرام » ، وتلفنى النشوة وأستعيد مجد الغناء وذكريات الغرام وتقف السيارة أمام المحل المقصود فى الشارع فى أمان الله . وأنظر إلى العداد فأجد سليما ، وأن المبلغ المطلوب ٢٧ قرشًا . وأعطى للسائق ثلاث ورقات فئة العشر قروش ، فإذا به يعيد لى ثلاثة قروش ، ويرفع يده بالتحية ويقول : مع السلامة وأخيرًا صحوت من النوم !!

كذب المنجمون !

أنا أعرف أن هذا الفلكى كاذب .. ويقول كلامًا غامضًا ومبهمًا مستغلا حب الناس وتطلعهم إلى معرفة مستقبلهم .. وهى رغبة أصيلة فى الإنسان . . ولازمته منذ القدم .

وأنا لى شخصيًا تجربة معه أمام أنيس منصور عندما روى لى عن أشياء كاذبة تمت لى بصلة . وقلت ذلك لأنيس منصور فقال لى إنه يعرف حقيقة أمره ، لكنه يستغله فى توزيع مجلة آخر ساعة عندما كان يرأس تحريرها .

ومن بعض أكاذيب هذا الفلكى أنه تسلم ذات مرة ٥٠٠ جنيه من الملكة علياء لكة الأردن نظير قراءة بختها . . ويومها قال عنها كلامًا جميلا وأن نجمها فى صعود ، وأن الخير .. كل الخير فى انتظارها .. وبعدها بأيام هوت الملكة بطائرتها .

روت لى هذه الحادثة من خلال دموعها هالة جلال هاشم خالة الملكة علياء حرم السفير عادل السباعى مدير مكتب الجامعة العربية فى الأرجنتين . وقد تسلم لكى هذا المبلغ عن طريق شقيقتها ليلى حرم سامى السيد المحامى ، وهى حتى قبل ه الحادثة كانت مبهورة به من كثرة ماسمعت عنه من خوارق .. هى من صنع تربته الكاذبة .

زكام فى راديو لندن

يعجبنى أداء المذيعين فى راديو لندن .. وطريقة قراءتهم لنشرة الأخبار .. وترحيبهم بالمستمعين فى برامجهم الخاصة . هذا الأداء .. وهذا الترحيب .. لاتملك إلا أن تشعر معه بالحب .. والألفة لهم على البعد .

وأشعر بصداقة معقودة بيننا عندما يعتذر المذيع عن تأخر أحد زملائه وهو يقول .. لعله قادم فى الطريق الآن .. ويرجونا فى الاستماع إلى دردشة حتى يصل ثم يعلن وصوله .. وذلك المذيع يقوم هو الآخر بالاعتذار عن تأخره دقيقة . كذلك دعوة المذيع للسامعين إلى قضاء بعض الوقت معه لحين الانتهاء من إصلاح العطل الفنى فى الاستوديو المخصص لبرنامج معين . ووصلت الألفة بين المذيع لنشر الأخبار وبين المستمعين إلى أن يقول : أعتذر لرداءة صوتى بسبب الرشح والزكام ياسلام !! وأضحك طبعًا .

وفجأة قدم لى الدكتور محيى الدين صابر وزير التربية والتعليم فى السودان سابقا الأديب السودانى الطيب صالح صاحب الرواية الشهيرة (موسم الهجرة إلى الشمال) . وأنا أعرف أن الطيب صالح يعمل فى راديو لندن .. وكان من الطبيعى أن أسأله عن هذه الطريقة فى أدائهم لعملهم .. وهل هذه الطريقة مطلوبة من

من مجلس الأمناء الذى يشرف على هذه الإذاعة . . أم أن هذا التقليد هم الذين وضعوه . . فقال لى : لقد ذهبنا جميعًا نحن الإذاعيين من مختلف أقطار الوطن العربى . . والحماس يغلب علينا . . والصراخ طابع صوتنا . . ولكنهم هناك قالوا لنا . . دعوكم من هذه الطريقة . . ولاتتركوا سجيتكم . . واعلموا أن الأسرة الدولية تستمع إليكم كما لو كانت أسرتكم . داخل بيوتكم . . فكونوا طبيعيين مااستطعتم . فالإذاعة هنا تعترف بالضعف البشرى ! !

هذا الكلام للقارئ . . واسمعى ياجارة !

آه . . لو قرأ هذا الكلام الإذاعى صالح مهران . . وهو يطاردنا بصوته عندما ينادى على تمثيلية من إخراج أبو سليم البحطيطى ! !

الوزير .. والتليفونات !

خبر سبق نشره فى الجرائد .. الخبر يقول : إن أحد السفراء الآسيويين . بعث إلى حكومته يطلب منها قطع حرارة التليفون عن السفير المصرى فى عاصمة بلاده . والمعاملة بالمثل فى العرف الدبلوماسى . فتليفون السفير الآسيوى معطل منذ شهور.

وذات مرة حضرت اجتماعًا . كان الدكتور بطرس غالى وزير الخارجية قد عقده مع السفراء الأفارقة وأثار بعض السفراء متاعبه مع التليفونات فى اجتماع الوزير ، وقال إنه لايستطيع الاتصال بالوزارة للاستفسار عن شىء . ولا بمصلحة الاستعلامات أو أية جهة يريد أن يعرف منها شيئًا مما يجعل مهمته فى القاهرة شاقة وعسيرة .

وطلب السفير من الوزير أن يبذل جهده لإصلاح التليفونات ..

فقال الدكتور بطرس غالى : وأنا أضم صوتى إلى صوتك .. وأصوات كل الناس فى شكوى جماعية أرسلها إلى وزير المواصلات ..

وكان من واجبى أن أحمل هذه الشكوى ، وأجعل منها سطورًا فى بطاقة عيد أرسلها إلى الوزير الجديد .

الناس .. والبنك !

مع الأسف الشديد .. يبدو أننا أصبحنا مغرمين بمنظر الطوابير فى كل مكان . ولتذهب صرخات الناس إلى الصحراء ، حتى لايسمعها أحد ! وكما لو كان المسئولون فى أجهزة الدولة ومؤسساتها ، قد توقف بهم الزمن عند شكل معين ، حتى ولو كان هذا الشكل ظاهره وباطنه العذاب .. فكل موسم نسمع عن نسف الروتين . ورفع المعاناة عن الناس ، وهز الجهاز الحكومى .. إلخ ولكن هيهات ! !

فمثلا بنك ناصر الذى يقوم بخدمة جليلة للناس ويساعد المحتاجين ، لابد وأن يصيبه ما أصاب جهاز الحكومة من تعقيدات تاريخية .. هذا البنك مشكورًا يقدم سلفة لكل طالب جامعى فى أثناء دراسته ، وذلك من فرع البنك الخاص بكل جامعة فى القاهرة والمحافظات .

ويهيأ للإنسان أن طريقة سداد هذا القرض ستكون بهذه الطريقة .

ولكن .. لا .. لماذا يستريح الناس . ونظرية التعادلية تحكم الحياة ومعنى ذلك أنه إذا صادفت الفرح والسعادة يومًا ، فلابد أن تدفع ثمن ذلك شقاءً وأحزانًا ولأنه أصبح من مسوغات التعيين على كل خريج جامعى أن يقدم شهادة من البنك أنه ليس مديناً له .

ولذلك فالمدين وغير المدين عليه أن يتوجه إلى فرع البنك بجامعة عين شمس لاستلام هذه الشهادة . ومن هنا « وعينك تشوف النور » ترى عشرات المئات من الخريجين يأتون من كل فجٍ عميق إلى هذا المكان من أجل الشهادة المذكورة من البنك .

والسؤال البسيط جدًّا : لماذا لايأخذ خريج الجامعة هذه الشهادة من فروع البنك فى الجامعات المختلفة ، بدلاً من رحلة العذاب للقادمين من الأقاليم إلى القاهرة مع مصاريف السفر ، ونفقات المبيت الباهظة فى العاصمة ، والبقاء لعدة أيام على الأرصفة للقادمين من الإسكندرية حتى أسوان . والتى تبلغ نفقات استخراج هذه الشهادة أضعاف ما اقترضوه من البنك . مضافًا إلى ذلك العذاب !

وللعلم .. الكثير من الخريجين . قرر نسيان هذه الشهادة . ونسيان سداد القرض . وذلك بالنسبة للذين لايريدون مغادرة القطر المصرى . أما بالنسبة للذين تداعبهم أحلام السفر إلى الخارج عليهم باستخراج شهادة عذاب .. والأمر من قبل ومن بعد لله رب العالمين ! !

طه حسين فى صالون أنيس منصور

أنيس منصور يتحدث إليكم هذا الصباح ، بعد قليل وبعد هذه الكلمات التى قلتها له سائلا إياه عن موقفه من طه حسين الذى اعتقدت أنه نال منه ، الأمر الذى « هز » إعجابى به .

وكانت كلمات أنيس عن الدكتور طه حسين فى معرض حديثه عن العقاد . وكانت « جملة » لأنيس .. لم أستطع معها صبرًا . . وتحدثت معه ليلا ليكون موعدنا فى الصباح . وكان هذا اللقاء بينى وبينه والذى دام طويلا ، وكان هذا الحديث . وعندما أقول : أنيس منصور يتحدث إليكم .. فإننى أعنى أنيس بكل ما يمثله ، وقبل أن يبدأ أنيس فى الحديث . . إليكم أعيد نشر هذه الجملة التى ضاق بها صبرى وصدرى .. وجاءت فى المقارنة بين العملاقين العقاد وطه حسين .

والتى قال فيها أنيس : إن العقاد كان محل الإعجاب ، أما طه حسين فكان محل الشفقة والعطف من الناس . وبدأت كلامى مع أنيس بأن طه حسين هو الآخر كان محل إعجاب وتقدير الناس .. وإليكم حديث أنيس :

إن الدكتور طه حسين كان محل إعجابى . وإعجاب كل الناس وقد بهرنى عمله . وبفكره . وهذه الجملة لاتمثل رأيى الآن فى الدكتور طه حسين . ولكن

كانت تمثل رأيي عندما انفعلت وبعدما استشعرت لحظة أن الدكتور طه حسين لايحب العقاد .

إذن كان هذا الرأى هو اعتقادى فى حينه منذ وقت طويل . وكنت واقعًا تحت تأثير العقاد . أو بمعنى أصح عندما انشغلت بالعقاد عن طه حسين . أو عندما وقعت فى فلك العقاد ، وهربًا من فلك آخر هو طه حسين أو عندما جذبنا المجال المغناطيسى للعقاد ، وبعدنا عن المجال المغناطيسى للدكتور طه حسين . ولكننى بعد ذلك لم « أجمد » رصيدى لدى العقاد وحده ، ولكن لدى رصيد كبير من الحب والإعجاب أيضًا بالدكتور طه حسين .

وفى الفلسفة اليونانية القديمة نذكر أحد فلاسفتها القدماء الذى أخذ مصباحه فى وضح النهار وراح يبحث فى ضوء الشمس عن إنسان وكان موضع الدهشة أنه يفعل ذلك .. ولكن كان من نتيجة هذا البحث أنه أضاف إلى ضوء الشمس نورًا آخر ، ولم يجد الإنسان .

والمعنى هنا : أن البحث عن الإنسان شىء مستحيل ، وأقدر الناس على الرؤية عاجز عن رؤيته ، وذهبت هذه القصة مثلا فى تاريخ الفلسفة .

أما الدكتور طه حسين فصورته أعجب من ذلك بكثير فهو ذلك الكفيف الذى يرتاد الأدب الجاهلى والمجهول المصدر والمعالم والهوية والحقيقة ، والسند والدليل . ولكن عبقرية طه حسين جعلته يضىء جوانب الأدب الجاهلى ، ويصلح طرقه ويعبدها لمن يسير بعده ، ويضع المعالم ، ويحدد أشجارها وفروعها . ويوزع بطاقات شخصية على كل من يلقاه من أبناء القبائل ، ومن رواتها ، وشعرائها وشيوخها وأمرائها . وقد فعل طه حسين ذلك لكل القادرين على الرؤية والأقدر منه على الرأى أيضًا .

فأسلوب طه حسين – فى كتاب « فى الأدب الجاهلى » الذى صدر عام ١٩٢٧ أى منذ ٥٤ عامًا – فى غاية الجمال ، وقد أعدنا طبعه فى هذه الأيام لقيمته الفكرية الفنية العظيمة .

وطه حسين هو الذى سوى الشعر الجاهلى وجمله أو جعله يستوى حتى يصبح أمامه بشرًا سويًّا ، واضح المعالم ، مبين اللسان ، المعروف الهوية والأصل . ويكفى على سبيل المثال أن نقرأ مع طه حسين امرأ القيس ، وقد بحث طه حسين فى كل شعره ، ووصل إلى أن امرأ القيس لم يكتب سوى قصيدتين فقط ، وفيما عدا ذلك من شعر فهو منحول عليه .

ولو قرأت ماكتبه طه حسين عن الشعر الإسلامى فى صدر الإسلام ، ورأيت طه حسين وهو يصفى ويغربل هذا الشعر كله ، وهو ميراث ضخم حتى يصل إلى ماهو صحيح فيه ، لوجدت نفسك أمام رجل ليس مبصرًا فقط ولكنه « زرقاء اليمامة » . وصاحب رؤية أبعد وأطول مما يراه غيره من المفكرين والعلماء المبصرين ، وهو صاحب بصر أطول وبصيرة أنفذ بالفهم فى مناقشة قضايا الأدب والفلسفة .

ويكفى أن تعلم أنه فى هذا الكتاب قد أثبت شيئًا خطيرًا وهو أن طه حسين قد نفى أن يكون لليمن شعر ، لأنه لم يجد فى الشعر الجاهلى شعرًا يمنيًّا ، واستدل على ذلك بأن الشعر المنسوب لليمن « قرشى اللهجة » وهى مختلفة تمامًا عن اللهجة اليمنية . وفى ذلك قضاء مبرم على شعر اليمن ! !

رحم الله طه حسين . فقد رحل ، وبقى منهجه للذين يريدون العلم والخير لناس .

الأديبات الثلاث ومستقبل القصة !

رحم الله رشدى صالح ، فهو الذى رعى تلك الفكرة الجميلة فى آخر ساعة . وهى فكرة قصة الصفحة الواحدة التى تتضمن قصة قصيرة . ودائمًا ماأقرأ هذه الصفحة بحب وترقب .

ومن خلال المتابعة اطمأن منى الفؤاد على مستقبل القصة فى مصر . بعد أن قرأت عن أزمة القصة القصيرة ، ومأأثير حول هذا الفرع من الأدب . وهو أدب مستحدث ، عرفناه أخيرًا بعد أن استقر فى أوربا وأمريكا وروسيا على أيدى الرومانسيين الأوائل أمثال جى دى موباسان فى فرنسا ، وتشيكوف فى الاتحاد السوفيتى ، وإدجار الآن بو أرنست هيمنجواى فى أمريكا .

وبدأ فى مصر على أيدى آل تيمور أحمد تيمور فى محاولاته الأولى . ومحمود تيمور بعد ذلك . ثم محمود طاهر لاشين ، ومحمود كامل ، ومحمود البدوى . وإبراهيم المصرى ، ويوسف جوهر . وعبد الحميد جودة السحار .

وسارت بعد ذلك قافلة الخير بالعطاء الكثير من الأدباء والكتاب وكان فى طليعتهم منذ أوائل الخمسينات وحتى الآن الدكتور يوسف إدريس . وضمت هذه الطليعة ثروت أباظة ، وجاذبية صدقى ، وحسين القبانى ، وصبحى الجيار .

ويوسف الشارونى ، ونجيب الكيلانى ، وعبد الله الطوخى ، وسعد مكاوى ، وسعد حامد وحنيفة فتحى .. ومن بعد ذلك غادة السمان ، وزينب صادق ، وجيلان حمزة فى الستينيات .

ثم أثيرت الأزمة وظهر من كتابات النقاد أن هذا النوع من الأدب يعانى الفقر والأزمة . ولما جاءت صفحة آخر ساعة تبين أن القصة القصيرة بخير ، وأن الأزمة هى أزمة النشر ، وعندما أتيحت الفرصة ، عرفنا أن العقم لم يصب الأدباء .

ولكن الظاهرة اللافتة للنظر أن الخير الذى جاء مع قصة الصفحة الواحدة فى آخر ساعة .. إنما جاء على أيدى الأديبات .. لاالأدباء .

وكان أحسن ماقرأت حتى الآن هو لكاتبات صغيرات فى السن ، ولكنهن طويلات القامة فى هذا الفن ، على الرغم من أنهن مازلن فى بداية الطريق

وشعرت بأن الكون كله يناجينى وأنا أدخل عالمهن المسكون بالمفاجآت والرمز والرعشة الغامضة ، والنجوى الحميمة داخل النفس ، والأحاسيس الدافقة كشلال ضوء واعد بالنور لنرى أن من حولنا أديبات تعرفهن ساحة الأدب لأول مرة مثل سكينة فؤاد ، وعلا المستكاوى ، وسلمى شلاش وعائشة أبو النور .

ومرحبًا بهن على درب لم يزل أمامهن طويلا ، وشاقا ومجهولا .

مرحبًا .. مرحبًا !

السنيورة نيللى .. وغرام عبد المتجلى !

انتهيت من الفرجة على فوازير السنيورة « نيللى » فى التليفزيون وفى هذه اللحظة يقودنى الكسل إلى الفراش تحت إلحاح النعاس ! وقبيل الدخول فى النوم ، وجدت كلمات كثيرة تجرى على لسانى .

وكانت الكلمات تنطلق منى فى ظلام الغرفة مثل قناديل الفرح .. وهذه القناديل كما لو كانت فى ليلة عرس حول عروس جميلة من زمان الأساطير . وكانت عروس كلماتى الملونة فى إعجاب . . وفى حب هى كاملة الأوصاف نيللى !

ولاأعرف متى أخذنى النوم .. ولكن كلماتى ظلت مع نيللى والفرح ساهرة ورأيتنى فى النوم .. وقد عاد لى النشاط وأريد أن أكتب تحقيقًا أستطلع فيه رأى الجماهير فى الفوازير !

وكان أول من التقيت به الفنان الراحل نجيب سرور .. ووجدتنى أسأله رأى فقال : لو أننى على قيد الحياة لقلت فى نيللى إنها شجرة عظيمة فى بستان الفن مثل النخلة . وكنت قلت :

العواف عليك يا نخلة
يامضللة ع الباب

راخيه الصفاير
وبجمعه الأحباب !

وسألت واحدًا من الفلاحين فقال : أنا شديت لها تلغراف على البندر وقلت لها فيه . جعلك الله لنا زخرًا !

وقال إبراهيم الوردانى : نيللى هى فرح رمضان الباذخ الثراء .

وقال محسن محمد : لقد قرأت عن نيللى الكثير فى البرقيات التى كان يرسلها المعتمد البريطانى فى مصر اللورد كرومر إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وكشف عنها النقاب أخيرًا بعد ٧٥ عامًا .

وقال أنيس منصور : إن نيللى عندما تنظر وراءها فى غضب مثل كولن دلسون بعد خلفها المطربة وردة ، وعندما تريد أن تمسح همومها فى حائط الزمن الرابع قبل ن يسقط تجد فايزة أحمد أيضًا .

وقال الدكتور لويس عوض : إن الآلهة فوق جبل الأوليمب كانت تعرف للى ، كان رب الأرباب زيوس قد وقع فى غرامها مما أشعل الغيرة فى قلب زوجته يرا . كما أنها كانت السبب الحقيقى فى حرب طروادة وحصارها الشهير فى زمن غريق .. وإن كانت ملحمة هوميروس .. الإلياذة والأوديسا قد أغفلت ذكر ى لأسباب رومانطيقية ترجع إلى غنائية الشعر العربى الذى لم يعرف الملحمة راع البشر مع القدر !

وقال الدكتور رشاد رشدى : لقد التقيت بالفنانة نيللى فى رحلة البحث عن ن فى لندن ، وكانت تحضر حفل « ريبرتوار مسرحى » أى إعادة لبعض يرها السابقة ، وكانت تستعد بعد ذلك للسفر إلى مسارح برادواى فى أمريكا ل بعض الفوازير هناك لإنقاذ هذه المسارح من الإفلاس !

وقال لى صلاح جاهين : أشعر أن تكريم نيللى يصل فى بعض الأحيان إلى حد

التجاهل لمجهود المخرج فهمى عبد الحميد .. وأن الفوازير هى بطولة المؤلف والمخرج ونيللى . وقال : إن نيللى هى حمامة النوح المدلعة .. وروح الروح .

وقال أحمد بهجت : لقد جاء فى أسفار اليهود على لسان أحد الأحبار أن يوحنا المعمدان كان يراها مثل الطيور ، ويعطف عليها .. وكانت لطيفة مثل القطط الأليفة فى الحياة .

وقال أحمد رجب : إن صديقه عبد الروتين أخبره على يد محضر بأنه لن يستطيع مشاهدة نيللى وإلا بعد معرفة اسمها الثلاثى .

وقال المتجلى النبراوى : إن حركة نيللى فى الفوازير منسجمة تمامًا مع حركة الحياة مع الأخذ بالأسباب والمنهج .

وقالت سناء فتح الله : إن المنظور المنطق لحياة نيللى يجعلها تنعطف نحو الانكسار الداخلى ، إذا ماصطدمت بخطوط العرض الطولية عند الرؤية التكعيبية لذلك نرى نيللى كثيرًا ماتتسطح على الخطوط المتوازنة .. وتنام ! !

وقال عبد الفتاح البارودى : إن نيللى فى حركتها ليست على علم بالدراما وهى بسبب الجهل والشللية لم تتعلم الغناء المسرحى للموسيقار سيد درويش . ويجب أن تستفيد من أرسطو وكيف كان فلاسفة اليونان يؤلفون الأغانى الجماعية فى فوازير رمضان ! .

وقال أحد العلماء فى السياسة الخارجية : إنه باستقراء الأحداث نجد أن نيللا محاصرة بمؤامرة من دولة عظمى ، تخطط لانقلاب ضدها فى الخريف القادم وذلك بإعطائها (مربة خرز البقر) مما يجعلها قعيدة بيتها بسبب السمنة . ولكن ذكاء نيللى ربما جعلها تفلت فى اللحظة الأخيرة من حصار خضر العطار !

وقالت ممثلة عجوز : يارب أشوف نيللى السنة الجاية فى بيت العدل

وقال أحمد الصاوى محمد : وصلتنى رسائل من الأديب الطبيب مصطفى الديوانى . وخبير الضرائب سابقًا إبراهيم الشعرانى . والأخ النابه عطية خواسك يعبرون فيها عن حبهم للسيدة الفاضلة نيللى ذات الجمال الخلاب . ويتمنون لها العيد السعيد والعمر المديد !

وقال أحد المؤرخين : إن نيللى كانت وراء نكبة البرامكة فى زمن هارون الرشيد ، حيث أراد يحيى البرمكى أن يتخذها جارية لنفسه . وكذلك أراد جعفر البرمكى . ولكن الخليفة فطن للأمر .. ونصحهم أن يتركوها لعامة الناس يتفرجون عليها فى التليفزيون الملون . وإذا كان ولابد من الفرجة على نيللى فى كل وقت فعليهم بشراء فيديو كاسيت !!

وقال مسئول كبير بوزارة التموين إن نيللى سلعة أساسية لابد من دعمها . ودخولها فى التسعيرة الجبرية حتى يصل الدعم إلى مستحقيه !!

وقال إحسان عبد القدوس : إن نيللى لم تزل ثقبًا مضيئًا فى الثوب الأسود للفن . ولذلك نراها تجرى وراء طفولتها ، وتمسك بسماعة التليفون وتطلب لشيراتون وتعطى حبيبها موعدًا . لم تتردد ، ولم تذهب إليه . ثم تغضب من نفسها .. لأنها تريده .. وتريد أن تقول له تصبح على خير وتصبح على حب !

وقال كمال الملاخ : ثلاثى رمضان ص . جاهين (٥١ سنة) وف . عبد الحميد ٢٨ سنة) ونيللى (٢٩ سنة) هم وصفة الدواء الناجحة للصائمين أما نيللى فهى ب الماء المثلج فى عز الحر .. وهنيئًا للصائم !! وتحية لثلاثى أمسيات الصيام !!

وقال محمد زكى عبد القادر .. إن وجه نيللى فى المساء كوجه الصباح فى البكور غسله الندى المعطر برائحة الزرع فى الحقول . وأقول إن نيللى فى الفوازير بحث الوجه الآخر فى طريقها نحو النور ..

وقال أحد أدعياء الرسوخ فى العلم :

لقد أقمت بينى وبينها سدًا وسألته لماذا ! قال : لأن نيلنى أمان يلّى : فقلت : إذًا لا أفهم . وكان متكئا فجلس .. وصرخ قائلا : إنك لمن الغافلين ثم صحوت من النوم ! !

الحكيم والمسلسلات

قال لى الكاتب الكبير توفيق الحكيم . إن التليفزيون يستولى علىّ فى هذه الأيام .. وأنا الآن أعيش لحظات من الوحدة ، وتقتلنى الكآبة ، بعد وفاة الزوجة ، ووحيدى إسماعيل . كما أننى لم أعد أفكر . وأصبحت مثل الآلة التى أصابها العطل بسبب القدم .

وبسبب هذه الظروف لاحياة لى إلا مع التليفزيون ، ولكنه يزيد من قلقى بسبب هذه المسلسلات التى يتعمدون فيها « المط .. والتطويل » . بلا مقتضى .. أظل أساير هذه المسلسلات لأعرف كيف تنتهى القصة .. أو المسلسلة ، وأنا أريد متابعة تطور الحدث دراميًا

« انتهى كلام توفيق الحكيم » ولكننى أختلف معه قليلاً فى مسألة القلق الناجم عن انتظار النهاية ، لأننا لو نظرنا قليلا إلى الحلقة الأولى بعمق .. لوجدنا أننا نعرف مسار الحلقات المقبلة ، ونكاد نعرف النهاية !

فمثلا مسلسل « بعد الغروب » عرفنا من الحلقة الأولى . وتوقعنا نهايته . وجاءت أحداث والنهاية مطابقة لهذا التوقع . وذلك بسبب المعالجة السطحية للعمل والى أو الفنى .

فكاتب السيناريو من البداية جعلنا نعرف أن أميرة (صفية العمرى) ستقع فى غرام ناظر الزراعة المهندس (حسن يوسف) . لأنه جعل ابن عمها سامى القادم من بلاد الفرنجة (فرنسا) طالبًا فاشلا وكاذبًا . ولم يحصل على الدكتوراه . ومقامرًا . وجشعًا فى حب المال . وصوره فيما لايعرف الحب . فقط يحب المال ! .. لذلك أصبح من المؤكد أن تتجه أميرة بعواطفها إلى حب ناظر الزراعة المثقف والأمين . والمعتز بذاته . وصاحب القلب الذى يذوب حبًا وكرمًا وحنانًا !

فى هذه الحالة لاجدوى من الصراع . وأصبحت القضية محسومة لصالح الخير . ولكن كان من الأفضل أن يكون سامى هو الآخر شخصية جذابة وحاصلا على الدكتوراه . وليس من الضرورى أن يكون من التافهين فى الحياة .. بل الأوقع أن يكون من الناجحين فى حياته . ومن هنا يكون الصراع أوقع . ومبرر الانتظار ما سوف تسفر عنه نتيجة هذا الصراع القوى

فالبطلة لم حيرة أمام من تختار ومن تحب ؟ .. هل تحب الخاطر الأمين . والمثقف . أو القريب الغائب والمختار من والدها . ولم ينبض له قلبها نبضة واحدة بالحب ؟ !

هل تتزوج من اختاره قلبها .. أم تنحاز إلى اختيار أبيها وهى واقعة تحت تأثيره ؟ .. هنا يكون الصراع .. وهنا يكون الانتظار نبيلا لما سوف تأتى به الأحداث ! !

والأمثلة كثيرة على ذلك فى بقية المسلسلات .

وملاحظة أخرى لفتت نظرى فى مسلسل : « العملاق » أن العادة التاريخ اعتمدت على عامر العقاد ابن شقيق العملاق . وسكرتيره . وهذا بالط لايكفى .. فبرغم معرفة عامر العقاد لطباع عمه وبعض سلوكياته فى المنزل و الناس .. فهو بالتأكيد لايعرف أسرار العملاق .. وقد جرت العادة على

الإنسان لايبوح بأسراره لأقاربه . أو لسكرتيره .. ولكن يبوح فقط للصديق . لأن الكلام الحميم والخاص والذى يتضمن أسرارًا سواء كانت عاطفية أو سياسية أو غيرهما .. لايقال فى حضرة السكرتارية أو الأقارب . فقط يدور مع من يحب الإنسان من أصدقائه . . ومنه مايقال للإفضاء لكى يبوح الإنسان ويستريح ، أو يبوح طلبًا للرأى والخلاص من الحيرة فى اتخاذ الموقف أو القرار .

وبقية الملاحظات الأخرى ، قد كتبت فى حينها . ولعل أحسن ما قيل فى هذا الصدد هو ماكتبه أستاذنا مصطفى أمين عن تاريخ الأديبة مى زيادة . وعن تاريخ سعد زغلول والخديوى عباس حلمى وكيف أنه كان يتحدث العربية كأحد أبنائها وبلسان فصيح ! ولكن العسير على المألوف فى تصوير الشخصيات جعل كاتب السيناريو يقع فى هذه الأخطاء التاريخية . والتى كان من السهل أن يتجنبها ! ولكن وكما يقول المثل الشعبى على مين تقول مزاميرك ياداود ؟ !

أديب !

أصبح المخرج يحيى العلمى رمزًا للجودة للمسلسلات التليفزيونية ، وخصوصًا بعد أعماله الجادة مثل الأيام ، وزينب والعرش ، والعملاق ، وأخيرًا أديب . وفى حقيقة أن هذا العمل الممتاز يشارك فى نجاحه عدة عوامل منها النص الرائع للدكتور طه حسين ، وكاتب السيناريو والحوار محمد جلال عبد القوى ، ومجموعة الممثلين العظام وفى مقدمتهم نور الشريف وإبراهيم الشامى والممثل القدير الذى نسيه النقاد وهو على الغندور ، وأمينة رزق وعبد البديع العربى ، والجميلة نورا التى لعبت أحسن أدوارها ، وصلاح السعدنى ، وبارك الله فيهم جميعًا !

ولكن إذا كانت لنا ملاحظة .. فإننا نبديها على استحياء للمخرج وكاتب السيناريو والحوار ، وهى الجزء الخاص بمقهى الأدباء فى باريس ، وإعجاب أدباء باريس بالشاب إبراهيم عبد الله الذى أعاد أمجاد الشاعرين الفرنسيين فيكتور هوجو ، ولامارتين . والملقب بشاعر البحيرة الحزين . وأنا أعلم أن أدباء الغرب عمومًا وأدباء فرنسا خصوصًا لهم رأى فيما يعرض عليهم من أعمال فى مجالات الفن والأدب ، ومنها الشعر والفلسفة . وهم باحثون دائمًا عن الشىء الأصيل والجديد فى هذه الفنون . ولايبهرهم من يقلد كبار مفكريهم وأدبائهم وشعرائهم . وعاد

مايقولون عن الأدباء والشعراء والباحثين من الدول الأخرى والذين درسوا بإعجاب أعمال أدباء وشعراء وفلاسفة فرنسا ، واتبعوا منهجهم العلمى فى البحث والدراسة .. يقولون :

هذه بضاعتنا ردت إلينا من جديد . وهذه إشارة إلى عدم اقتناعهم بأعمال الآخرين من الأمم الأخرى . ويعنى أيضًا أنهم مقلدون .. لامبدعون !! لذلك كان من الأوقع أن يتلافى المخرج وكاتب السيناريو والحوار ذلك بأن يجعل أدباء باريس يعجبون بموهبة إبراهيم عبد الله ، وتفوقه فى اللغة ودراسة هوجو ولامارتين وإبداعه الأصيل من شعره هو ، ووجدانه هو ، حتى ولو كان محليًا . ولكنه يتصف بمواقف إنسانية يجتمع عندها الجميع بإعجاب .

ولعلنا نذكر أن كل الأدباء الفائزين بجائزة نوبل للأدب أهم فى الأصل أدباء محليون ، عبروا حدود المحلية إلى العالمية بفكرهم وإبداعهم الذى له صفة الإنسانية .

مع أسمى التقدير إلى كل من ساهم فى سعادتنا بالجهد القادر لهذا العمل النادر !

الأدباء الثلاثة

صعب أن تظفر من روائى مصر الكبير نجيب محفوظ برأى محدد . حتى فى رواياته .

ونجيب محفوظ عف اللسان . قليل الكلام فى مجالسه .. ومنذ أيام التقيت به فى الإسكندرية .. وكان يجلس فى مجلسه المعتاد ومعه بعض الأدباء والأصدقاء والمعجبين من القاهرة والإسكندرية .

والندوة لم تأخذ شكلها المعتاد لعدم وصول توفيق الحكيم إلى الإسكندرية بعد . والندوة فى هذا المكان باسمه حتى لو كان يجلس فيها نجيب محفوظ .. وهو الذى يقول ذلك . ويقول أيضًا إنه الجدول وتوفيق الحكيم هو المحيط وفى أثناء جلسة الأصدقاء سأل أحد الحاضرين نجيب محفوظ سؤالا : هل قرأت كتاب يوسف الشارونى الأخير (الأدباء الثلاثة) .

فأجاب نجيب محفوظ : لا وصمت .

فقال السائل : إنه عنك وعن يوسف السباعى وعبد الحليم عبد الله .

وقال السائل لنجيب محفوظ : لعلك تأثرت من يوسف الشارونى عندما كتب كتابًا باسم (الأدباء العشرة) ولم تكن واحدًا منهم .

فقال نجيب محفوظ : لكل كاتب مطلق الحرية فى أن يقول مايريد حتى ولو حذفنى من الحياة الأدبية ولم أكن أحد العشرة الذين ذكرهم ولعل الكاتب له عذره عندما كتب ذلك . وله رأيه وله ظروفه التى أجبرته على هذا الرأى حتى ولو كانت بالوهم . وكل ما أستطيع قوله : إن يوسف الشارونى صديق عمرى . وسبق أن كتب عنى مرارًا وكتب عن روايات صدرت لى فى بداياتى الأولى ولذلك فله رأيه فى الأولى والأخيرة .

وفسر أحد الحاضرين موقف الشارونى من حذف نجيب محفوظ من كتاب لأدباء العشرة الذى صدر منذ سنوات بأن ذلك يرضى يوسف السباعى ، بسبب هم أو إشاعة راجت بأن السباعى لايحب نجيب محفوظ ، وأن الشارونى كان وظفًا تحت إدارة السباعى . وأن العصر السابق كان يسمح للأوهام بسبب لخوف . ومن حق الشارونى أن يحافظ على وظيفته .

ولكن نجيب محفوظ قال : رحم الله يوسف السباعى فقد كان صديقًا كريمًا بيلا . وله فى النفس مكانة خاصة .

فقلت : لايكفينا هذا القول . فتبسم ضاحكًا من قولنا وعاد إلى صمته لديم .

أسماء صغيرة !

لو كان لدى المنتجين المعلومات الخاصة لقياس رأى الناس فيما يقدم أعمال . لراجعوا أنفسهم كثيرًا . وعدلوا عن مواقفهم تجاه بعض الأسماء التى صغيرة لكيلا يراها الناس فى الإعلانات . وهى تتمتع بأكبر حب فى ق المشاهدين . فأنا لاأذهب إلى السينما ولاأتابع المسلسلات من أجل البطل صا الاسم الكبير ، بل للفرجة باستمتاع على صديق البطل . وأحبابى من أهل الفر الأبطال بحق . وأسماؤهم تجىء دائمًا فى المؤخرة . وفى الحقيقة هم فى ، اهتمامى مثل : الأصيلة كريمة مختار ، والشهد نبيلة السيد . والجميلة إسماعيل ، والعظيم عادل أدهم ، والشريـ ـر إبراهيم سعفان ، والعسل عبد المنعم إبراهيم ، والممتاز نبيل دسوقى صاحب دور بيرم التونسى .

وكذلك نبيل بدر ، وبدر نوفل وعبد العزيز أبو الليل . والممتع عبد محمد ، والبسيط صلاح السعدنى ، والفلاح أبو الفتوح عمارة . والوافد باهر السيد ، والمصرية فاطمة عمارة ، والرائع على الشريف المحامى الشر أريد حلا ، والباهر حمدى أحمد ، وفؤاد أحمد (هامان فى مسلسل محمد الله) والغلبان سيد زيان . « والمخفى » يونس شلبى والرجل الطيب

لجزيرى . والمقتدرة عايدة عبد العزيز . والشوامخ عبد الوارث عسر . وشفيق
ير الدين ومحمد السبع . والمكار الجميل حسن مصطفى . والمتمكنة سهير البابلى .
النهلوبة سهير البارونى . والطعمة عزيزة راشد .

وهذا لايلغى الحب الخالد أبدًا للظواهر الطبيعية فى حياتنا الفنية المعاصرة مثل
اد حمدى . وأحمد مظهر . وأمينة رزق . وسميحة أيوب . وسناء جميل ،
لعزيزة على كل قلب فردوس عبد الحميد . والحبيب فؤاد المهندس . والغائبة عنا
هير المرشدى .

أقول لو عرف المنتجون القيمة العظيمة لكل ماذكرت ، وربما قد نسيت الكثير
الأسماء لعيب فى ذاكرتى وعيب فى المنتجين لأنهم لايذكرون أسماءهم .
أجهزة الإعلام لأنها لاتلح عليهم . لأنهم بعيدون عن منطقة النجومية وسطوتها
سيائها وأصدقاء البطل أو الكومبارس من كبار الفنانين نعرف وجودهم فى العمل
ى بالمصادفة . ولكن لو عرف المنتج القيمة الفنية لهم لأبرز أسماءهم ولما تآمر
هم النسيان ! فمثلا فى مسلسل طائر الأحلام كنت أنتظر نبيلة السيد مثلما أنتظر
الشريف . وفى فيلم مع سبق الإصرار كان نور الشريف بطلا « لكل العصور »
ن محمود ياسين المحبوس فى الدور الواحد فيما عدا دور « الأبلة » الذى غفر له
دم من ذنبه . فمحمود ياسين مع سبق الإصرار والترصد أيضًا لم يتغير فى كل
الأفلام وهى قاع المدينة ، والخيط الرفيع . وأين عقلى . وحبيبتى . وأفواه
نب ، والصعود إلى الهاوية . مما يجعلنى أبحث عن صديق البطل لا عن البطل
ثل هذه الأفلام .

وكنت فى مسرحية « الحرامية » لاتغفل عينى لحظة بانبهار على سهير البارونى ،
مسلسل ابن الليل وجدت فريدة سيف النصر تخطف الضوء من نورا مع لمعان
نورا ونسيان اسم فريدة . وفى احنا بتوع الأتوبيس وجدت الانشراح فى

مشيرة إسماعيل التى كانت أشبه بالمعادل الموضوعى لكمية الألم فى هذا الفيلم الذى يعتبر وثيقة مأساوية لهذا العصر . وبرغم وجود نجمى الكوميديا عبد المنعم مدبولى وعادل إمام .

باختصار أن الأسماء الصغيرة فى نظر المنتجين هم فى نظر الناس نجوم الشباك وقلوبنا أيضا ! !

فى رحاب محمد

أنا لا أكتب سيرة امتلأت بها بطون الكتب .. ولكننى أستدعى صورًا خلال مشاعر وخواطر من هدى النبوة أمام بيت الله فى مكة . وقبر الرسول فى المدينة فى ذكرى المولد العظيم . ولعل إحياء ذكرى الذين ذهبوا تنفع الذين على قيد الحياة . ولعل عينًا قد نامت فى التاريخ القديم . تفتح عيونًا على تاريخنا الحديث . ولعل استدعاء ماض جليل يفيد حاضرًا فى محنة .. والذكرى تنفع المؤمنين .

أنا الآن داخل الكعبة المشرفة .. وكأن أحداث التاريخ تجمعت فى هذا المكان . هنا كان المولد والبشارة .. والنذير . وكان قبل ذلك العذاب وأشواق الناس إلى الخلاص ، وهنا كان المبعث والجهاد ، والمعاناة والعذاب فى سبيل الله .. والهجرة .. والطريق .

وامتلأ المكان فى هذه اللحظة بآلاف المشاهد والصور .. حتى خيل إلىّ أن سماء مكة المكرمة بلا أفق .. فصور التاريخ تغطى سماءها .. وأفقها .. وحبات الحصى فى أرض تلك البقعة الطاهرة من الأرض تحكى وقائع ذلك التاريخ البعيد .. القريب .

وأخذتنى رعشة غامضة إجلالا لروعة المكان ، وعظمة ذلك التاريخ .

وسرح العقل منى بعيدًا . . بعيدًا . . وكأنه يستدعى أحداث تلك الأيام إلى هذا المكان .

وفاضت عيناى بالدموع فى هذه اللحظة التى أجلس فيها داخل أول بيت وضع للناس فى مكة مباركًا ، وهدى للعالمين .

وكانت هناك صور تشق طريقها فى زحام مشاهد التاريخ لتلقى بنفسها أمامى فى تلك اللحظة ، وكأن عقلى ذهب إليها يناديها . . ويناجيها . وكدت أرى « عرافة الوادى » تلك المرأة التى اشتهرت بين قومها بمعرفتها الغيب .. والتى طلبت من عبد المطلب « جد الرسول » أن يذبح الإبل قربانًا للآلهة ، وفداء لولده عبد الله ، وأكاد أرى عرس « عبد الله والد الرسول » ذلك الشاب الجميل بين إخوته وشباب مكة والمحبوب من والده إلى آمنة بنت وهب ، والذى ذهب بعد ليلة عرسه مع القافلة إلى يثرب فى رحلة المرض والعذاب والأحزان . وأكاد أستشعر القلق عند عروسه آمنة وقد ذهبت عنها سكينتها ، وزارتها الأحزان الغامضة لتلقى فى روعها أن عريسها الغائب لن يعود . وتمضى الأيام بالزوجة الصابرة ويتحرك فى أحشائه جنين .. انتظرته الدنيا ليكون هاديًا ، وينتهى بمولده أحزان الدنيا وضلالها .

وتقع العين على صورة أخرى فى عصر المبعث بعد غروب شمس يوم من أيا شروق الإسلام . والصورة لجمع من أشراف قريش وهم مجتمعون بجوار الكعبة ويضم ذلك الجمع : عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنض ابن الحارث ، وأبو البخترى بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وزم ابن الأسود ، وعبد الله بن أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنى الحجـ السهميان ، وقد جاءوا جميعًا على هيئة مؤتمر ليفاوضوا محمدًا الرسول ، ويساو

على ترك دعوته الجديدة التى عابت آلهتهم وسفهت أحلامهم ، وفرقت جماعتهم بعد دخول بعض الناس إلى دين الله . وكل يوم تكتسب الدعوة أنصارًا لها .

وأرسل المؤتمر فى طلب محمد ليكلمهم . . فجاءهم الرسول سريعًا لأنه يحب رشدهم ويعز عليه عنادهم ، وجلس إليهم ، وكان عتبة بن ربيعة مفوضًا من ذلك الجمع بالحديث إلى النبى ﷺ . وقال له عتبة : يامحمد : إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله مانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ماأدخلت على قومك . لقد شتمت الآلهة وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت جئت بدعوتك الجديدة تطلب مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تطلب الشرف فينا جعلناك شريفًا والسيد فينا ، وإن كنت تريد ملكًا ، ملكناك علينا ، وإن كان الذى يأتيك مرضًا من أثر الجن ، بذلنا لك ما فى وسعنا من مال فى طلب الصحة حتى تبرأ منه فقال لهم رسول الله : مابى ماتقولون ، ماجئت بما جئتكم أطلب أموالكم ، ولاالشرف فيكم ، ولاالملك عليكم ، ولكن الله بعثنى رسولا ، وأنزل علىّ كتابًا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا . وأبلغكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ماجئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا وفى الآخرة ، وإن تردوه علىّ . . سأصبر لأمر الله حتى يحكم بينى ، وبينكم .

ورفض الرسول فى حزم المساومة على دين الله . . وآمن من آمن بدعوة الحق بعد فض المساومة على المبدأ والعقيدة ، ودخل الناس أفواجًا فى دين الله . وانتصر الإسلام .

مازالت آلاف الصور تحتشد حولى داخل البيت وتزورنى الكثير جدًّا من المشاعر كثفة دفعة واحدة ، وهى أقوى من كل الكلمات . . فاعذرونى . . فأنا داخل أول ت وضع للناس مباركًا ، وأرى بعينى أول أثر من آثار الجنة وضعه الله للناس على

الأرض ، وهو الحجر الأسود .. والذى قبلته وأنا أطوف حول البيت وأكبر .. الله أكبر .

وخشع الفؤاد فى مكان تهوى إليه الأفئدة . واطمأنت نفسى بذكر الله ، والصلاة فى الجهات الأربع للبيت الحرام (وَحَيْثُ مَاكُنْتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ) . وأحنى الرأس لصاحب البيت ، وتتلمس يداى بعض النقوش القديمة التى كتبت بداخله ، وترى العين بعض أحجار الرخام قيل إنها من عهد إبراهيم ، وولده إسماعيل ، وظلت كما هى كلما تجدد بناء الكعبة .

ويرتفع الرأس منى على استحياء رويدًا .. رويدًا إلى سقف البيت العتيق ، فأجد أن ظلمة خفيفة تغشاه ، ولكن ثمة أنوارًا خافتة تتسلل إليه من فتحة باب البيت ، فأتمكن من رؤية ذلك اللون البنفسجى للستائر المخملية الموشاة بخيوط ذهبية تغطى السقف وتتدلى حتى قرب منتصف الجدران الرخامية البيضاء مثل أرض الكعبة أيضًا اللامعة والمغسولة بماء الورد .

وأغادر البيت وقد جفت دموعى ، ويلفح هواء ذلك المكان الطيب بعض جسدى العارى إلا من ملابس الإحرام ، وكأن الهواء هنا له خصائص الماء للأرض العطشى ، فكان يتسلل إلى شقوق نفسى التى أضناها الظمأ إلى رؤية المسجد الحرام .

وأفتح صدرى وأتنسم ريح مكة وعبقها ، وكأنى أتنسم عاطر ذكريات النبوة فى هذا المكان ، وأتطلع حولى وأنا أغادر أم القرى ، فأجد كل شىء يقف فى خشوع وكأنه يرتل المجد من تاريخ أمة تعانى المحنة .

وأشد رحالى إلى المدينة المنورة ، وقد سبقتنى إليها أفراحى وأشواق ، فهناك الرسول ، والقائد الذى ترك فينا مالو تمسكنا به لن نضل بعد : كتاب الله ، وسنة الرسول ﷺ .

وعندما لاحت تخوم المدينة بأرض يثرب عاودتنى تلك الرعشة الغامضة من جديد .. والتى زارتنى وأنا على مشارف مكة فى طريق إلى البيت المحرم . وتزاد حدة تلك القشعريرة المجهولة عندما ألمح مآذن قبر رسول الله ، وعندما أتخيل أن رسول الله وقائدى وزعيمى الذى أنزل عليه دستور الأمة والذى أوصى بأن الجهاد هو طريق المسلمين إلى العزة والانتصار .. وأن الموت فى سبيل الله أعز أمنيات المؤمن وأسماها .

ويفيض الدمع العزيز غزيرًا ، وأقترب .. والعينان الدامعتان معلقتان بالذى يرقد تحت المآذن والقباب فى المسجد الكبير .. وأكاد أتخيل أهل يثرب من الأنصار وهم يستقبلون النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وأبا بكر الصديق فى هذا الطريق .

ويرن فى أذنى أصداء ذلك النشيد الذى استقبلوا الرسول به فى ذلك الموكب الكبير وغنوا له « طلع البدر علينا من ثنيات الوداع .. عندما جاءهم المبعوث فيهم بالأمر المطاع » .

وأقترب من مسجد الرسول لأرى من خلال دموعى جموع الناس من كل لون ، وكل جنس .. وأرى الحمام هنا يحلق فوق المسجد ويملأ ساحته فى وداعة وهو آمن .. وآخذ طريق فى خشوع وسط الجموع ، والدموع ، وأقترب من القبر الشريف .. وخفق الفؤاد للذى أرسل بالهدى والحق بشيرًا ونذيرًا .

أنا الآن أمام قبر محمد ، وازدادت عبراتى واحتبس صوتى وأنا أنتحب بالبكاء ، وأشهق . . وأقول : السلام عليك يارسول الله ! وآخذ فى مناجاته ، وأتلمس بيدى الأعمدة المعدنية للضريح الطاهر الذى يضم قبر أشرف الخلق .. وأكاد أناجى روحه الطاهرة وأناديها ، ووجهى يكسوه دمعى ، وجسمى ينتفض عنف من تلك الرعشة الغامضة .. وأحاول إيجاد تفسير لها .. ربما بسبب الشعور أن النبى يرقد هنا . . وأن الذى جاء بالحق هنا .. وملأ الأرض عدلا هنا .. وأقام

بالقرآن دولة هنا . وربما كان نزيف الدمع على ماض جليل ذهب .. وتاريخ لم يزل على قيد الحياة .

وأواصل النجوى أمام قبر المصطفى .. وأستشعر ضعفى .. أنا ذلك الإنسان البسيط .. العزيز بالله .. والذى ينسى ذكر الله أحيانًا .. فأنساه الله نفسه . وذكر الله حينًا فاطمأن قلبه ، وابتغى من الله الوسيلة ضمعًا فى الهدى ، وعبد الله حينًا حتى يأتيه اليقين ، وجاء إلى هنا إليك يارسول الله .. وإلى بيت الله .. لعل الله يصرف عنه الحزن ويحقق له الأمن بدخول البيت والدعاء لرب البيت .

وانتبهت من نجواى ودعائى .. وخطوت إلى اليمين خطوة لأقف أمام قبر أبى بكر الصديق .. رفيق الجهاد والطريق .. وخليفة رسول الله .. وثانى اثنين إذ هما فى الغار عند الهجرة .. وكانت هجرته فيما هاجر إليه : الله .. ورسوله !

وأتأمل قبره .. وأسرح مع سيرته ومواقفه .. هذا الخليفة الذى اشتهر بين الناس بالهدوء والطيبة ..

ويستدعى عقلى موقفًا لأبى بكر .. ربما كان من أروع المواقف فى تاريخ الإسلام بعد وفاة نبى الله ورسوله .. وقائد الأمة وزعيمها .. وربما كانت صلاة أبى بكر كلها كانت تقوده إلى مثل هذا الموقف ، عندما ارتدت بعض القبائل عن دين الله ، وبقيت بعض القبائل ولكنها امتنعت عن دفع الزكاة ، وأعلنت العصيان على الدولة ، وجيوش المسلمين كلها خارج المدينة .. فقرر أبو بكر أن يحاربهم ، وجمع الصحابة لأخذ الرأى ، وكان من رأيهم الرفق بمانعى الزكاة ، ولاتجوز حربهم لأنهم مسلمون .. والرسول لم يحارب من قال لاإله إلا الله وشهد بشهادة الإسلام . وكان عمر بن الخطاب من أصحاب هذا الرأى ، وإذا بأبى بكر يغضب ، ويقرر حربهم ، وصاح فى وجه عمر : أجبار فى الجاهلية .. خوار فى الإسلام ياعمر؟ .. رجوت نصرتك ياعمر فجئتنى بخذلانك !

والتفت أبو بكر إلى الصحابة الذين طلب منهم الرأى وقال لهم : أينقص الإسلام وأنا حى . وكيف نواجه الله بدين ناقص بعد وفاة رسول الله وقد اكتمل فى عهد النبوة . إننا لانقبل المساومة على الدين .. والمبدأ . والعقيدة . ورفض أبو بكر وفود الذين جاءوا إلى المدينة من مانعى الزكاة .. وقد جاءت إليه وفود هذه القبائل تفاوضه بعد أن رأوا المسلمين قلة فى غياب جيوشهم خارج المدينة ولما سئل أبو بكر من الصحابة : مع من تحارب ؟ فقال أبو بكر فى حزم . وحدى حتى يفصل رأسى عن جسدى ! ! فشرح الله صدور المسلمين للقتال ! وأجمعوا على حرب المرتدين ومانعى الزكاة ، وخرج أبو بكر على رأس جيش قليل من المؤمنين لمحاربة الكثرة المرتدة .. وانتهت المعركة الحالية بانتصار الإسلام !

وجاءت القبائل بالزكاة . وعادت الجزيرة كلها تدين بدين الحق .. وبالولاء لدولة الإسلام !

وتتحرك القدمان خطوة أخرى على اليمين . وأقف أمام قبر عمر بجوار قبرى الرسول وأبى بكر وألقى عليه بالتحية : السلام عليك ياأمير المؤمنين .. ياشهيد المحراب . ياابن الخطاب .. رضوان الله عليك ياثانى الخلفاء .. يامن بالعدل حكمت .. وباطمئنان نمت ، ويامن أعز الله الإسلام بك استجابة لدعوة رسول الله .. عندما دعا : اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين .. عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام . فاختارك الله للإسلام عزة وللمؤمنين أميرًا .

وكنت فى مناجاتى لعمر أستلهم طريقه فى بناء دولة الإسلام التى شاع العدل بين الناس فيها . وكان يضرب المثل بنفسه .. وكان النموذج .. والقدوة الصالحة . وحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الناس . وقبل أن يحاسب هو الناس . وكان يقول : إننى مسئول أمام الله عن بعير لايجد غذاءه فى أقصى الأرض .. فما بالك بالإنسان ! ! وكان عمر يسأل الناس .. وكأن سؤاله يأتينى من ضمير الغيب ..

وأكاد أسمعه وأنا أمام قبره أقف فى رحاب محمد ومن معه . . وهو يقول : لو أننى وقعت فى منكر فلا ينهانى أحد تعظيمًا لى . . فمن الذى يردنى إلى صوابى ؟ فيرد عليه رجل وقد رفع سيفه : لو ملت برأيك إلى الدنيا ، نردك إلى الحق والصواب بهذا السيف . فيتوجه عمر بالحمد إلى الله الذى جعل فى الرعية من يرد اعوجاج عمر بالسيف ! ودخل عليه « حذيفة » وهو أحد الصحابة فوجده حزينًا مهمومًا فسأله حذيفة ؟ : ماذا بك ياأمير المؤمنين : فقال عمر : أخاف أن أقع فى منكر فلا ينهانى أحد تعظيمًا لى . . فقال له حذيفة : لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك ، فإن لم تنته . . ضربناك بالسيف ! فيفرح عمر ويقول : الحمد لله الذى جعل لى أصحابًا يقومونى بحد السيف لو اعوجت مسيرتى عن أهداف الأمة .

وتتوالى أحداث التاريخ . . وتتتابع فى الرحاب الطاهر . . وأصلى فى الجنة . . أو فى الروضة الشريفة بين قبر الرسول والمنبر . . والتى قال عنها رسول الله : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وتطول سجدتى . . وأناجى ربى . . فى المكان الذى ناجى الرسول فيه ربه هو وصحابته . . ومن تبعوه من بعده . . وتطول النجوى فى مهبط الوحى ، حيث كان جبريل الأمين ينزل بكلمات رب العالمين على سيد المرسلين . . وعلم بها رسوله مالم يكن يعلم . . وكان فضل الله عليه عظيمًا !

الأزهر لاينادى على السينما .. لماذا ؟

سألت الشيخ أحمد حسن الباقورى .. وأجاب : لأن ظهور أصحاب رسول الله أو صواحبه فى السينما .. إما أن يؤدى إلى الاعتداء عليهم .. أو الاعتداء على التاريخ .

قلت : إن فى استدعائهم للحضور بيننا على الشاشة تمجيدًا لهم .. ويمكن يكون الاستدعاء عن طريق الأزهر . وفى هذه الحالة .. عندما ننادى أبطالنا .. فإننا ننادى فيهم مواقفهم العظيمة .. وفى ذلك تكريم لهم .. وبعث لقيم قد تكون استشهدت معهم .

قال الشيخ الباقورى : إن ظهور أصحاب رسول الله وصواحبه فى السينما إما أن يؤدى إلى الاعتداء عليهم . أو الاعتداء على التاريخ . فالصحابة رضوان الله عليهم عاشوا فى صدر الإسلام عيشة متقشفة الأمر الذى يجعل ظهورهم بهذه الصورة .. اعتداء على مايكون لهم من وقار وجلال .

وإما أن نظهرهم فى هندام جميل وثياب طيبة . وهيئة حسنة . وهذا اعتداء على التاريخ .

يامولانا .. قلت له – إن الغرب فعل ذلك واستدعى المسيح .. فى وجود

الكنيسة .. كما أننا نرى بين الحين والحين أبطال الرومان فى زيهم القديم .. ولم نسخر منهم ..

فقال : لقد دفعت إحدى شركات الإنتاج السينمائى حوالى عشرة ملايين من الدولارات للممثل الذى قام بدور السيد المسيح . . وذلك من أجل أن يموت الممثل وهو حى .. وحتى لا يراه الناس بعد ذلك فى سلوكه اليومى العادى . وهذا من أجل تكريم السيد المسيح ، وهذا تقليد يعطى معنى الاحترام الكامل .

ونحن لايجوز أن يقل تقديرنا وتكريمنا لمحمد صلى الله عليه وسلم عن تكريم المسيحيين للمسيح عليه السلام .

كذلك . . قدم الغرب .. البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى . . وكان أقدر منا على إخراجه فى أفلام صنعناها .

سألته : ماهو المانع من ظهور سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب فى معركة أحد . . فى فيلم محمد رسول الله الذى يتجه المغرب ؟

قال : أخشى أن يؤدى ظهور سيد الشهداء . . وهند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان وهى تنهش كبده بعد أن بقرت بطنه .. إلى أن يسيئ بعض الناس تقديرهم لهند ومعاوية وهما من أصحاب رسول الله .

وأضاف قائلا : أنا أحب أن تبرز فكرة السينما الإسلامية فى صورة من الوقار والحشمة التى لاتتنافى مع أدب الإسلام .

وقال الشيخ الباقورى : إن من أحب التمثيليات « المسرحيات » إلى قلبى .. مسرحية « السلطان الحائر » لتوفيق الحكيم . الأمر الذى لاأشعر معه بالملل لو عرضت علينا فى كل يوم . ومن أقدر الشخصيات فى هذه المسرحية السيدة سميحة أيوب لأدائها الرائع ، ونطقها للحروف ، وصوتها المنغوم المؤثر طبقًا للموقف فى المسرحية ، مثل هذه المسرحية لايستطيع أحد أن يجحد فضلها . والتاريخ

الإسلامى به الكثير من المواقف والشخصيات العظيمة والصور الجذابة .. ويمكن إعدادها بهذا المستوى .

قلت : السينما وسيلة حضارية من وسائل الإعلام .. ويمكن الاستفادة منها ..

فقال : الإسلام حضارة أكثر مما هو دين .. فهو حضارة تتناول الدين بروح الدنيا وتتناول الدنيا بروح الدين .

وأنا مع الدعاة إلى الامتناع عن تقديم الأحداث التاريخية الإسلامية عن طريق السينما والمسرح ، لأن الحرص على أدب الإسلام فى الأزياء ، ومايتصل بها واجب .

وهذا فيما يمس حياة رسول الله وصحبه وصواحبه وبعد ذلك فتاريخ الإسلام مملوء بالأحداث الصالحة لقصص طيب فى جانبى الجد ، والمزح مثل شخصية النعيمان .

وقال الشيخ : أما فيما يتعلق بأن السينما وسيلة إعلامية – فلا يمكن أن تنجح الدعوة الإسلامية إلا إذا كان أهلها صورًا للخير فينتفع به الناس .

وكما أن السينما تسلية ، وأنا أجل كل ذى شأن فى الدعوة الإسلامية عن أن يكون وسيلة تسلية . وذلك أن الإنسان الكبير فى أذهان الناس وخيالاتهم أكبر منه فى واقع حسهم ، ومشاهدته وإخراجه عن دائرة الفكر والخيال إلى دائرة الحس والمشاهدة ، نقص القدوة واعتداء على جلاله .

رجل ينادى على تاريخ مجيد

الشيخ محمد متولى الشعراوى .. صاحب منهج فى الحديث .. جعل الناس تلتف حوله بالحب .. والإعجاب . وشعبية هذا الشيخ جاءت من تقوى الله . . فعلمه الله .. وأحبه الناس ..

وقد صدر له أخيرًا كتاب هو مجموعة الأحاديث التى قدمها فى التليفزيون وهذه الأحاديث تناولت قضايا القضاء والقدر . وإعجاز القرآن ومكانة المرأة فى لإسلام .

وفى الحقيقة أن الشيخ شعراوى فى حديثه عن المرأة فى الإسلام وتخريجه للحكم والمعانى التى وردت فى القرآن الكريم عن بلقيس ملكة سبأ وابنتى سيدنا شعيب الذى تزوج إحداهما موسى عليه السلام . وزوجات نوح ولوط وفرعون . هذه النتائج الباهرة التى خرج بها مولانا الشيخ تستريح لها الأفئدة الضالة خصوصاً وقد كثر الحديث عن حقوق المرأة . تارة بالحق .. وتارة باللغو . وتارة بغير فهم .. لأمر الذى أثار الجدل . وماترتب عليه من بلبلة للأفكار .

والشيخ أعطى للمرأة مكانها الحقيق . ورسم دورها الطبيعى مستندًا بذلك إلى أحكام القرآن الذى منحها حرية الاعتقاد . وشرفها بالتعامل مع أشرف الكائنات

وهو الإنسان ، وأعطاها حق التملك والقيادة والتربية والعمل عند الضرورة . وحفظ لها حقوقها ، وترتب على ذلك واجبات ماأحوج المرأة إليها صيانة لها وعزة وضمانًا للمستقبل . وهذا الكتاب يصدر عن علم . . وهو متعة أكيدة ومفيدة لكل من يريد أن يعلم .

رجل ينادى على المجد

عندما تنادى الشعوب على مجدها القديم فى زمن المحنة . . فهى فى هذه الحالة تنادى على قوتها التى تدفعها إلى الأمام فى اتجاه أعز أمانيها . والكتاب الذى أقرأه الآن ينادى على أعظم مافى تاريخنا الإسلامى من خلال القادة الذين حملوا له النصر . . وأكدوا مجد الأمة الإسلامية وعزتها بالجهاد فى سبيل الله . وهؤلاء القادة هم : على بن أبى طالب القائد العظيم . . وأول السابقين إلى الإسلام ، وسعد بن أبى وقاص صاحب أول دم أريق فى الإسلام ، وهو الأسد الذى أطلقه عمر بن الخطاب ليقضى على دولة الفرس ، وصاحب الانتصارات الباهرة فى القادسية والمدائن عاصمة الفرس – طهران الآن . . وخالد بن الوليد أو ذلك السيف الذى سله الله على المشركين ، وعمرو بن العاص القائد السياسى الداهية الذى كان أول مسلم تتجه أنظاره إلى القارة الإفريقية ، والمثنى بن حارثة أول مسلم اتجه إلى بلاد فارس ذات الحضارة والتاريخ والمعرفة بفنون الحرب ، والذى أنهى حكم كسرى ملك الفرس ، وأنهى عبادة النار .

وهذا الكتاب الذى صدر أخيرًا يحمل اسم « شخصيات عسكرية إسلامية » للكاتب الإسلامى المرحوم محمد فرج الذى تخصص فى هذا اللون من الكتابة وأجاد فيه ، والمؤلف فى هذا الكتاب صاحب عزم وقلم وسيف ، وهو ضابط

مصرى قديم وصل إلى رتبة القيادة العالية ، وشارك فى الحروب . وربما كان ذلك سبب هجرته إلى هذا اللون من التأليف . فضلا عن الموهبة والصبر العظيم .

والكتاب مفيد ، ويأخذك إلى سياحة تاريخية مجيدة تسير فيها تحت مظلة أخذت نسيجها من قوة العقيدة والإيمان بالله . وتجلس فى صحبة القادة الأوائل الذين وعدهم الله بنصره ، لأنهم انتصروا .. فنصرهم الله .

الجهاد فى الإسلام

التربية هى محور تفكير الكاتب الإسلامى محمد شديد وتجده قد وضع لذلك منهجًا فى جميع مؤلفاته مثل : (منهج القرآن فى التربية) و (الجهاد فى الإسلام) و (القصة فى القرآن)

والمؤلف فى كتابه « الجهاد فى الإسلام » الذى صدر منذ أيام لايرى أن الجهاد يعنى بالضرورة القتال ، فالنبى مكث فى مكة ١٣ عامًا يجاهد بلا قتال ، وكان جهاده هو التربية ونشر الدعوة ، وتدريب الصحابة الأوائل على الصبر بحيث لايستجيبون لاندفاعات النفس ، واغتيال أعضاء فرق تعذيب المسلمين من كفار قريش بزعامة أبى جهل . حتى لاتتبدد قوتهم وتذهب ريحهم فى العداوات . يتحول الجهاد فى سبيل الله إلى قتال .. خصومة ، وثأرًا . بدلا من كونها عقيدة فكرًا .

وكانت حكمة النبى فى ذلك أنه يربى جيلا تقوم عليه دعوة الحق . ويؤسس به ولة الإسلام القائمة على الحرية والعدل .

وكان جهاد النبى بعد ذلك فى المدينة فى تكوين المجتمع وإنشاء أسس الدولة ، ن هذه الأسس حمايتها من أعداء الإسلام . وجاهد الرسول فى أن يجعل المدينة

حرمًا آمنًا يجب الحفاظ عليه على كل من يسكنها من المهاجرين والأنصار واليهود .

وإذا كان الجهاد فى الإسلام قد أخذ بعد ذلك شكل القتال فى غزوات النبى .. فقد جاء ذلك بعد أن فرض ذلك على المؤمنين وهو كره لهم .. ردًا لخطر الفرس والروم وجيوش المشركين واليهود الذين خانوا عهد رسول الله .

والأستاذ محمد شديد فى كل دراساته من أولئك الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه . وهو فى كتابه « الجهاد فى الإسلام » يقدم لنا دراسة رائدة عن مفهوم الجهاد وتقوم على منهج أصيل من هدى القرآن وفكر النبوة من خلال سيرة رسول الله .

إن هدى الله هو الهدى .. يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

أنبياء الله ..

هذا كتاب للصغار . حاول فيه مؤلفه أحمد بهجت أن يقدم فيه قراءة جديدة لقصص الأنبياء من خلال مشاعر وخواطر ورؤيا شاعرية لتاريخهم الجليل .

والفن فى كتاب أحمد بهجت يخدم الحقائق التاريخية ولم يتغلب عليها بل جعله ليفة لهذه الحقائق وإطارًا لها .

وحاول المؤلف فى كتابه أن يقدم تاريخ الأنبياء وأن يحبب الإيمان إلى قلوب طفال باعتبارهم وجودنا القادم . ولأن مانعلمه لأطفالنا يؤثر عليهم كثيرًا عندما يرون .

وأحمد بهجت من الصعب أن تصف أسلوبه .. ولكنك عندما تقرأ له .. لل إليك مشاعر من الحب والاحترام لكاتب يتعب كثيرًا لكى يكون سهلا يطًا . وبصيرًا أيضًا ولقد فرض أحمد بهجت نفسه على مساحة كبيرة من القراء سنوات وأقبل عليه الناس . وعانق القراء مايكتب لأنه يعبر عن أمانيهم راقهم وأحلامهم فى الخلاص من أمراض المجتمع والحياة ! !

وإذا كان أحمد بهجت قد أحاط هذه السيرة بجو شاعرى جميل .. ورؤى فنية إلى الخيال . ولكن كانت هذه الرؤى تنبع من أرقى التصورات الإسلامية .

وأساسها أكثر التفسيرات احترامًا . وروح الآيات القرآنية مرجعها الأخير .

وفى رأيى أن أحمد بهجت وهو يكتب هذا الكتاب .. كانت عيناه مفتوحتين على الصغار .. والكبار معًا . وهو فى هذا الكتاب يقدم لنا المتعة .. والفن .. والتاريخ .. والحب فى قصص الأنبياء والقارئ لهذا الكتاب يشعر من أول لحظة بأن الكاتب قد خشع فؤاده . وزاده الخوف .. رهبة واحترامًا لأنبياء الله . وسرح العقل منه بعيدًا .. بعيدًا عبر الزمان القديم .. والأراضى البعيدة .. ليأتى إلينا بأحسن القصص عن أنبياء الله .

وأحمد بهجت عندما وضع خده على الأرض وبكى .. لم تنبت الأرض من دموعه عشبا .. ولكنه بدموعه قدم إلينا كتابًا جميلا !

كاتب .. يقرأ كثيرًا

قال الإمام على « لولا أن الكلام يعاد لنفد » .. ولذلك كان الاستخدام اللغوى للكلمات وإعادة صياغتها من جديد وفقًا للمشاعر والأحاسيس ضرورة لكل من يتصدى للكلام حتى لاتكون تكرارًا مملا للأفكار والمشاعر .

وإذا أراد أحد المفكرين أن يطالعنا بفكره الجديد فينبغى له أن يصل هذا لفكر بالموروث القديم من الأفكار . . وفى هذه الحالة لابد من قراءة جديدة لأفكار القديمة من خلال تصورات ورؤيا عميقة لهذه التصورات .. وإلا جاء كرة عبارة عن تلخيص وتكرار للذين سبقوه .

والكاتب محمد عبد الواحد حجازى بذل جهدًا واضحًا فى كتابه « فلسفة أيام » . الذى تناول فيه أهمية الزمان عبر عصور التاريخ المختلفة . وأوضح فيه ى اهتمام الإنسان فى كل الحضارة بالأيام .

والكتاب يحتاج إلى صبر أيوب فى قراءته وفى فهمه .. الأمر الذى يجعلنا نتصور ى الجهد الهائل فى كتابته بعد قراءة عشرات المراجع فى كتب التاريخ لفلسفة .. كما جاء فى آخر الكتاب .

والملاحظ فى هذا الكتاب أنه التجربة الأولى لأحد كتاب الأرياف الذين

عكفوا على القراءة بدلا من الجلوس فى المقاهى .. وخرج بعد قراءته بتصور غير واضح للأفكار التى نتجت عن هذه القراءة .

كما نلاحظ غيبة الفكر الإسلامى المعاصر فى كتاب اختار المؤلف أن يضع على غلافه عبارة « فى الفكر الإسلامى المعاصر » .

والكتاب أقرب مايكون إلى الدراسات المقارنة منها إلى الفكر لأنه يتناول موضوع الأيام فى الزمان القديم . وعبر الحضارات البابلية واليونانية والمصرية . إلخ ..

وأسلوب الدراسات المقارنة أو البحث التاريخى يعتمد أساسًا على الحقائق ومدى التأثير والتأثر بينهما بطريقة منهجية يخرج منها القارئ بالنتائج التى توصل إليه الكاتب .

ومعذرة لقسوة بعض الكلمات على الكاتب الواحد محمد عبد الواحد حجاز الذى قدم كتاب لى على استحياء كأول عمل له .. وأرجو أن يعدنا خيرًا فى أعمالنا المقبلة فهو بلا شك لديه من الإخلاص والحماس للقراءة والكتابة مايجعلنا لانشك ولو لحظة أن رجاءنا فى غير موضعه .

الغناء فى القرآن ؟

ظاهرة مؤسفة .. أن القارئين للقرآن الكريم من المشايخ .. لايحفظون القرآن . د شغلتهم الحياة الدنيا حتى عن سبب سعادتهم فيها وهو حفظ القرآن . وإذا كانوا . حفظوه فى مطالع صباهم وشبابهم .. فقد تسرب من ذاكرتهم لعدم الاستمرار القراءة .

وسبب ذلك أن القارئين يختارون ما يقرءون فى المساجد والحفلات ناسبات ، فكان من نتيجة ذلك أن لجئوا إلى قصار السور ، والآيات التى عدهم على الغناء مثل خواتيم آل عمران ، وسور الحاقة ، والتحريم ، حمن ، والقصص ، وطه ، والنحل ، والقمر .

فمن طبيعة الآيات فى هذه السور أن تعطى الفرصة للقارئ فى التجويد ، وأن ى هو الآخر جوابًا وقرارًا و « غناء » أفضل من القراءة فى سور المائدة ، ساء ، والتوبة .

وترتب على هذا أن جمهور المستمعين قد حرموا من أعظم غاية وهى أحكام ن ، مثل المواريث والأوامر والنواهى .

قد روى لى أخيرًا الصديق المهندس سليمان عبد الحى وزير النقل السابق أن

أحد كبار القراء لم يعد يقرأ سورة الكهف فى المسجد يوم الجمعة . وبسؤال الشيخ أجاب : أنه قد استعان بالله فى أن يقرأ من المصحف كله .. لامن سورة معينة . وطريقته فى ذلك . عندما يدعى للقراءة أن يقرأ من الجزء الذى يوافق رقم تاريخ اليوم الذى يقرأ فيه بمعنى أنه إذا كان يقرأ فى اليوم الرابع من الشهر أن تكون القراءة فى الجزء الرابع من القرآن وبذلك يضمن لجمهور المستمعين الاستماع إلى كل كلمة الله فى كتاب الله .

العشاق المهاجرون إلى التاريخ

تراثنا الإسلامى .. هو مدخرنا الثابت ، والمعبر عن دورنا فى الفكر والثقافة ، و علامة ودليل عمل على إسهامنا الحضارى من أجل تقدم الإنسان ، وهو يدنا منذ أن كنا خير أمة أخرجت للناس .

والتاريخ فى حاجة دائمًا إلى من يجمع شمله ، أو يرده إلى صدر أمه . ودائماً نوم بهذا الدور نوع من العشاق .. يجدون لذتهم فى الهجرة إلى منابع التاريخ ، ين ، ورافعين الزيف عنه عندما يعبث الأقوياء الأذكياء الذين يملئون بطونه طل بطولة ، وفضلا .

ومثلما يقوم الجيولوجى برحلاته فى بطن الأرض دارسًا لطبقاتها ، ومكونًا بذلك خًا للحياة عليها ، يقوم علماء التاريخ برحلاتهم فى جوف التاريخ لاكتشاف ، الأولى للفكر الإنسانى .

فى الجامعة العربية رجال يقومون بهذا الدور فى جهد صابر ، وفى صمت له ة التاريخ وبيانه . وعلى رأس هؤلاء المستشار صالح أبو رقيق مدير معهد طات والذى عاد أخيرًا من رحلة استغرقت خمسة أشهر زار خلالها المغرب ،

وإسبانيا . وموريتانيا بحثًا عن المخطوطات العربية التى قامت عليها الحضارة الإنسانية تحت راية الإسلام .

ويقول المستشار صالح أبو رقيق : إن أكثر من مليون مخطوط عربى مبعثر الآن فى العالم . وأكثرها يوجد فى المغرب بعد أن أخذها المسلمون معهم فى أثناء خروجهم من الأندلس . وكذلك توجد فى تركيا عندما جمعها سلاطين الخلافة العثمانية . وتوجد أيضًا فى طشقند . عندما كانت هذه البلاد جزءًا من الإمبراطورية الفارسية التى فتحها المسلمون . وأصبحت ضمن الدولة الإسلامية الكبرى التى ضمت إمبراطوريات العالم القديم مثل إمبراطوريتى الفرس والروم .

وقد عادت البعثة بمخطوطات للعالم الأديب الحسن بن الهيثم الذى لاتزا الجامعات العالمية تدرس للآن نظرياته فى الطب وتشريح العين . والعدسات ونظرية الضوء . ومخطوطات لمحمد حسن الشيبانى المتوفى عام ١١٩ هجرية و أول من وضع كتابًا فى القانون الدولى ومخطوطة كتاب « مشكل القرآن » لابن قت وهو من خمسة أجزاء فى علوم القرآن .

ويرى المستشار صالح أبو رقيق أن خير وسيلة لبناء وحدة العالم الإسلامى .. بناؤها على أساس من قوة حضارتها والتى تكمن قوتها فى إيمانها . وعقيدتها .. كانت خير أمة أخرجت للناس .. لتكون شاهدة على الناس .. وكان الرسول عا شهيدًا .

اللحظة الرشيدة
وعزام باشا ! !

الله .. هذه لحظة من السعادة ، والمجد .. فأنا أستمع بالحب إلى رجل يتحدث
ن لحظة أليمة ! .. ومصدر سعادتى ليس بطبيعة الحال هو ألم المتحدث .. ولكن
جل من الذين كنا نقرأ تاريخهم فى المدارس .

والرجل . هو عبد الرحمن عزام .. ولحظة الألم حرب اليمن . والمكان قصر
مراء فى جدة بالسعودية .

.. وكنت أول مرة ألتقى فيها بعبد الرحمن عزام خلال انعقاد مؤتمر وزراء
جية الدول الإسلامية عندما عقد لأول مرة فى ٢٣ مارس عام ١٩٧٠ وفى أثناء
سات المغلقة للمؤتمر وجدتنى أمام رجل مديد القامة ومهيب وعرفته من صوره
كانت تنشر فى الصحف .. وكانت تظهر عليه ملامح الأسى .. وآثار السنين
يلة التى عاشها مجاهدًا ، وسياسيًا ، وأول أمين عام لجامعة الدول العربية .
ووجدت فى عبد الرحمن عزام رغبة شديدة فى الكلام .. وأفاض الرجل فى
ه عن لحظة ألمه الكظيم بعد ما سألنى عن مصر وعن أحوالها .

يقال : من أشق الأمور على نفسى بعد هذا العمر فى العمل السياسى أن أتخذ
فيما يتعلق بى شخصيًا .. وأنا بكامل إرادتى .. طبعًا كانت مقدمته فى الحديث

معى غامضة .. وتركته يسترسل سعيدًا بما أسمع من شخصية تاريخية وهو يقول :
قامت حرب اليمن وأصبح السلاح العربى فى اتجاه الصدور العربية . وهذا فى حد
ذاته مؤلم . وكان من الصعب أن أختار .. هل أقف مع السعودية ضد مصر فى
هذه الحرب .. أم أقف مع مصر ضد السعودية ؟

فقلت : فى هذه الحالة تقف مع الحق حتى تستريح !

فعلا صوته قائلا : أى حق هذا يابنى ؟ وهذه الحرب القاتل فيها والمقتول فى
النار .. فمصر وطنى .. والحنين إليها غلاب .. والشوق إلى أهلى وبيتى يجتاحنى
والذهاب إليها غير مأمون العاقبة .. وشيخوختى لاتسمح بالسجن إذا ماذهبت إليها
معترضًا ومحذرًا من عواقب هذه الحرب ومهاجمًا لصانع القرار فيها . ثم إننى فى
ناحية أخرى فى وطنى الثانى فى الأرض التى منحتنى أمنها وسعة العيش فيها
وأكرمتنى فى محنتى .. وساعدتنى .. هل أتركها وأقف مع نظام حكم عبد الناصر
الذى طردنى من وطنى ؟ !

وامتد حديث الرجل شارحًا لبعض وقائع تاريخنا المعاصر .. كان هو شاهدًا
وفى نهاية كلامه .. دعا بالرشد لنظام الحكم حتى يغير مساره ليصحح نفسه
وجاءت اللحظة الرشيدة عندما سمح للغائب أن يعود .. وكذلك الغريب
وطنه .. وعاد عبد الرحمن ليعيش بالسعادة فى بيته بين أهله .. ويستقبل زوار
كل يوم متحدثًا إليهم بقلب مطمئن بعد خوف .. وفرح بعد العذاب الطويل
والألم .. حتى ذهب إلى رحاب الله بنفس غير كاملة الرضا بسبب مايجرى
الأرض العربية .. وسلام على لبنان ! !

فى السماء مع فيروز !

الله .. رحلتى جميلة على الطائرة .. المفاجأة أن الطائرة كانت تذيع أغنيات
ز ووديع الصافى وموشحات وأدوار فرقة الموسيقى العربية بقيادة عبد الحليم نويرة
سادفة كانت جميع الأغنيات التى سمعتها من التى أحبها .. وأتمنى سماعها ..
سمعها فى الراديو .. وأنا لاأملك « جهاز تسجيل » . وسعادتى فى هذه اللحظة
مة .. وفرحتى تجعلنى أحب الدنيا وأقبل عليها بمشاعر كريمة .
كل الأغنيات حلوة .. كل الأصوات ندية .. وعذبة .. وحلوة ..
وكانت سعادتى مضاعفة بتلك الأدوار الشجية لمحمد عثمان التى تؤديها فرقة
يقى العربية بقاعة سيد درويش . ويطلب المستمعون من عبد الحليم نويرة
دتها .. ولكنه يرفض .. حتى لاتتعرض حناجر المنشدين للإرهاق . واليوم
ا .. مرة .. ومرات .. ولست فى حاجة إلى تجاهل نويرة لرغبات المستمعين .
صورة فيروز لم تكن بين أمتعتى فى حقائب السفر برغم أنها حبيبتى .. وكذلك
ن صورة وديع الصافى .. وقد حملنى صوتها إلى أعلى ماتحملنى الطائرة التى
لى ارتفاع ٤٠ ألف قدم فوق سطح الأرض .. صوت فيروز الصافى يعبر بى
ات العلا .. وصوت وديع الصافى يقف بى عند قمة جبل شامخ .. وكلاهما

يجعلنى أحلق بعيدًا عن الأرض بالانشراح .. ولكننى سمحت للأحزان أن تقتحم حرمة أفراحى القصيرة . عندما كنت أشعر أن صوتها العميق النبيل يعبر عن عمق المأساة التى كانت فى لبنان .. وديع الصافى هو الذى كان يغنى : لبنان ياقطعة سما ! ! .

الألم .. هبط إلى الأرض وكنت أتعذب مثلما كان يتعذب لبنان بنيران الحريق .

عندما يموت الحب .. يموت الشعر

الكلمة العاشقة فى المغرب تموت فى صمت .. بلا رثاء . أو سرادق للعزاء ..
ا البلد يموت الحب فيه .. فى نفس الوقت الذى يحتفل بمرور ألف عام على
لد أكبر عاشق فى الشعر العربى .. ابن زيدون ! فى هذا البلد .. رفعت المرأة
جاب .. ومارست حريتها .. أما الشعر فلم يرفع عنه الحجاب بعد .. وحديث
اعر العاشق فى الحب .. أو الغزل .. أو وصف المحبوب .. فهذا أمر محظور ..
باط هذا العمل بما يسمونه بالعيب .. ولاأحد يعرف حتى الآن ذلك الشيطان
ـ زرع فى الأذهان أن الإنسان صاحب المقام الرفيع أو المنصب العالى ..
لحسب الوجيه .. لاينبغى أن يبوح بحبه المجهول بكلمات فى الشعر . ويريح
ريح ! ولابد أن نؤكد حقيقة وهى : أن الكلمات العاشقة لاتأخذ جمالها ..
بتها .. وكمالها .. إلا إذا توجه بها صاحبها فى حديث إلى المحبوب ! والشاعر ..
لك الإنسان الذى استطاع أن يجعل قلوب العشاق تدق فى صدور الناس ..
الشاعر العاشق .. ماكان أدب رفيع . ولا نثر كريم فى المعانى . ولاشعر
ـ كلماته من أرض القمر . فأضاءت كل ماحولها . وجعلت من كل
دات ذات الشىء المضىء بالجمال .. بعد أن أضاف الشاعر إلى خصائصها

وصفاتها من وجدانه ، ومن حشاشة قلبه ، ومن خياله ، ورؤياه .. وصفاء نفسه ونزيف عواطفه العامرة بجمال الحب !

ففى المغرب .. نجد الشاعر العاشق .. يمارس كتابة شعر الحب سرًّا .. ويقوله همسًا للأصدقاء .. ولايستطيع أن ينشره خشية ذلك الوهم المستقر فى العقل وهو أن ذلك يدخل فى إطار « العيب » .. والسؤال .. لماذا يحتفل المغرب بالشاعر العاشق ابن زيدون .. أشهر شاعر فى تاريخ العرب .. وشعره .. وعشقه لولادة بنت المستكفى الخليفة الأموى فى العصر الأندلسى .. ملأ بطون الكتب ، ونثر على الشعر ذلك الأريج الطيب .. وجعل تراثنا الشعرى حافلا بجميل الكلام .

وبلاد المغرب الجميلة .. توجد بها كوكبة من الشعراء الذين يتميزون بالأصالة فى الشعر والقدرة على قوله من أمثال علال الفاسى زعيم حزب الاستقلال ومؤسسه ، وعبد الكريم ثابت ، وأبو بكر المرينى رئيس تحرير مجلة الفنون وعبد الكريم توانى ، ومحمد الحلوى ، وعبد المالك البلغيتى .. وعلى الصقلى وغيرهم .

هؤلاء الشعراء مازالوا يرسفون فى أغلال التقاليد .. ولايستطيعون نشر غزلياتهم بدعوى أن العاشق فى الشعر خارج عن مجتمع أهل الفضل والاستقامة .

هؤلاء الشعراء يتميز شعرهم بسعة الخيال والرقة والدقة فى التصوير والتعبير ولكن لا يقولون لكيلا يتعرضوا للنقد ..

فمثلا .. الشاعر محمد الكتانى لاينشر شعره فى الغزل لأنه يعمل فى القضاء وحتى لايتهم بالانحراف الخلقى .. وهجر فن القول نهائيًّا .

ومات الأدب .. والشعر فيه .

والشاعر أبو بكر المرينى الذى يتحدث عن محبوبته بهذه الأبيات .

ذات يوم فى صدرها النهد ضاق

وبكى يشكو فى الصدار اختناق
قائلا : ماذنبى وعلّة وأدى
فى حرير الأكفان ليس اتفاق

مع العلم أن نزار قبانى .. قد ملأ الأسماع ، وبنى شهرته ومجده على شعر الغزل .. ومحاورات العشاق ورسائلهم فى الحب .

وقد سبق نزار الشاعر المغربى عندما قال فى قصيدته « سمراء » :

فكّى الغلالة
واحسرتى عن نهدك المنضرم
لاتكبتى النار الحبيسة
وارتعاش الأعظم
نار الهوى فى حلمتيك
أكولة كجهنم !

وقال نزار ذلك .. ولم يخرج عن مجتمع أهل الفضل .. بل وأجبر أهل الفضل ، الاستماع إليه والاستمتاع بشعره وباحترام كبير .

والشاعر المغربى نفسه الذى يخشى أهل الفضل .. هو الذى يؤمن بهذا القول .. كتبه فى شعره .. فيقول :

إن الحب .. تقاه فى ضلالته
إلا عن الحب طوبى للمحبينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا
للعاشقين وبلغهم تهانينا

وهو فى هذه الأبيات من قصيدته الطويلة يكتب معارضًا الشاعر الأندلسى زيدون فى « نونيته » المشهورة التى مطلعها :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فيا أهل الفضل فى المغرب .. ارفعوا أيديكم عن شعر الحب .. ليحيـ
الأدب .. وعلى الشعراء أن يقاتلوا لرفع الحجاب عنهم .. وإلا فالصمت .
أو الموت ... وكلاهما فى الأدب .. !! لافرق بينهما !!

عينى على البناء وأذنى على الغناء

عندما تزور أى بلد .. وتريد أن تتعرف عليه .. لابد وأن تتجه إلى فنونه وآدابه أفكار مفكريه .. وأن تضع عينك على البناء والتعمير .

ولايكفى للحكم على أى بلد أن تشاهد العمران .. ولعل تعبيرات الإنسان عن سه بالفن والأدب والعلم تقل أهمية عن أضخم المشروعات .

وقد رأيت فى منطقة الخليج الكثير من مظاهر الحضارة .. حركة العمران سعة .. وتسير فى كل اتجاه .. العمارات العالية .. والآلات الضخمة التى تعمل فى ناء .. وأحدث وسائل الاتصال والانتقال .. ولكن عندما تمتد يدى إلى الراديو أسمع مايوازى هذه النهضة العمرانية ولاأشاهد فى التليفزيون الوجه الحقيقى حضارى لهذه المنطقة الموعودة من العالم . ولاأجد فى الأسواق كتبًا كافية من نفات مفكرى المنطقة .. أقرؤها وأستفيد .

وقد حاولت قدر جهدى خلال وجودى فى إمارات الخليج العربى والتى بحث تعرف باسم دولة الإمارات أن أتعرف على آداب هذه المنطقة وفنونها .. مرها وغنائها .. وسافرت قبل أن أجد الإجابة على أكثر أسئلتى .

فى دبى ومن مكانى فى الدور العاشر فى فندق الإنتركونتنتال كنت أرى هذه

اللوحة البانورامية .. الخليج باتساعه والجزر الحاكمة فى مدخله . وعلى مسافة غير بعيدة من الشاطئ هناك إيران .. أو المدائن المعروفة باسم طهران وهناك كانت حضارة أصيلة عرفها العرب فى زمن الفرس عندما ذهب العرب وفى يدهم كتاب الله والتقوا هناك بحضارة رحبت بالقرآن وتمسكت بتراثها الفكرى فى مجال الثقافة والفن .

وكنت خلال تجوالى من دبى إلى الشارقة وعجمان ورأس الخيمة عينى على البناء . وأذنى على الغناء فلم أستمع إلا إلى شاعر يتحدث عن محبوبته التى لايراها بحكم التقاليد وحجاب المرأة وأحاديث عن الصيد والفروسية فى الصحراء . وتمنيت لو أسرع الإنسان الغربى هناك فى العمل فى المعانى .. وقلت لصاحبى فى الرحلة أرجو عندما نزور بلادكم فى مرة قادمة أن نرى كتبًا نعرف منها ما يدور بعقل هذا الشعب الواعد بمستقبل طيب . ولمصر دور عظيم فى بناء النهضة لهذه الدولة من خلال عمل هذا العدد الكبير من المدرسين والأطباء والمهندسين .

وقال لى تريم عمران الذى كان سفيرًا لدولة الإمارات فى القاهرة . ويوسه الحسن مستشار السفارة قبل سحب السفراء من القاهرة وكانا من زملاء دراستى الجامعة إن الدولة تقوم الآن بجمع تراثها وتشجع الفنانين من أبنائها .. حتى تستط أن تعلن الدولة عن نفسها حضاريًا ليس فقط بالبناء . ولكن أيضًا بالمعانى

بالحب ذهبت الثقافة العربية إلى الحضارة الفارسية

الحديث عن الحضارات .. ليس أن تقف فى اتجاه الغروب لاستدعاء تاريخ
ق .. يمكنك أيضًا الوقوف فى مشرق الشمس وتتحدث عن غروبها ..
شروق .. والغروب ماهى إلا لحظات موصولة فى عمر الزمن .. والإنسان
ذلك الحضارات .

حاولت أن أمسك بالبرق وأنا أكتب عن اللقاء بين الحضارتين العربية
ارسية . ولكن يكفى أن يضىء البرق الطريق أمامنا لنرى حقائق التاريخ الهامة .
دى هذه الحقائق هذه الحقيقة التاريخية . . وهى أن الحضارة الفارسية ..
قبلت الثقافة العربية بسماحة . . لأن العرب عندما ذهبوا إلى المدائن
هران) .. ذهبوا وفى أيديهم كتاب الله .. وقدم هذا الكتاب حلا متكاملا لكل
كلات الحياة والإنسان . قدم تشريعًا يهدى به مسيرة الناس ، وينظم العلاقة
الإنسان والإنسان .. بعد أن هداهم إلى الإيمان ، فالإسلام لم يذهب إلى
ن غازيًا .. بل ذهب هاديًا ومنيرًا .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا اللقاء هو التأثير والتأثر أيضًا . فتأثير الثقافة العربية
كر الفارسى كان سريعًا عميقًا بعد أن أقبلت فارس على لغة القرآن . وكذلك

كان أثر الحضارة الفارسية فى الثقافة العربية واضحًا بعد أن ذهب العرب إلى أمة ذات تاريخ .

والقارئ للثقافة الفارسية عند التقائها بالثقافة العربية يجد أن الذى بينهما كان ولم يزل حوارًا فى الأفكار .. وليس صدامًا للأقدار . وكان من نتائج هذا الحوار هو توليد الأفكار الذى يمهد للتأثير بين الثقافتين . كذلك القارئ للثقافة الإيرانية يسهل عليه أن يلاحظ أن الأدب الإيرانى يتميز بالإخلاص الشديد للتراث والعقيدة الإسلامية معًا .

وقد أخذت الثقافة الفارسية من معين الثقافة العربية الكثير . وإذا ماتحدثنا عن بعض النواحى الجزئية فى الثقافة الفارسية كالشعر والأدب والبلاغة . نجد أن الأدب الإيرانى عرف القصيدة الغنائية والأوزان العربية ، والمقامة ، وفن الرسائل من الأدب العربى .

وقلد الأدب الفارسى الأدب العربى تقليدًا ظاهرًا كاد أن يفقده أصالته . على أن ذلك يندر فى فن الملحمة الذى انفرد به الأدب الفارسى .

وأسلوب الحوار صفة أصيلة فى الأدب الفارسى .. وقد توسع فيه ، وكان من عادة هذا الحوار الأدبى فى الثقافة الفارسية أن يتم على لسان السماء والأرض ، بين القوس والرمح ، وبين الليل والنهار . وكان طابع هذا الحوار دينيًا أو أدبيًا أو قوميًا . كذلك عرف الشعر العربى هذا النوع من الحوار بين العواذل ، أو بين الشاعر والمحبوب أو بين الشاعر والدهر ، أو بين الشاعر والأطلال . وقد كثرت هذه النماذج فى الشعر الفارسى الذى يسوق فيها الكاتب خواطره .

ولأمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة فريدة وهو قد تأثر فيها بالأدب الفارسى عن طريق الأدب التركى . وهذه القصيدة بعنوان « قالت » .

وعلماء اللغتين العربية والفارسية يحدثوننا عن اتفاقهما فى كثير من المفردا

والاصطلاحات اللغوية ، بل فى كثير من الأفكار والأخيلة بحيث يبدو أن وحدة واحدة تربط بينهما . وأن صيغة للتفكير واحدة توحد بين معالمها على الرغم من أنهما ينتميان من الناحية اللغوية إلى فصيلتين مختلفتين .

وقد توثقت الصلات بين اللغتين وآدابهما بعد الفتح الإسلامى وماترتب عليه .

وكان لهذا الفتح أثره الجميل .. والشديد أيضًا عند المفكرين الإيرانيين الذين كتبوا بالحروف العربية وهجروا اللغة الفارسية القديمة إلى لغة القرآن . وأصبحت لكلمات العربية تجرى على ألسنتهم وتغزو هذه اللغة إنتاجهم الأدبى والفلسفى العلمى وأقبل العامة على قراءة اللغة العربية والتأثر بها .

ولم يقتصر تأثر الثقافة الفارسية بالعربية على هذه النواحى اللغوية ، المفردات ، وصور التعبير ، بل كان من نتائجه أن سهل التبادل بين اللغتين فى لأفكار والموضوعات .. وانتهت إلى توحيد الكثير من مظاهر الثقافتين العلمية الأدبية . لكن الفتح الإسلامى ومانتج عنه لم يقضيا على الروح الإيرانية . بل ظل فكرون والأدباء والشعراء يعتزون بماضيهم التليد فى الحضارة . ودفعهم هذا إلى جمة الكثير من روائعهم إلى الأدب العربى مثل «كليلة ودمنة» وملحمة شاهنامة للفردوسى التى يتغنون فيها بأمجادهم .

ونحن لانستطيع فى هذه اللمحة السريعة أن نلم بكل أطراف الموضوع عن لقاء ثافتين الكبيرتين وماكان له من إضافات إلى حضارات العالم . فمثل هذه المحاولة ، من يحاول أن يمسك بالبرق .

مع ابن زيدون : على جسر الأفراح والدموع

كتابة سيرة العشاق نوع من ممارسة الأحاسيس المنسية !

فالسباحة فى بحار العشق رياضة نبيلة ، ولايقدر عليها إلا ذلك الإنسان الصحيح الوجدان وهذا الإنسان هو الشاعر .. وهو القادر أيضًا على أن يجعل قلبه يدق فى صدور الناس .. مرة بالحب .. ومرة بالمجد .. وأخرى بالهزيمة ! !

فالحب عند الشعراء يعرف الهزيمة .. وربما كانت هزيمة شاعر انتصارًا للشعر ! !

والهزيمة .. والانتصار وجهان لعملة واحدة .. هى الحب !

ذهبت إلى المغرب لحضور حفل عرس لشاعر عاشق ولد من ألف عام .. و أجد هناك سوى أطلال الحفل .. وبقايا من رماد الحريق الذى أشعله الشعرا والباحثون فى تاريخ الشاعر العاشق ابن زيدون ، والذى وجدتنى يومًا وأنا اقرأ ، وكأننى أسير بالحب فى غابات الفرح .. وعندما رضيت عنه محبوبته ولادة بنت المستكفى فالشاعر العاشق .. وزير وسفير .. والمحبوبة بنت آخر ملوك الدولة الأمو فى الأندلس .

ومرة أخرى أجد نفسى على طريق الحزن بالدموع تحت ضياء النجوم .. عند أعرضت عنه حبيبته !

ومرات عديدة أسمع مع الشاعر وشوشات الشجر فى ضوء القمر .. عندما نادت عليه الحبيبة بالسهر !

هذا الشاعر .. العاشق .. السفير .. والوزير قال عنه المستشرقون إنه أشعر الشعراء العرب الغزليين على الإطلاق .

وذهبت إلى أسبانيا بحثًا عن لياليه التى أقام فيها جسرًا من الفرح والدموع لم يزل ممتدًا حتى الآن ..

ورحت أسأل فى تاريخه .. وهل كانت كلماته بحجم عاطفته فى الحب ؟

وعرفت من الدكتور أحمد هيكل مدير المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد والمستشار الثقافى للسفارة المصرية فى العاصمة الأسبانية وصاحب المؤلفات فى الأدب الأندلسى .. والذى يشغل منصب أستاذ كرسى تاريخ الأدب بجامعة القاهرة .. أن الشاعر ابن زيدون قد علق هموم دنياه على حبه لولادة . وقام أحمد هيكل بعمل دراسة نفسية لشعره .. ووجد أنه قد أسقط همومه من الناس .. من الحياة على فشله فى الحب .. فليس من المعقول أن يقول شاعر كل ماقال وهو أسير فى محبوبته .. أو لأنه انتصر فى حبه فترة .. ثم انهزم عندما فضلت عليه غريمه ابن عبدوس وتزوجته ..

ويمكن أن يعبر عن هذا الحادث بكلام كثير مشحون بالألم . ولكن ليس هذا الحادث هو السبب فى كل ماكتبه ابن زيدون من كتابات أغنت اللغة العربية والخيال الشعرى .. حتى أصبح واحدًا من أكبر شعراء الأندلس وواحدًا من كبار شعراء العاطفة العرب . والقارئ لقصيدة من الشعر العاطفى يجدها محملة برموز وإشارات لها دلالات قديمة فى نفس الشاعر .. ولم يفصح عنها إلا عندما اختار موضوع قصيدته !

والشاعر ابن زيدون يحمل فى شعره ميراث العرب التاريخى .. وأنه من أصل

عربى .. وإن كان قد ظهر فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى .

وكان يلقب بالشاعر الأديب ذو الوزارتين .. وزارة القلم .. ووزارة الدولة فى عهد آخر ملوك الطوائف بالأندلس . وفى أثناء حكم ابن جهور فى قرطبة وحكم المعتمد بن عباد فى أشبيلية .

وأدب ابن زيدون يفيض رقة وعذوبة وعبارته مختارة ، ولاتكاد تميز بين شعره ونثره لأن كلاهما متأثر بالآخر ، فهو فى رسائله شاعر ، وفى شعره مبدع وعبقرى ، وتأثر بأبى العلاء ، وبالجاحظ .. ويظهر ذلك فى قصائده ، ورسائله ، وله اطلاع واسع عن تاريخ العرب ، والأمم ، وكثير من العلوم ، والفنون ، والآداب ، ومعرفة كبيرة بأسرار اللغة العربية ، ونلاحظ ذلك فى رسالتيه الهزلية ، والجدية اللتين ورد فيهما استشهادات للشعر والحكم والأمثال ، وتاريخ الرجال ، وللمشاء حنكة سياسية ، ومكانة اجتماعية ، ومات فى إحدى رحلاته متأثرًا بمرض حما معه خلال فترة سجنه لمدة ٥٠٠ يوم نتيجة وشاية من ابن عبدوس وكان وزيرًا أيضً وغريمه على قلب ولادة ! !

عاشق الأندلس

عندما يتحدث يشرق فى سمائه ألف قمر ! !

الدكتور أحمد هيكل عاشق قديم . . وإذا تحدث عن الأندلس . . فيصبح حجر عصفورًا يطير . ويمتلئ الأفق العارى بآلاف النجوم . ويشرق فى سمائه ألف ر !

وحديث العاشق أشبه مايكون برحلة بين الكواكب . وكانت مركبته حزمة من ضوء الشمس التى غابت عن هذا المكان .

. . وهو دائمًا يحاول أن يشعل قنديلا . . فقط قنديلا يذكر به . . لكى يظل ضوء حاضرًا على هذه البقعة من الأرض التى عاشت فيها بالأزدهار حضارة إسلام قرونًا . وبدلت ظلماتها نورًا . وكان الإسلام طريقها . . وخلاصها . وضتها !

والدكتور أحمد هيكل يزور القاهرة الآن . . جاء ليعد برنامج الاحتفال بالمعهد صرى للدراسات الإسلامية بمدريد .

هذا الاحتفال سيكون بمثابة مرور ٢٥ عامًا على إنشاء رائد الثقافة المصرية كبير الدكتور طه حسين لهذا المعهد عام ١٩٥٠ عندما كان الرائد المصرى وزير معارف العمومية .

وسوف تشترك وزارتا التعليم العالى والخارجية ، والأزهر الشريف بمصر فى هذا الاحتفال الكبير الذى تقرر أن يكون شهر نوفمبر القادم موعدًا له .

والدكتور أحمد هيكل هو مدير هذا المعهد والمستشار الثقافى لسفارتنا فى العاصمة الأسبانية .

وهو قبل ذلك أستاذ تاريخ الأدب بجامعة القاهرة . وله مؤلفات عن الأدب الأندلسى الذى كان موضوع رسالته للدكتوراه التى منحتها له جامعة مدريد فى احتفال كبير حضره عدد من رجالات الثقافة والفكر هناك . وكانت فرحتهم بذلك كبيرة عندما تفوق الطالب المصرى أحمد هيكل على زملائه الأسبانيين فى اللغة الأسبانية . والذى روى لى ذلك هو زكريا توفيق عبد الفتاح وزير التجارة السابق الذى كان يعمل ملحقًا تجاريًا بسفارة مصر فى أسبانيا فى أوائل الخمسينيات وكان شاهدًا على هذا الاحتفال .

وأسباب فرحة الأسبان الحالية وحفاوتهم بالحضارة الإسلامية هى : أن الأسبان يعتبرون أن التراث الحضارى فى العهد الأندلسى الذى خلفته العروبة والإسلام على أرضهم إنما هو نتاج أسبانى مسلم . انتجته أسبانيا فى عهدها العربى الإسلامى إذن هو تراث قومى ، وهو أيضًا تراث عربى إسلامى بالنسبة لنا ، وهذا يؤدى إلى تعاون مصرى أسبانى لإحياء هذا التراث الذى أثر تأثيرًا عظيمًا لا فى أسبانيا وحدها وإنما فى أوربا كلها .

ومن هذا المفهوم سوف تشارك أسبانيا فى الاحتفال الكبير بالمعهد .. أو هذه المؤسسة المصرية الثقافية التى تعمل على إحياء التراث العربى الإسلامى الذى تزخر به أسبانيا ، وتعمل أيضًا على دراسة هذا التراث وتعميقه ، والاسهام مع المستشرقين الأسبان والمهتمين بالدراسات الأندلسية فى شتى فروعها الأدبية والفكرية والمعمارية ، والحضارية .

وهذا المعهد هو معهد أبحاث لهذه الدراسات . وليس معهد تعليم . وهو أشبه بالمركز القومى للبحوث . يقوم بالبحث فيه أساتذة متخصصون فى الدراسات الأندلسية غير متفرغين . بعضهم أسبان . وبعضهم مصريون . ويرجو الدكتور هيكل أن يكون الباحثون متفرغين فى المستقبل .

بالمعهد أجهزة مختلفة من أهمها مكتبة تعتبر من أغنى المكتبات فى أوربا لما تحتويه من دوريات ومخطوطات نادرة وخاصة فى مجال الحضارة والدراسات الأندلسية .

يقول الدكتور أحمد هيكل : إن قدر مصر التاريخى . ودورها العظيم .. أن تتحمل رعاية وتنمية وإلقاء الضوء على الثقافة العربية الإسلامية وعلى التراث العربى الذى أنتجته القرون الثمانية التى عاشها الإسلام وحضارته على أرض أسبانيا . وهو بذلك المؤسسة العربية الوحيدة التى تنفق عليها مصر – برغم ظروفها – والتى تخدم الأمة العربية كلها ... فى هذه المنطقة فى غرب أوربا .. والتى عاش الإسلام فيها بحضارته ماجدًا . وكان التأثير فيها كبيرًا . وحفر فى الوجدان الأوربى تلك الآثار الباهرة والرائعة والتى لاتزال تدل عليه . فمعروف أن التراث الأندلسى العربى الإسلامى .. ترجمت روائعه إلى اللاتينية وإلى الأسبانية القديمة منذ القرن الثالث عشر الميلادى فى مدرسة طليطلة عاصمة القوط والتى ازدهرت فى العصر الإسلامى . وتسرب هذا التراث عن هذا الطريق إلى الفكر والأدب والحضارة فى سبانيا بصفة خاصة . وأوربا بصفة عامة . فمثلا الشعر الأسبانى الغنائى منذ العصر وسيط تأثر بالشعر الغنائى الأندلسى وخاصة شعر الموشحات . وكان هذا التأثير تجاوز الشكل والوزن إلى المضمون والروح والمحتوى . فمجموعة شعر الفونسو العاشر لك الأسبانى الشاعر الملقب بالفونسو العالم . قد استلهمت فى روحها ومعانيها وفى كلها الموسيقى الموشحات العربية الإسلامية الأندلسية . ويؤكد هذا الاستلهام كل مادى صريح أن أقدم نسخة لهذه المجموعة الشعرية قد رسم عليها مغنيان

أحدهما عربي والآخر أسباني . وكذلك مجموعة أقاصيص (الحب الطيب) وهو أشهر مجموعة قصصية أسبانية عاطفية في العصور الوسطى التي ألفها (دي هيته) تستلهم قصص الحب العذري العربي . وكان التأثير غلابًا في الفلسفة الأوربية التي تأثرت بفلاسفة الإسلام من أمثال ابن رشد . وابن عربي . وابن طفيل . وأيضًا في العمارة والفنون .

واللغة الأسبانية تحتوي على آلاف الكلمات ذات الأصول العربية . وإن كانت اللغة العربية لاتوجد كلغة في أي مكان في أسبانيا الآن . وإنما توجد كأقسام في الجامعات كوسيلة من وسائل دراسة تاريخ أسبانيا في العصر الإسلامي الذي أعطى أوربا وجبة ضخمة عاشت عليها وشكلت وجدانها وعقلها في عصر نهضتها .

والمعهد المصري في مدريد هو الذي يرعى الآن العروبة في ماضيها التاريخي وفي حاضرها اليومي المعاصر . وهو المكان الوحيد الذي تعلو فيه كلمة الإسلام . وبارك الله في مصر .. ورحم طه حسين !

قصيرة بالحب مسافات السفر !

إذا كنت سعيدًا مثلى .. ووجهت الحكومة التونسية لك الدعوة لزيارة تونس .. أرجو أن تكتمل سعادتك بصحبة الهادى عباس .. فهذا الاسم أضيفه إلى قائمة أصدقائى فى تونس وهم كثيرون .. بالإضافة إلى معالمها ومدائنها ، وأسماء شوارعها .

والصديق الجديد .. رجل بسيط .. وفنان .. ويعمل سائقًا لإحدى سيارات لضيافة ... وكل ميراثه وثروته هو ٢٥٠ تسجيلا نادرًا لكوكب الشرق أم كلثوم .. قد ورث هذه الثروة عن والده .

وقال لى أحمد السعيدى موظف وزارة الإعلام .. ومرافق خلال الزيارة إن كبر بيوتات تونس .. وكذلك الإذاعة .. لاتملك مثل هذه التسجيلات !

وحلاوة هذه التسجيلات وندرتها ترجع إلى العهد البعيد للأغنيات التى سمعتها ثل : ياطول عذابى ، والليلة عيد ، وسهران ، وأغار من نسمة الجنوب ، والأولة ، الغرام . والآهات وهلت ليالى القمر .

هذه الأغنيات غنتها أم كلثوم فى زمانها الأول .. عندما كان صوتها بكرًا .. نويًا .. وندىًا ، ومشروخًا وتلقائيًا وحبيبًا .. كانت البحة فى هذا الصوت طربًا

وكان الشرخ نغماً يضاف إلى الأنغام !

وكنت مع هذه الأغنيات أريد لكل طريق طويل .. أن يطول .. أكثر .. وأكثر .. أنا ذلك الملول القلق على كل طريق بالسفر . . ولكن فى هذه المرة كنت أنشد البهجة .. وأريد السعادة .. وقصيرة بالحب .. مسافات السفر ! !

الوثائق التاريخية ليست كمناديل العشاق معطرة ومشغولة بالحرير

التاريخ لايكتبه إلا عشاق من نوع خاص .. فالعاشق عندما يدخل الحديقة .. س فى ذهنه إلا لقاء المحبوب . أما المؤرخ إذا دخلها .. فإن عليه أن يحصى شجارها وأغصانها وأوراقها ، وعدد العصافير التى مرت بها والطيور التى تسكنها .

ومثل هذا العاشق للتاريخ ، لابد أن يتمتع بالحس التاريخى الذى يمكنه من قيام بهذه المهمة البالغة الصعوبة . ومثل هذا المؤرخ الراهب ليست مهمته فى صد الأحداث فقط ولكن مهمته تحليل هذه الأحداث وتقويمها ولابد أن يكون يمًا بمنهج كتابة التاريخ . فالأحداث التاريخية لاتثير الكثير من الجدل ، وإنما تلاف دائمًا يجىء عند فلسفة هذه الأحداث وتحليلها .

ولاتوجد فلسفة بلا تاريخ ، كما أنه لايوجد تاريخ بلا فلسفة .

وهنا نسأل : من يكتب التاريخ ؟

هناك من يقول : إن الذى يكتب التاريخ هو الإنسان القوى ، والمؤرخ معتمد على هذه النظرية وإلا كان التاريخ خاضعًا لما يقوله الخصوم مثلما فعلت ت الملك شقيقة الحاكم بأمر الله عندما قتلته ، وشوهت تاريخه لتبرر قتله ، وأنه حق هذه النهاية .

وكذلك فعل العباسيون وهم يكتبون تاريخ الأمويين عام ١٥٠ هجرية .

والإنسان شديد الاهتمام بكتابة تاريخه ، ومهمة المؤرخ أن يبعث الحياة فى الأحداث الميتة لكى تظل تتنفس فى ذاكرة الشعوب . والمؤرخ هو ذلك الإنسان الخارج على سلطة الموت ، ويعيد للأحداث أفعالها وانفعالها . وهو عندما يفعل ذلك ، يصبح التاريخ ذلك الجسر الممدود على كل العصور .

وبرغم ماكتبه المؤرخون فى جميع الأزمنة .. فإن الكلمة الأخيرة فى كل تاريخ لم تكتب بعد ، وكل يوم يظهر المؤرخ الجديد من الأحداث ، ومايصاحبها من ملابسات جديدة . وهو بذلك يقدم اكتشافًا جديدًا له مثل الأثر فى الاكتشافات العلمية الباهرة فى مجال العلوم خدمة للإنسان .

وصعوبة كتابة التاريخ هى أن معظم مصادره ووثائقه يشوبها هوى من كتبوها ، وفى كثير من الأحيان يكون البطل التاريخى أشبه بالوعاء الذى توضع فيه الأشياء لحفظها ، وتلجأ الشعوب إلى هذه الطريقة لحفظ تاريخها ، فكثير من الوقائع التاريخية تنسب إلى البطل وهى ليست من صنعه .

فمثلا استقر فى أذهان الناس أن طارق بن زياد فاتح الأندلس قال فى خطبته المشهورة للجنود : « إن العدو أمامكم ، والبحر خلفكم » وكان نتيجة ذلك هو النصر ، وأكثر من ذلك أن طارق بن زياد القائد العظيم كان يقول الشعر ، وروى المؤرخون قصائد من شعره ، ولكن ثبت فيما بعد أن طارقًا كان من قبائل البربر فى المغرب وحديث العهد بالإسلام ، الأمر الذى لا يمكنه من الحديث بالعربية على هذه الطريقة التى كتبها المؤرخون بعد فتح الأندلس بأربعمائة عام .

ولم يرد ذكر لهذه الوقائع عند المؤرخين المعاصرين لطارق . . وأن ذلك كان منسوبًا إليه كما ورد فى كتاب « الأدب الأندلسى » للدكتور أحمد هيكل .

نكرر القول : أنه لا كلمة أخيرة فى كتابة التاريخ ، وهذا القول أسوقه بمناسـ

صدور كتاب للدكتور أحمد شلبى أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة باسم : « مصر بين حربين » وهو يتناول الفترة من حرب يونيو ١٩٦٧ حتى أكتوبر عام ١٩٧٣ ، كذلك يقدم لهذه الفترة بالفترة التى سبقتها .

وهذا الكتاب هو تاريخ مايسمح به من كتابة التاريخ ، وإن كان المؤرخ أكثر صراحة ، فهو يسمى الأحداث والأشخاص بأسمائها الحقيقية .

وهذا الكتاب ربما يكون مصدرًا أو خيطًا يمسك به من يجىء بعده من المؤرخين ، لأن تاريخ هذه الفترة لم يزل مجهولا ، ووثائقها لم تزل غائبة والشاهد عليها هو صانع القرار فيها ومن هنا تجىء الصعوبة .

وصاحب الكتاب له تاريخه بين أهل العلم ، وله وسائله فى الكتابة التاريخية ، ولذلك جاء كتابه تقويمًا لأحداث سبقت أراد أن يضعها فى موضعها الصحيح ، وهو بذلك يريد أن يفتح للذين يجيئون بعده بابًا مايزال مغلقًا على كثير من الأسرار !

مع الساقية التى تأخذ الماء من دموع العين

أسلمنى عبد المنعم الصاوى إلى دمع العين . وحلو الكلام والذكر العظيم والأوهام ، والحب والمشاعر الغامضة . والعواطف النبيلة ، والتضحية ، والتقاليد والعادات ، والظلم والظلام ، والضوء والتاريخ والصراع ، والأهداف العظيمة ، والقوة والضعف ، والجهاد ومحاربة الاستعمار . والكفاح من أجل مصر ، ومايصاحب هذا الكفاح وهذا الحب من شجاعة وصبر وقسوة وألم ، ومطاردة ، وخوف وأمل ، وانتصار .

كل هذه المعانى تجىء إليك وتزورك . . وأنت تتابع بالشوق مسلسلة « الساقية » ذلك العمل الروائى الرائع الذى دخل تاريخ الأدب المصرى بلا ضجيج . وكان أولى به أن يقتحم بقوة ونحتفل به مثلما احتفلنا بثلاثية روائى مصر الكبير نجيب محفوظ ورواية عبد المنعم الصاوى « الساقية » التى تضم خمسة أجزاء طويلة هى أكبر عمل أدبى فى تاريخ الرواية المصرية .

وإذا كان نجيب محفوظ قد أرخ لفترة خصبة من تاريخنا من خلال ثلاثيته الشهيرة . واختار لها بين القصرين والسكرية وقصر الشوق ساحات لتدور عليها الأحداث . . كذلك فعل عبد المنعم الصاوى . . فقد اختار الريف ميدانًا . .

أو ساحة للصراع .. وروى من خلال ذلك تاريخ هذه الفترة أيضًا فى زمن الاحتلال والحرب العالمية الثانية .

وإذا كانت رائعة « الساقية » لعبد المنعم الصاوى تسللت على استحياء إلى ساحة الأدب الرفيع دونما صخب فقد اقتحمت الوجدان المصرى بقوة وعنف . ولو أن كاتبًا فى مكان آخر كان له مثل وجدان عبد المنعم الصاوى وصبره ، وعيونه التى وقعت على كل شىء وروعته فى التعبير عن كل شىء .. لأقبلت عليه الدنيا واحتفت به عند صدور هذا العمل الأدبى الكبير .

وأنا لا أتجه بحفاوتى وإعجابى بهذه السطور الحميمة فقط إلى عبد المنعم الصاوى وحده . ولكن أتجه بها أيضًا إلى المخرج الكبير نور الدمرداش بطل هذا العمل الدرامى الذى أسعد به الملايين على الشاشة الصغيرة .

وكانت عبقرية المخرج نور الدمرداش فى تحريك هذه الكوكبة من الممثلين واختياره الرائع لدور كل ممثل . مما جعل كل منهم فى هذا العرض يؤدى دوره باقتدار ظهرت من خلاله طاقاته وإمكاناته الفنية .. هذا المخرج جعلنا نتجه بحبنا إلى نجومنا فى الاتجاه الصحيح . وكان هذا الحب لكثير من نجومنا قبل هذا العرض يذهب بعيدًا عنهم .

وبقدر ما استطاعت عيونى أن ترى وذاكرتى أن تحفظ من الأسماء أشير بمحبة وبلا ترتيب إلى جهد الفنانين : عبد الغنى قمر ، وحمدى غيث ، وصلاح السعدنى ، وسميحة أيوب ، وثناء جميل ، وسهير المرشدى ، وصلاح قابيل ، وبثينة حسن ، وصفاء أبو السعود ، وليلى طاهر ، وسيد زيان ، وعبد الوارث عسر ، وعبد الله غيث ، وفوزية إبراهيم ، ومحمود يس ، وأبو الفتوح عمارة ، وبقية النجوم .

وكان لشعر عبد الرحمن الأبنودى ذلك الأثر الطيب فى النفس .. وكنت

عندما أستمع إليه أشعر وكأن الأبنودى أخذ كلماته الشاعرة من نبع الصفاء . وشعر الأبنودى عمومًا له خصائص ماء النيل عذوبة . وأرض مصر خصوبة ..

وكانت موسيقى عبد العظيم عبد الحق الحانية تحملنى إلى تلك الأجواء الأسطورية الحالمة وترد الإنسان إلى فطرته الأولى فى الصفاء والنقاء وتجرد النفس مما علق بها وتهزها فى مودة وجمال وتذهب بها إلى أماكن الوجد الخاشع وتطهر روحه وتعطرها بالفرحة والدموع !

وفى نهاية حفلى الصغير الذى أقيمه تكريمًا للساقية أقول : إعادة عرضها حمل إلينا الرى من بعد طول ظمأ .. وبالرغم من أننا سبق أن ارتوينا بمشاهدتها قبل ذلك .. فإن العمل الجيد .. لايبلى .. ودائمًا جديد .. والشوق إليه لايسقط مع الأيام .

ومن هنا أسأل : هل إمكانيات التليفزيون لم تعد قادرة على مثل هذه الأعمال الدرامية الكبيرة ؟ .. ولماذا ترك التليفزيون جمهوره فريسة لأعمال هابطة من إنتاج تجار الشنطة ووكالة البلح ؟ ومن الغريب أن التليفزيون يشترى هذه الأعمال ويدفع فيها الكثير إلى جيوب التجار وسماسرة الفن . وماهى الحكمة من إصرار التليفزيون على أن يخسر ماله وجمهوره الواسع ؟! .. ولكن فى الحكمة الإلهية إنقاذًا لنا .. هذه الحكمة هى أن ذاكرة الإنسان تسقط من حسابها الكثير .. وتحتفظ فقط بالصدق .. والعمل الصالح !

الحب .. والأميرة صاحبة الغرام !

الصحفى هو أقرب مايكون إلى البراكين الحية من أى شخص آخر . والصحفى يعرف الكثير ولكن لايبوح إلا بالقليل . وهو مثل المؤرخ خارج على قانون الموت فهو يعيد الحياة إلى الأحداث التى همدت . وغابت عنها الحياة .

وهذا مافعله موسى صبرى فى روايته الأخيرة « غرام صاحبة السمو » أعاد الحياة إلى كثير من الأحساد الهامدة . والحوادث الجامدة . فهو يعرف الكثير عن وقائع تاريخنا المعاصر ولايزال مسكونًا بالمعلومات التى تشحذ أسنانها . وأظافرها لتفتح لها طريقًا للهواء والعراء . والريح . والمطر . والمفاجآت . والناس .

فموسى صبرى الذى كتب عن الأيام الأخيرة التى سبقت قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ فى كتابه ملك وأربع وزارات . وموسى صبرى الذى حكى عن أدق تفصيلات حياتنا المعاصرة فى كتابيه وثائق ١٥ مايو . ووثائق حرب أكتوبر . بأسلوب غير فيه منّ مفهوم وثائقنا . وكان الإنسان أهم وثائقه . وموسى صبرى لذى أشعل فى هذين الكتابين الحرائق من جديد سواء على ساحات المعارك فى كتاب وثائق أكتوبر . أو على ساحات الدسائس والمؤامرة فى كتاب وثائق ١٥ مايو . وكان لهيب حرائقه وهجًا وقناديل . لمن يكتبون بعده . فموسى صبرى لـ

يقل كلمته الأخيرة بعد ، ولايزال الصدر مطويًا على كثير من الخبايا والخوف أيضًا . وموسى صبرى إذا كان قد اختار الرواية طريقًا لتسجيل الأحداث التاريخية مثلما يقدم لنا فى روايته « غرام صاحبة السمو » فهو فعل مثل كبار الروائيين الذين اختاروا هذا الطريق إلا قليلا .

فالروائيون الذين كتبوا عن الثورة الفرنسية قدموا أحداثًا أكثر ، وحقائق أدق . وتفصيلات صبغت العصر بلونه الحقيق .

ولذلك تشعر وأنت تقرأ « غرام صاحبة السمو » أن الكاتب لديه الكثير ولايرويه ، واختار من غرام أحد ضباط ثورة ١٩٥٢ محورًا أساسيًا لتصوير وتسجيل تاريخ هذه الفترة سياسيًا واجتماعيًا .

وجعلنا شهودًا على فساد العصر الذى جرح وجداننا ، وكانت فجيعتنا فيه أليمة على ماحدث لمصر .

فأمينة بطلة الرواية .. الثائرة ، الطاهرة ، الصادقة ، المحبة للخير ، هى رمز لمصر ، ولأجيال مصر فى الطهر ، والنقاء ، والرغبة فى القضاء على الفساد ، وكانت فجيعتها مدمرة فى والدها الصاغ رفعت نصير ، لما يمثله من قيم ، فوالدها هنا أيضًا أراد الكاتب أن يجعله رمزًا لما كان ينتظر منه من صدق ، وأمل ورجاء . . فهو أحد رجال التغيير الثورى ، ولكن سرعان ماأعلن عن وجهه القبيح فى الزيف ، والانتهازية ، هذا الأب هو رمز حركة التغيير التى ننشدها ، وكانت بمثابة الأب ، والأم ، والأمل ، ولكن تبدد ذلك أمام الكذب وسكنى القصور ، والمناصب والقمع تحت ستار الشعارات .

وإذا كانت أمينة قد أصيبت إصابة كبيرة جدًا أفقدتها الحركة وشلتها ، فهذا ماحدث لمصر فى هزيمة يونيو عام ٦٧ وماجرى على الساحة المصرية من مقدمات تؤدى بالضرورة إلى هذه النتيجة !

طبعًا لم يفت المؤلف أن يصور الحياة المصرية والتركيب الاجتماعى من خلال روايته التى أخذت مادتها من وجع الأرض وألم الإنسان فى هذه الفترة .

وأتمنى لو أن موسى صبرى كتب فصلا آخر فى روايته . أو أن يكتب رواية أخرى عن قمم فى الهاوية يتناول فيها أحداثًا هو يعرفها ولم يكشف النقاب عنها بعد .

أما عن أسلوب هذه الرواية ، فموسى صبرى قادر على التصوير بالكلمة مما يجعلك فى كثير من الأحيان وكأن قلبك سوف يقفز من صدرك . وتصويره للمشاهد العاطفية يجعلك تشعر بلهيب حرارة أنفاس العشاق فى لحظات الحب والذى كان صاحب السمو عند موسى صبرى . أما عن الأميرة فهى فقط صاحبة الغرام ! !

قضية حب !

عرف الأدب العربى الكثير من ألوان البوح العاطفى . عرفه قديمًا فى كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسى وفيه يتحدث عن ألوان من العشق .

كما عرفه الأدب المعاصر فى كتابات نسائية رقيقة . ولعل غادة السمان تقف الآن علمًا على هذا الاتجاه فى نثرها الذى يقترب كثيرا من الشعر لحلاوته وجماله .

كما عرفه أدبًا دراميًا خالصًا عند إحسان عبد القدوس . وأدبًا هادفًا ناعمًا فى رواية الباب المفتوح للدكتورة لطيفة الزيات وكانت روايتها . هى الصرخة . والثورة . والأسلوب . والتكنيك . والتمرد .

وخلت بعد ذلك الساحة . إلا من القليل الذى تكتبه غادة السمان نثرًا متمردًا جميلا . تحمل كلماته عطر الأنثى . وأشواق الحياة .

وظننت أن حديقة الأدب الذى تكتبه المرأة قد خلت من الورود . ولم يبق فيها سوى الهشيم .. إلى أن جاءت الكاتبة سكينة فؤاد بدفئها العاطفى فى بعض قصص مجموعتها الأولى محاكمة « السيدة سين » واستقبلناها بحب . ولم يطل بنا الانتظار .. فجاءت إلينا من بحار الألم بقنديل من النور العذب ليضيء حياتنا الأدبية فى مجموعة قصصية باسم « ملف قضية حب »

وأبرز مافى هذه المجموعة هو ملف هذه القضية الذى سيظل مفتوحًا . ولاتغنى الكتابة عنه عن قراءته والإقبال عليه بفرحة طفولية . فالكاتبة لديها كل إمكانات الكتابة الأدبية . من فن . وحرارة فى الأسلوب . والقدرة على التعبير الدقيق والحوار . وخلق المواقف التى تجعلنا نقف معها ونقرأ فى حب لايغيب الشوق عن ملف قضيتها . وقضيتنا عن الحب !!

سويسرا والزقازيق !

حلم عشته فى سويسرا ، وكنت أظنه بعيدًا .. ولكنه تحقق فى الزقازيق عاصمة الشرقية .

هذا الحلم زارنى وأنا ذاهب من جنيف إلى مدينة لوزان فى سويسرا فى جو رمادى أوربى يوحى بالشجن الكريم وعبر الأشجار المتعددة الألوان فى الخريف وعلى شاطئ البحيرة الجميل . والثلوج تغطى قمم الجبال وتكسوها هيبة وجلالا . وبالقرب من لوزان استقبلتنى مبانى جامعتها ومبانى المدن الجامعية . وتمنيت أن يحدث هذا فى بلادى .. مجرد أمل .. وكثيرًا ما زارتنى آمال ولم تتحقق .

ومنذ أيام كنت فى زيارة بلدتى القنايات شرقية عبر الزقازيق وإذا بعدد من المبانى الجميلة يستقبلنى .. وبالسؤال .. عرفت أن هذه جامعة الزقازيق بكل كلياتها والمدن الجامعية بالقرب منها على أحدث طراز . وكذلك مساكن الأساتذة وهى فيلات بالغة الأناقة والجمال .

وعرفت أن وراء هذا الجهد العظيم الدكتور محمد طلبة عويضة رئيس الجامعة ، الذى لم يغفل لحظة منذ إنشاء الجامعة الوليدة عن استكمال كل مايلزمها بحيث تكون جامعة عصرية . ووجدت الحديث عن الرجل فى كل مكان فى

الشرقية بالفضل والعرفان ، والدكتور عويضة يدير الجامعة كما لو كان عمدة أو أحد مشايخ العرب وملأتنى الفرحة بتحقيق الحلم الذى سبقنى فى التعبير عنه بالتقدير هيئة اليونسكو العالمية والذى قرأته فى الصحف عندما أشادت فى تقريرها بجامعة الزقازيق وقالت : إن هذه الجامعة هى أعظم ماينبغى أن تكون عليه الجامعات الإقليمية .. ومبروك للشرقية ومبروك لشيخ العرب العالم الدكتور طلبة عويضة .

للعقل كلمة

الدكتور سيد أبو النجا ارتبط فى ذهنى بالإدارى .. الصارم .. البخيل . . فهو دائمًا يقول : « لا » على الورق لمعظم تأشيراته فى جميع المناصب التى تولاها .. وكان دائمًا على قة الجهاز الإدارى فى المكان الذى يعمل فيه .. حتى إذا وافق فهو يقول : « لامانع » .. إذن « لا » من لوازمه كمدير عام .. الأمر الذى عمق الشعور عندى بأنه رجل بخيل . . وأنا أعرف أن البخيل فى ماله .. بخيل فى عواطفه . . وفى عطائه لأى شىء .

والدكتور أبو النجا لم يكن بخيلا فى ماله .. ولكن فى مال المؤسسة المسئول عن مالها انطلاقًا من قاعدة الحرص عليها . . وهو يرى إذا أعطى تحت تأثير المجاملة أو الضعف البشرى أو الجوانب الإنسانية ، فإنه سيجىء يوم لايستطيع أن يعطى فيه شيئًا لأحد .. حتى إذا كان هذا الشىء هو مرتب العامل .. صاحب الحق القانونى فيه . ولذلك فالدكتور سيد أبو النجا أخرج الكثير من المؤسسات من أزمتها المالية نتيجة سياسته فى الإدارة .. التى كثيرًا ماأغضبت طائفة من العاملين فيها .

والمال فى نظره لايعرف العواطف ولكنك إذا اقتربت منه تجد ذلك الإنسان العذب جدًّا . الودود جدًّا .. المتحدث جدًّا .. الظريف جدًّا فى مجلسه وصاحب

لكنه . . وهو عندما يروى يجيد فن الرواية مما يجعلك تستمع بحب . وهو عندما يتحدث يقول بلسان فصيح . . ولم يحدث مرة واحدة أن أخطأ فى النحو فى حديثه العادى . . فهو عالم وأديب متمكن . . وكانت مفاجأة أدبية للذين لايعرفونه عندما صدر له كتاب فى العام قبل الماضى باسم « ذكريات عارية » والذى كتبه بأسلوب رقيق جدًا . خفيف الدم جدًا . جذاب فى عرض حياته لدرجة الانبهار .

ومنذ سنوات صدر كتابه « كلمات إلى العقل » وهو يتحدث فيه بعقلانية شديدة فى عدة موضوعات جادة ولكن بأسلوب عاطفى حميم . والكتاب عبارة عن نظرة الكاتب فى عدة قضايا مثارة وتعليقه عليها . . كذلك فلسفته فى الإدارة . ومحصلة خبرته فى المجالات التى كانت محور فكره على امتداد عمره المديد .

وبالتأكيد يمكن لمن يقرأ الكتاب أن يختلف مع الدكتور أبو النجا فى منهجه الفكرى ونظرته للنجاح . . والوسيلة لتحقيق الأهداف .

ولكن ميزة الدكتور أبو النجا أنه يجعلك تختلف معه . . ويحبك . ولكنه متمسك برأيه فى بعض مايراه محققًا للنجاح بالوسائل التى يراها والوسائل عنده متحركة والهدف ثابت !

لذلك فنحن لانعرض للكتاب . . ولكن نشير إليه فقط . وقراءته متعة مضمونة ! . . فالكاتب تختلف معه كثيرًا . . وتحبه كثيرًا . .

التقوا جميعا هناك !

الحب . والجنس ، والفراغ ، والخمر ، والعلاقة الزوجية ، وتربية الأولاد ، والمذاكرة ، والعمل ، والصلاة ، والتوتر النفسى . والقلق والإيمان والإلحاد . كل هذه القضايا اجتمعت فى فيلم « لقاء هناك » للأديب الروائى ثروت أباظة . ولكن هذه القضايا التقت جميعها لخدمة قضية أساسية وهى قضية الدين والحرية . وهى محور هذا العمل السينمائى القادم إليك قريبا .

كانت كل هذه القضايا مثل الروافد الصغيرة التى تصب كلها فى النهر الكبير ، وهو قصة الفيلم الذى يتناول قصة حب بين طالب جامعى مسلم « نور الشريف » وطالبة جامعية مسيحية (سهير رمزى)

وبطبيعة الحال بسبب اختلاف الدين لدى العاشقين عقبات أمام زواجهما فوالد الطالبة يرفض ، ووالد الطالب يرفض ويتهمه بالكفر لأنه لم يصل الجمعة . ويصر الطالب على ممارسة حريته فى كل شىء حتى حريته الدينية . ويحاول الشاب أن يفرض آراءه على معارفه فيرفضوها .. وتتعرض الفتاة فى هذه الحالة إلى أقسى حالات التعذيب من والدها بعد أن ضبطها فى حالة حب مع عباس (نور الشريف) .

وتضطر الطالبة إيفون (سهير رمزى) إلى عمل فض اشتباك بينها وبين الحب والعالم وتدخل الدير لتصبح راهبة ويتخرج عباس (نور الشريف) ويعمل فى إحدى المؤسسات ويتزوج من ابنة خالته المؤمنة (زبيدة ثروت) وتحمل منه وتتعسر فى ولادتها وتطلب منه أن يؤمن وأن يقول يارب إلا أنه يثور قائلا : وأين الطب والعلم .. ولما عجز الأطباء عن توليدها ووصفوا حالتها بأنها دقيقة وحرجة للغاية يثور مرة أخرى ... ثم يرفع يديه إلى السماء فى ضراعة ويقول يارب .. فتلد زوجته بسهولة .. طبعًا نهاية سطحية للغاية .. لأنه ليس ضروريًا أن يدعو الإنسان ربه ويستجاب له فى الحال كما أن هناك اختبارات الإيمان ومن بينها الصبر.

والنهاية فى القصة غير النهاية السينمائية . فالنهاية فى القصة هى موت الزوجة عند الولادة . ولكن السينما المصرية تفضل النهاية المفرحة ولو كانت غير منطقية .

كما أن القصة لمست كثيرًا من القضايا التى لا يمكن استيعابها فى عمل درامى واحد .

والفيلم يضم عددًا من النجوم أدوا أدوارهم بنجاح بنسب متفاوتة فى النجاح . وكان نور الشريف طبيعيًا للغاية فى أداء دوره مما جعله مقنعًا وكذلك الممثل الكبير محمد السبع ونجم المسرح محمد الجزيرى ، أما سهير رمزى فقد كانت متوسطة القيمة . وزبيدة ثروت لم يفلح الماكياج فى إخفاء سنها الحقيقية فى الوقت الذى تقوم فيه بدور عروس نور الشريف . ولم يصل الماكياج أوكريم الأساس إلى عنقها ليخفى تجاعيده الأمر الذى فضح سنها فى الفيلم ومع ذلك فقد أدت دورها بنجاح .. والفيلم كان بطيئًا فى إيقاعه وفى مشاهده الأولى .. مما جعل الحوار فيه أقرب إلى المسرح منه إلى السينما .

وإذا كان لايوجد تعارض بين الدين والتقدم العلمى فإن قضية الدين ستبقى دائمًا قضية مثارة كلما تعاقبت الأجيال ، وبسبب الإيقاع السريع للحياة ورغبة الإنسان فى المعرفة والوصول إلى الحقيقة .. ونحن فى انتظار أفلام أحسن ..

شادية مصر !

الفنانة الكبيرة شادية لها فى قلوب العشاق مكان خاص . فهى تحترم فنها ، ويحترمها الناس مطربة وممثلة ، ولكن بين الحين والحين نجد أنها قد أخذتها لحظة من نعاس أمام اختيار ألحانها الجديدة . كلمات وأداء . فهى التى غنت تلك الأغنية السخيفة البعيدة عن لغة الشعر وهى أغنية (الحب الحقيقى مايتنسيش) طبعًا كلام تقريرى وهايف مثل الكلام الذى يقول : يا حبيبى وحشتنى ، وعليك وغوشتنى !! .. ياسلام !! أين ذلك من أيام مجد الغناء والكلام الجميل ؟ !

وفى هذه الأيام نجد أن سماسرة الكلام والفلوس والألحان أقنعوها بأغنية (أقوى من الزمن) وأجد شادية لاتغنى فيها ، بل تردد خطبة أو تقول للناس كلامًا ، وكأنما كانت تقرأ إقرار الذمة المالية ، أو تصور كلمات الأغنية وكأنها صحيفة الحالة الجنائية ، أو استمارة . . أى استمارة .. وأى كلام !

والغريب فى الأمر أن الأغنية من تلحين عمار الشريعى الذى أراه نجمًا بازغًا فى سماء الموسيقى التصويرية وهو الذى بسببه كنت أتسكع على الأرصفة بجوار راديو يذيع إحدى المسلسلات التى لحن لها موسيقاها وتصادف مرورى فى الشارع .

وكنت أحرص على مسلسلات التليفزيون التى يضع لها الموسيقى . كل ذلك من أجله فقط ، لامن أجل المسلسلات .

وأراه اليوم ، وأستمع إلى هذا الكلام العاطل من شادية مصر ! ! أين ذلك من غاب القمر يالبن عمى هذه الأغنية التى أشعر معها برعشة غامضة تردنى إلى أيام القرية ، ولحظة غياب القمر مع المحبوب !

وأين ذلك من أغنيتها الرائعة (خلنى معاك ياالى انت مسافر)

أين ذلك من تحفتها عندما كانت تغنى مقدمة مسلسلة نحن لانزرع الشوك .. وأغنية (الحنة .. الحنة .. ياقطر الندى) ؟ !

وبارك الله فى عمر عبد الوهاب .

علمتنى الدنيا

الشعر موضوعه الإنسان . حتى لو تحدث الشاعر عن مظاهر الطبيعة . لأنه عندما يكتب ذلك فهو يصفها من خلاله كإنسان . ومن خلال رؤية خاصة وتجربة شعورية ينفرد بها الشاعر . ولذلك فالشاعر أطول الناس عمرًا .. لا بالمقياس الزمنى ولكن بمقياس المشاعر والخبرات ، لأن الشاعر يعيش التجربة ويكثفها فى موقف قصير . أو يعبر عنها بكلمة قد تبدو عابرة ولكنها قد تكون بحجم الكون كله ولذلك فالشعر إذا فقد هذه الخصائص يفسد . ويفسد أيضًا عندما يحترف الشاعر العواطف .

فالشاعر ينبغى أن يكون دائمًا ذلك الطفل الذى يستحم فى عيونه المساء . وليس الشاعر مجرد عضلات نرى فيها قدراته على نظم القول وتركيب الكلام .

أقول قولى هذا وأستغفر الله للشاعر حسين السيد الذى كتب أغنية فايزة أحمد (علمتنى الدنيا) فهذه الأغنية عندما استمعت إليها وجدت فايزة أحمد تحملها فى حنجرتها وتحاول الارتفاع بها بأدائها الرائع وصوتها الجميل . ويحاول الملحن محمد سلطان أن تكون كلمات الأغنية خواطر موسيقية مشحونة العواطف والمشاعر

والمعانى بحيث تكون قادرة على خلق التأثير المطلوب وكل ذلك عبء ثقيل على المطربة والموسيقار .

فالقصيدة الجميلة لاتتطلب ذلك من الملحن والمطرب . لأن جمالها فى الكلمات والمعانى وهى قادرة على إحداث التأثير بغير مطرب ولاملحن . ودور المطرب والملحن هو إظهار مفاتن القصيدة فنحن نطرب لكلمات رامى مجردة . ومحمود حسن إسماعيل . وشوقى . ومرسى . وبيرم التونسى فى قصيدة شمس الأصيل . وحسين السيد أيضًا فى كثير من أعماله التى أمتعتنا وهو شاعر له تاريخ عريق فى الشعر الغنائى . ويكفيه روائعه القديمة مع عبد الوهاب ولكن حسين السيد بكل تاريخه فى الأغنية المصرية لم يعد فى هذه الأغنية يكتب من مناطق الاشتعال فى نفسه . ولكنه يصدر من مناطق الاحتراف التى تصيب الشعر بالبرودة والفتور .

ممنوع لهؤلاء !

أستاذ جامعى شاب .. عمل فى البلاد العربية زمنًا .. ورزقه الله من فضله ، وبنى عمارة فخمة فى المعادى .. وسألته عن شقة لى فيها .. عملا بالقول المأثور : الدار .. قبل الجار .. بمعنى أن الشقة قبل العروسة ! وإذا بصديق له يقول : هو يطلب ألفين من الجنيهات « خلو رجل » . وربما يستحى منك .. فقلت : من حقه أن يطلب مايشاء .. فهذا طابع العصر ..

وإذا بصاحب العمارة يقول لى : بصراحة .. عمارتى لن يسكنها الصحفيون ، والقضاة ، والضباط ، والأطباء ، ورجال النيابة ، والمهندسون ، وأعضاء الاتحاد الاشتراكى ، ومجلس الشعب .

وكان صاحب العمارة يتحدث بلهجة قاطعة .. فسألته مداعبًا :

– ولماذا الاستثناء لهذه الفئات ؟ وهل تريد تأجيرها للخمسين فى المائة الخاصة بالعمال والفلاحين ؟ .. ومن سيدفع لك خلوا و ٤٠ جنيهًا شهريًا !

فقال : أنا لا أمزح .. ماالذى يدفعنى لأقبل سكنى هؤلاء الذين سوف يجلبون المشاكل لى .. فالصحفى على صلة بالحكام ، وبإمكانه تخفيض الإيجار ، وكذلك ضباط الشرطة ، والجيش ، ورجال القضاء قد يذهبون بى إلى المحاكم ، وقد

يكون من نصيبى البهدلة فى أقسام البوليس . وقد يصادف الأمر كذلك أن يكون المهندس الساكن على صلة بالمهندسين فى لجنة تقدير الإيجارات ، وأيضًا الطبيب قد يكون حكيمًا معالجًا لأحد كبار القوم . . أما عن أعضاء مجلس الشعب ، واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فقادرون على جعل القوانين فى صالحهم . . وأصبح بذلك ضحية مجاملات هذه الفئات بعضها لبعض ، ومن هنا كانت حكة نزارى وهو عدم التأجير لهؤلاء جميعًا ! !

بالمناسبة عرفت فيما بعد . . وبعد مايقرب من ٦ سنوات على هذه الحكاية . . ن سكان العمارة . . تقدموا بشكوى ضد الأستاذ الجامعى – وكان السكان جميعًا ن الناس الطيبين . . ولكنهم استخدموا حقهم فى الشكوى . . ورد الرجل الخلوات » جميعها بعد بهدلة وسافر على اثرها ولم يعد . . وهو يعالج حاليًا فى لاد التى يعمل بها من الاكتئاب النفسى .

محمد عبد الوهاب

من تسجيلات التليفزيون الخارجية . . استمعت إلى اللحن الأخير لموسيقار ل محمد عبد الوهاب ، والذى يغنيه عبد الحليم حافظ . . هذا اللحن ألهب قنا إلى مزيد من هذه الألحان التى جعلتنا نحلق بالفرحة . . والشجن الجميل على حة مجهولة .

وعندما انتهى اللحن ، وهبطت بى سفينة النشوى إلى الأرض . . دعوت إن لعبد الوهاب على ذلك الشىء الذى ظهر فى العام قبل الماضى تحت عنوان ت جنبنا »

لهم أننى قلت رأيى هذا لمحمد عبد الوهاب وكنا ضيوفًا على سهر فى منزل

عبد اللطيف العراقى سفير المغرب فى القاهرة . وبعد قليل سأل محمد عبد الوهاب السفير طاهر رضوان مندوب السعودية لدى الجامعة العربية .. وكان السؤال ماهى أجمل أغنياتى الأخيرة ! .. فإذا بالشيخ طاهر رضوان يقول : فاتت جنبنا ! .. فقلت : حكمتك يارب !

غراب البين !

.. وأخيرًا استمعت إلى المغنى محمد نوح لأول مرة مصادفة فى التلفزيون .. وحرصت على سماعه حتى النهاية وكان يغنى أغنية باسم « حمام البين » . وكنت أفضل لمحمد نوح وهو يؤدى بهذه الطريقة .. أن يغنى عن « غراب البين » ! شىء آخر : أقسم بالله العظيم أننى رأيت فيما يرى النائم بعد سماعى لهذه الأغنية .. أننى أمسك بخناق محمد نوح وأصحبه إلى قسم الشرطة . وأسلمه إلى عسكرة البوليس ! ! ! !

قاهر الظلام « فى عيون أمريكية »

التقيت بطالبة علم أمريكية تدرس الأدب العربى فى جامعة أكسفورد بإنجلترا . هى تستعد للحصول على الدكتوراه وقد اختارت لرسالتها مصر من خلال روايات لأديب الكبير يحيى حقى ، واسم الطالبة مريم كوك .

وتحدثت مع الطالبة كثيرًا واستمعت منها للكثير ومن جملة ماسمعت منها أنها اهدت فيلم قاهر الظلام الذى عرض فى السينما مؤخرًا والذى يحكى قصة حياة ميد الأدب العربى الدكتور طه حسين .

وقد تحدثت الطالبة الأمريكية بمرارة عن إهدار قيمة طه حسين خلال هذا يلم ، فهى تقول لقد قرأت معظم أعمال طه حسين وكثيرين غيره ، وانبهرت لمة طه حسين وعبقريته إلا أن الفيلم قد جرده من كل شىء . وأصبحت البطولة هذا الفيلم معقودة لزوجة طه حسين .

ففى الفيلم تجد أن زوجته تطعمه الطعام ، وتسقيه الماء ، كما لو كان رضيعًا وى على شىء .

علمًا بأن أى إنسان مكفوف البصر قادر على ذلك ، وقادر أيضًا على السير فى بق وحده .. وقضاء الكثير من شئون حياته فيجىء فيلم قاهر الظلام ليقهر

طه حسين أو ذلك العبقرى الباهر فى تاريخ مصر والأدب العربى ويظهره بمظهر العاجز تمامًا . وهذا ظلم لتاريخ طه حسين وجريمة فى حقه .

فقلت لها : طه حسين . فقد بصره فقط .. ولكن كثيرين من الناس فقدوا بصائرهم وربما أبصارهم أيضًا .

شم النسيم !

عندما يحتوينى الزمن الخشن فى عباءته السوداء ، أهرب إلى زمن الطفولة ، أجرى مع الأطفال فى شوارع الربيع .

واليوم شم النسيم .. وتزورنى ذكريات الطفولة عندما كنت أجرى مع الأطفال نافيًا ، ونغرق مع الفجر والزهر والندى والزرع فى الحقول ، ونغنى :

ياعـرق الصبا لهلبنى .. هات العصايا وشعشبنى !

وأغنيات أخرى تغنيها الصبايا من جميلات قريتى وكانت الأغنيات تضيف إلى الفجر نورًا وإلى الربيع بهاء ، وإلى القلب فرحة .. وكنا مع الصبايا نغنى .

ياعـصفير الصـبـابـا .. « خلى » نومك خفيف !

ليلة سعيدة

فى هذه الليلة .. دخلت على قلبى الفرحة من كل باب .. فمستوى الأداء لفرقة بيتى العربية كان رائعًا واختيار الأدوار والموشحات كان جميلا ، والزى الجديد شدات .. كان سماويًا بديعًا ..

وكانت صحبتى جميلة مع من أجلس على اليمين وعلى الشمال ، وطريقة غناء ليلى أمين لطقطوقة من ألحان زكريا أحمد حبيبة إلى النفس استعاد معها جمهور الحاضرين جو الدلع فى الغناء القديم ، وأصر الحاضرون على استعادة غناء هذه الطقطوقة مرة أخرى .. برغم إصرار الفنان عبد الحليم نويرة على عدم الإعادة برغم الاستحسان من الناس مما يثير غضبهم .. لدرجة أن الصديق محمد الخواجة وزير الدولة فى الحكومة الاتحادية قال لى إنه لم يعد يواظب على حضور هذه الحفلات بسبب موقف عبد الحليم نويرة !

والشىء البهيج أن الفرقة أضافت إليها عازفة جديدة على القانون باهرة الجمال « مثل القمر » وكانت أذنى مع الغناء والعزف .. وعينى عليها .. وكم تمنيت أن أستمع إلى هذه العازفة منفردة حتى تكون هناك حجة أن أقول « من عزمى الله » .. لاللعزف .. ولكن للجمال ! .

الجائزة للشتاء الذى يعطرنا ربيعًا !

مثل العشاق .. حائر أنا ... أبحث عن أول كلمة أقولها للمحبوب فى أول لقاء .. وحيرة العاشق تكون فى البحث عن كلام لم يرد على ألسنة الشعراء . كتاب الغرام !

وربما كانت حيرة العاشق سببًا فى ذلك الفيض من النور والكلام الجميل لمن حببنا !

وتزداد الحيرة عندما تكون السطور مهداة إلى أحد فرسان النغم الطيب ، لفكر الطيب . والكلم الطيب ، والقلب الطيب ..

هذا الإنسان منح ثقته للفن والموسيقى والناس ، ولم يمنحها للزراعة والنبات ـ تخرجه من كلية الزراعة . وأصبحت حديقته الجميلة هى الأمل فى فن جميل د صنع الطبيعة ، وهذه رسالة كل فنان ! !

هذا الفنان .. طالت بالفرحة صحبتى معه ، وفكرت أكثر من مرة فى الكتابة ، ولكن كانت خواطرى عنه تجىء تحت تأثير ما سمعته منه من كلام وموسيقى . لك ماتحدثنى به نفسى من خوف وقلق على حياته . فصاحبنا فى الأيام حيرة . لم يعد ينادى على أحبابه مثلما كان يفعل . وذلك لأن قلبه تمرد عليه ،

وجاء هذا التمرد وجعًا فى جسمه ، وفى نفوس الأصدقاء بسبب الخوف عليه . وكانت أصابعه دائمًا تعزف على البيانو ، وأصبحت الآن فى فترة المرض تمتد إلى الأقراص والدواء ، وكانت عيناه دائمًا تقرأ أن فى كل شىء إلا (روشتات) أطباء القلب ؟ . وكان لسانه لايقول إلا كلامًا فى الفن والحكمة ، فصار يصدر من فمه الأنين ولايبوح بشىء من ذلك حتى لأصدقائه ، فقد يئن مع الوحدة والهواجس بقرب الرحيل !

وكنا نتمنى نحن أصدقاؤه .. أن تمنحه الدولة جائزتها التقديرية فى الفن ، مثلما منحه الناس . وكنت أتمنى أن يكون ذلك فى حياته .. بدلا من إعطائها لاسمه بعد الممات ، ويكون الكلام عنه سطورًا مكتوبة ، أقرب ماتكون إلى المراثى منها إلى دراسة فى الفن الذى منحه ثقته . وأصبحت حياته مع الفن قطعة موسيقية موصولة النغم للحب والحياة .

وفجأة تحقق الأمل فى حياتنا وحياته .. فى ذلك الصباح الذى ذهبت فيه - بالقلق والرجاء - إلى مجلس الفنون والآداب لأتابع اجتماع الكبار فى حياتنا عالقة فى الفكر والثقافة والآداب . لأتابع اجتماع الكبار فى تاريخهم الطويل الطويل فى خدمة أهداف الحياة ..

وكنت أريد أن أهمس فى آذانهم .. لعلكم جئتم لتمنحوا الجائزة إلى الفنان الكبير مدحت عاصم .. فهو مستحقها عن جدارة . كنت أريد أن أقول ذلك ليحيى حقى ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، والدكتور حسن إسماعيل ، وصفوة المهندس ، ورؤساء الجامعات ، والوزراء ، ولكننى راجعت نفسى .. وقلت أعلم الناس بقيمة الفن والفنان ، ومالأنا إلا من الأحباب !

وظللت أنتظر النتيجة فى ذلك اليوم الخريفى الجميل ، والمبشر بصقيع الشتاء وفى هذا اليوم تخيلت أن الخريف الجميل .. مجرد جواد يجر خلفه عربة ال

والأمطار . وحاجتنا شديدة إلى الدفء والحنان . ولعل الكبار الآن يصنعون وثيقة ذلك الدفء وذلك الحنان إلى رجل فى شتاء العمر ، ومايزال بمطرها ربيعًا !

وجاءت البشارة .. الشاعر المرحوم فوزى العنتيل قال لى : مدحت عاصم هو الفائز بالجائزة التقديرية فى الفن . وقد نال ٢٥ صوتا فى الاقتراع السرى ضد خمسة أرادوا منحها لغيره من المتنافسين . وتوالت الأسماء : الدكتورة بنت الشاطئ نالت الجائزة فى الأدب بأغلبية الأصوات ، وكذلك الدكتور حسين خلاف فى العلوم الاجتماعية بأغلبية ٢٤ صوتًا .

وهرعت إلى التليفون لأكون أول المهنئين لمدحت عاصم ، وخذلتنى التليفونات !

وغطت الفرحة على حيرتى ، ولم أعد أعبأ بهذه الحيرة عن الكلمات التى سأكتبها عن مدحت عاصم بعدما نال الجائزة . فكلماتى لن تصل إلى مستوى ما كتب عنه فى تقرير المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

ولم أغضب من نفسى بسبب حيرتى فيما أكتب وقلت : إذا غضبت من نفسى لحيرتى مع الكلمات ، فلابد أن أغضب من الحياة ، فالكوكب الذى أعيش عليه حائر أيضًا ، ودائمًا يدور حول الشمس ، ويكفينى أن أدور حائرًا حول هذه الشموس التى أضاءت حياتنا ولم تزل تضىء حبًّا للحياة .

كلمة صغيرة

ماذا نقول لتلاميذ المدارس لو جاءوا يسألون أيهما نصدق الكتاب .. والمعلم .. وكلام التليفزيون ؟ .. ففى برنامج « ٢٠ سؤال » قال أحد المتسابقين إن أشهر كتاب للجاحظ هو كتاب (النجلاء) بالنون – ولم يعترض عليه أحد من الأساتذة

الحاضرين وكذلك المذيعة .. الأمر الذى يفهم منه أن الإجابة وزعت على المتسابق الذى لايعرف القراءة ، وقرأ كلمة النجلاء – بالنون بدلا من البخلاء بالباء كتاب الجاحظ الشهير .

أعتقد أننا أمام هذه الحالة وغيرها من الحالات الكثيرة لابد أن نقول لتلاميذ المدارس : خذوا معارفكم دائمًا من الكتاب والمعلم .. فالكلام فى التليفزيون ينبغى أن يكون – فى تقديرى – للراسخين فى العلم . أما فى تقدير برنامج العشرين سؤال فالمسألة كلام فى الهواء .

الصّورة الرابعة والوسام !

الصورة التى أمامنا لرجل عادى وبسيط يقف بجوار « مقصورة » السيدة زينب . . وسط الزحام . . وحول ضريحها الطاهر . . والناس فى هذا المكان من نوعيات مختلفة . . رجال . . ونساء . . وأطفال . .

معظمهم من أحياء بلدية أو من الشيوخ الطيبين القادمين من الريف . . الكل يدور حول الضريح فى المسجد الكبير . . يلمس بيديه فى خشوع المقصورة اللامعة فى الضوء الهادئ المريح . . والأيدى أيضًا مرفوعة والشفاه تتمتم بكلمات . . وأغلب الظن أنها دعوات . . ورجوات إلى الست الطاهرة فى نيل البركات . . دموع فى بعض العيون . . ودخان البخور يملأ المكان المزدحم بالناس . . وبالصور . . ويمد الرجل صاحب الصورة يديه إلى المقصورة . . ثم يرفعها إلى أعلى . . وترتد يداه مرة أخرى إلى صدره . . هذا الرجل لايلبس « جبة صوف » مثل الدراويش . . ولكن له تصرفاتهم . الناس حول الضريح يذهبون بعد الطواف مرة أو مرتين . . وهو يطوف . . ثم يقف . . ويطوف مرة أخرى . . ويضع اليدين على صدره وكأنه يريد أن يضع فى هذا الصدر شيئًا كان فى الأيدى . . ولاتراه العيون . . وأقترب من الرجل . . هذا الرجل يرتدى بدلة أنيقة . . وأقترب أكثر . . وأدقق فى الصورة . .

صورة الوجه .. هذا الوجه أعرفه ولكن رأيته فى صور مختلفة تمامًا ..

فهو نفسه الذى يعالج مرضاه فى كلية طب قصر العينى .. وهو نفسه الذى يقف مرضاه على اليمين .. وعلى الشمال فى العيادة الخارجية .. ويصف لهم الدواء .. وهو نفسه الذى يقوم نائبه بقسم الأمراض الجلدية بإعداد المرضى بعد انتهاء عمل الأستاذ ليمر عليهم .. ويكشف ويصف الدواء للطابور الطويل : يحنو على الكبير .. ويداعب الطفل الصغير . وهو نفسه صاحب الصورة فى العيادة الخارجية المزدحمة . وهو نفسه صاحب الصورة فى الحفل الكبير الذى أقامه وزير التعليم العالى تكريمًا له ودعا إليه أساتذة الجامعات وسلمه فيه وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى الذى منحه له الرئيس تقديرًا لجهوده فى ميدان العلم .. وهو نفسه الدكتور محمد الظواهرى أستاذ الأمراض الجلدية بكلية الطب جامعة القاهرة . وهو الذى كتبت عنه جميع صحف العالم بوصفه نابغة أمراض الجلد .. وبحوثه ونظرياته العلمية تدرس فى جميع كليات الطب فى العالم .. وهو نفسه الذى يتمتع بعضوية جميع أكاديميات الأمراض الجلدية فى أوربا وأمريكا . هو نفسه الدكتور محمد الظواهرى الذى وجدت نفسى أمامه .. وأمام سؤال .

هل يجتمع العالم والدرويش فى رجل واحد ؟

وعلى استحياء أجاب : أنا لست « درويش » . ولكن فقط أريد التقرب إلى الله .. فالعقل عندما يكبر .... يقبل على العلم . والعلم هو المعرفة .. المعرفة لكل شىء يتعلق بأمور الدين أو الدنيا .. والمعرفة تهدى إلى الحقيقة .. والحقيقة تهدى إلى الله .

وعلى استحياء يستطرد .. قائلا الأولياء والصالحون .. هم المقربون إلى الله .. هم الرواد الذين سلكوا الطريق إلى الخير .. وهم القدوة الحسنة .. ولعلنا نقتدى بهم .. ونصل إلى الغاية ..

والدكتور محمد الظواهرى والده رجل دين وهب أولاده للعلم .. فوالده من هيئة كبار العلماء فى الأزهر الشريف على امتداد ٥٠ عامًا ونشأ أبناؤه فى جو ديني .. ولاتقع أعينهم إلا على مكتبة ضخمة فى كتب الدين .. وتزودوا منها .. أعدهم للدنيا بأن أدخلهم جميعًا كلية الطب فشقيقاه الدكتور محمد ربيع الظواهرى أستاذ علم العقاقير فى كلية الطب بجامعة عين شمس . والدكتور محمد الأحمدى الظواهرى الجراح وأخصائى المسالك البولية وشقيقتاه الدكتورة رحيمة الظواهرى أستاذ طب الأطفال والدكتورة عائشة الظواهرى أخصائية أمراض النساء وأولاده محمد بكر . وعمر . وعلى . أعدهم جميعًا للطب وصاروا من أكبر الأطباء ليكملوا الرسالة .. رسالة عالم .. يريد أن يصل إلى الحقيقة .

أرض مصرية فى .. أسبانيا

لولا غربة لسانى فى أسبانيا .. لأطلقت كلماتى مثل العصافير .. تحمل فى مناقير الصغيرة رسائل حب إلى العشاق الجالسين على أرض مصر فى مدريد ! فأسبا أقامت للحب معبدًا هناك ..

الله .. أول كلمة نطقت بها مأخوذًا بروعة المكان .. وفى النفس الكثير ، الفرح ، والقليل من الأسى . ومزيج من المشاعر الغامضة ! .. شعرت بالفرح ، أسبانيا أقامت معبدًا مصريًّا فى أجمل ميادينها وأحاطته بالرعاية والجمال . وشعر بالأسى لأننا أهملنا أجمل مايعتز به الإنسان .. آثارنا .. ولدينا منها الكثير

فهنا تجد المعبد المصرى يقف فى جلال .. ويدل على تاريخ مجيد سبق ! المعبد من معابد النوبة .. وقد هددها الغرق بسبب مياه السد العالى .. وقد الملك أراك أمون وهو من ملوك الأسرة الخامسة بعد الملك رمسيس .

وكان هذا المعبد يقع بالقرب من منطقة جزيرة فيلة .. وقد أهدته مصر أسبانيا تعبيرًا عن شكرها على مشاركتها فى إنقاذ آثار النوبة .

ونقلته أسبانيا قطعًا من الحجارة إلى مدريد ، ثم أعادت تركيبها فى العاصمة على ربوة عالية تقع إلى جانب ميدان من أعظم ميادين مدريد .

يدان أسبانيا والذى به تمثال سير فانتيس أول روائى حقيقى فى الأدب الأوربى . صاحب العمل العظيم دون كيشوت . وهذا الميدان يقع بجوار القصر الملكى مريق .. وتحوطه الحدائق الملكية فى أحد جوانبه .

وقد وضعت الحكومة الأسبانية عددًا من النظارات المقربة (تليسكوب) حول عبد .. ليرى الزائر معالم أسبانيا البعيدة من فوق هذه الربوة . التى زرعوها بالنجيل خضر . وعليها أشجار النخيل لتصبح أقرب شبهًا بأرض مصر . كما أقامت سلالم العريضة من الجرانيت ، وتشبه تلك السلالم التى كانت تؤدى إلى المعابد رعونية فى التاريخ القديم .

ويواجه الزائر بعد صعوده هذه الربوة .. طريق على الطراز الفرعونى .. ينتهى ميرة صناعية كبيرة وفوقها بوابتان تتقدمان باب المعبد .. وهما بمثابة تمهيد جليل ، وتكملانه .. وتدخلان فى تكوينه . وبعدهما يقف المعبد فى جلال . وقد طت عليه الأضواء ، ووزعت بطريقة خاصة تبعث على المهابة . وقد أضيء د كذلك من الداخل بأضواء أشبه بضوء الشمس المتسلل من النوافذ الصغيرة بدعو للرهبة . ويثير التعظيم .. والخشوع لذكرى ذلك التاريخ البعيد فى عمر سارة .. والإنسان .

وعلى باب المعبد حراس أشبه بالسدنة لإرشاد الزائرين ، وللحفاظ على ذلك الذى أصبح جليلا هنا .

والشىء اللافت للنظر هنا – لى كمصرى – أن الذين خططوا لهذا العمل .. لم ا أن ينظموا فى سفح الهضبة مواقف للعربات وممرات للمشاة ، حتى لايشوهوا الجميل .. خصوصًا بعد ماأصبح هذا المكان من أجمل متنزهات العاصمة انية .

قد أشرف على إعادة بناء المعبد الأثرى الأسبانى مارتن الماجرو .. عالم

المصريات الشهير . وله فى ذلك عدة كتب تعتبر من أهم المراجع فى الحضار
المصرية . وقد كتب هذا العالم كتابًا عن هذا المعبد المعروف باسم معبد « ديبور
ويتضمن تاريخه .. وتصميمه . ومستواه الفنى .

الله .. مرة أخرى .. ومرات مأخوذًا بجمال المنظر .. والليل .. والنخيل .
والأشجار .. ومنظر العشاق الجالسين فى أمان .. وهذا الاتساع العظيم .. وتلا
الرحابة فى المكان .. وفى صدور الناس .. ويغمرنى الكثير من المشاعر الصو
أحيانًا .. لرهبة المعبد ، وجمال المكان ، وجلال التاريخ ومهابته ، وصبر العلـ
الذين نقلوا قطعة من أرض مصر ليزرعوها بالحب على أرض أسبانيا !

كلمات قبل النوم

يا كتّاب السينما .. والتمثيليات التليفزيونية انتبهوا : فمن الملاحظ أن استعمال التليفون فى السينما والمسرح والتمثيليات غاية فى اليسر .. والسهولة . . فكل من يدير قرص التليفون .. يتحدث فورًا وترد النمرة المطلوبة فورًا .. وهذا غير صحيح .. فتجربتنا مع التليفون فى هذه الأيام أن الرقم مشغول .. أو عطلان .. أو رنين بلا جواب .. أو عدم تجميع .. أو لاحرارة إطلاقًا .. أو .. أو .. إلخ . وإذا أردت الاستعانة برقم ١٦ فمن المحتم عليك أن تأخذ إجازة عارضة لمدة يوم !

وكذلك الحال بالنسبة لاستدعاء أبطال السينما والتمثيليات للتاكسى .. كما لو أن التاكسى تحت الطلب مثل السيارة الملاكى !

* * *

لامانع عندى إطلاقًا من إنتاج عدد من الأفلام عن تاريخ راقصات مصر .. حارة العوالم .. فأنا من هواة الفرجة على الرقص الشرقى والاستماع إلى الطرب .. لغناء القديم .. بشرط عدم تزييف التاريخ مثلما حدث فى فيلم (بمبة كشر) التى مت فى هوى أحد الدبلوماسيين المصريين فى سفارتنا فى الهند . علمًا أن أيام

بمبة كشر لم تكن لنا سفارة فى الهند .. ولم تكن الهند قد حصلت بعد على استقلالها .

ويكفى مافعلته فينا نادية الجندى فى الفيلم المعروض حاليًا والذى كلما تذكرته أصفق لزوزو الشهيرة بسعاد حسنى !

* * *

دائمًا أحنى رأسى احترامًا للكاتب الأديب صبحى الجيار .. فبرغم قسوة المرض والأيام والرقاد الطويل مع الألم ثلاثين عامًا .. فإنه لم يزل حاضرًا بيننا .. يكتب بعافية لم يغب عنها الوهج الذى غاب عن بعض الأصحاء .. مع دعوانى له بالسعادة . أرسل نفس هذه السطور لأديبنا الكبير حسين القبانى .. فهو الآخر الرمز الحى لانتصار الإنسان على المستحيل !

* * *

الشمعة .. والوردة .. هما الشيئان اللذان يسعدان بالموت .. فالشمعة تبكى بدموع الفرح .. وتحترق سعيدة بضيائها .. والوردة تسعد بمن يقطفها .. ويشم عبيرها !

* * *

أنا لست من عشاق كرة القدم .. بل وأكرهها .. وأعيب على الناس ذلك الهوس بها .. ولكننى على استعداد أن أكون زملكاويًا .. بمعنى أن أكون من سكان الزمالك !!

أهلا بالخريف !

الله .. دعونى أشكر الله على لحظة سعادة أعيشها فى هذا الجو البديع . . ولمسة البرد الخفيف تزورنى فأشعر معها بفرحة غامضة . . وهواء ديسمبر البارد يجعلنى أستشعر جمال الطبيعة فى كل شىء . وأرى الكون كله بديعًا .. وناعمًا ، وأحس أن الحياة قد تخلت عن قسوتها فى هذا الموسم من كل عام . وأن الحياة لم تترك بعد حلاوتها وطراوتها ، وأن الجمال شىء أصيل فيها ، خصوصًا بعد يأس منها عاش معى طوال موسم الصيف الذى أهلكتنى فيه الحرارة والرطوبة . أضف إلى ذلك عذاب الناموس ، والذباب ، والمجارى ، والتراب ، وانقطاع الماء ! لحظة الحب الصوفية التى أغنى فيها الآن للحياة وتجعلنى أقبل عليها تجعلنى أيضًا أسأل أدباءنا الكرام الذين استوردوا لنا وصفًا أوربيًّا للخريف . وصوّروه على أنه موسم سقوط أوراق الأشجار . .

والذى يطالع أوصاف أدبائنا للخريف يجد أنهم جعلوا منه موسمًا للكآبة وهذا يدل على أن الشعور الصادق والرؤية الإبداعية غائبة عن وجدانهم فى الخريف مع العلم أن هذا الموسم فى مصر .. هو ربيع الحياة فيها .

موسم الخضرة الدائمة . والناعمة أيضًا .

وأوراق الشجر فى مصر لاتسقط إلاّ فى شهر أمشير وهو يوافق أواخر فبراير وأوائل مارس .

وإذا كان أدباء أوربا قد صوروا بصدق فصل الخريف على أنه يرمز للشحوب فهو فى مصر موسم النضرة .

وأريد أن يدلنى أديب واحد على شجرة أسقطت أوراقها فى موسم الخريف فى بلادنا ؟

إن فصل الخريف هو أكثر المواسم خصوبة للفكر والأدب والشعر . وكان الخريف ملهمًا لكتابنا . وعنوانًا للكثير من الأعمال الأدبية لكبار الأدباء والشعراء مثل « شمس الخريف » لمحمد عبد الحليم عبد الله و (السمان والخريف) لنجيب محفوظ و (عاد الخريف) لصلاح ذهنى . و (أوراق الخريف) لعزيز أباظة . و (لاتلوموا الخريف) ليوسف عز الدين .. إلخ .

وكان الخريف ولايزال أيضا عنوانًا لكثير من الأعمال الأدبية العالمية . ولكن خريف أوربا خريف حقيقى . وإذا جاء رمزًا فى الأعمال الأدبية العالمية . فهو رمز لحقيقة موجودة . أما إذا جاء رمزًا فى أعمال أدبائنا . فهو رمز مستورد ويدل على شىء غير موجود فى حياتنا . مما يجعل كل متذوق للأدب . ولايستشعر عطر الصدق وأصالة الوجدان .

وأهلا بالخريف موسمًا ربيعيًا للحب ! وأهلا به رمزًا فى أعمال الفنان الكبير نجيب محفوظ .

وأهلا بزمن الشجن المقدس عند الأديب .

وأهلا بصفاء النفس والإلهام والفرح الغامض . واعتدال المزاج مرة أخرى .

هلا بالخريف !!

العجوز .. والقطار !

المكان محطة سكة حديد القاهرة .. صالة المحطة الكبيرة مزدحمة بالركاب .. منهم المسافر ومنهم من ينتظر .. ومنهم القادم من بعيد .

وعلى أحد الأرصفة يطلق القطار صفارته إيذانًا بالرحيل .. وفعلا يتحرك القطار بحذاء الرصيف .. وبعض الركاب يحاولون الركوب فى أثناء السير وينجحون فى ذلك .. والبعض الآخر يستعجل بائع السجاير على الرصيف ليلحق بالقطار الذاهب إلى الزقازيق .. والبعض يشرب زجاجة من الكازوزة وعنده الإحساس بالأمان بأنه سيلحق بالقطار مع أن سرعته بدأت تزداد رويدًا رويدًا . بل إن سير القطار أعطاه الفرصة ليجرى بطريقة معينة يستعرض فيها نفسه وعنده شعور أن القطار البنات فى ديوان الدرجة الأولى تتعلق به ومفتونة بشبابه وصدره العارى الذى خلل منه شعره الأسود الكثيف .

ووسط هذا الزحام عجوز يحاول اللحاق بالقطار .. وأيدى الركاب تطل من النوافذ تشير على العجوز أن يزيد من سرعته وهم يلتقطوه من على الرصيف .. وتزداد سرعة القطار وتزداد معها سرعة الأيدى الراغبة فى مساعدة العجوز على الركوب . وأنه لاتزال هناك فرصة اللحاق بالقطار .. ويغادر العجوز الرصيف .

ويفشل العجوز فى جهاده مع نفسه ليزيد من سرعته .. وتتعلق الأعين به وقد توقف تمامًا وهو يلهث ويجفف عرقه بمنديل قديم .. ويتحسس شعر رأسه الأبيض القصير .. وظل واقفًا بعض الوقت سارحًا شاردًا تعلوه كآبة زادت تجاعيد وجهه عمقًا وارتسمت عليه بسمة الأسى الحزين على شىء فاته غير القطار .

الفهرس

	صفحة
مقدمة	٥
واحد من ملايين الفلاحين	٧
العاشق الصغير من القنايات	١٦
أم كلثوم والعزف المنفرد على الأيام	٢٦
كلمات معطرة إلى دوق أدنبرة	٣٣
صورتان عن المؤتمر والمهرجان فى بغداد	٣٦
غنية سادسة للألم	٣٩
ـ العراق فنون لها الصدارة	٤٢
ندما وقع العرب فى هوى الكلام الجميل	٤٥
ؤال عن الموعد	٤٨
جل رفض أن يتحدث بعد الموت	٥١
ات الضوء فى عيون الكلام	٥٣
نذير والغائب لن يعود	٥٦
بدقاء الضحك القديم	٥٨
باب والذكرى	٦١

صفحة

موت حليم ! ٦٣
زكى عبدالقادر يمضى نحو النور الآخر ٦٥
القبر والقمر ٦٨
هموم الرجل السعيد ٧٢
هموم صغيرة ٧٤
تجربة شخصية جدا ٧٧
لو أن القانون يحكم هؤلاء ٨١
سطور ناقصة ... فى كتب التاريخ ٨٤
البحث عن طريق آخر للفشل ٨٦
أفادكم الله ٨٩
السباحة القدرة ٩١
الرجل الهايف ٩٣
صبر أيوب ٩٦
حج مبرور ٩٧
دعاء ليلة القدر ١٠١
كعك العيد ١٠٢
واشتعل الضوء بالظلام ١٠٤
فساد الذوق ١٠٨
أخلاقنا فى خطر ١١٠
كلام الليل ١١٢

صفحة

لم غريب ١١٤

ب المنجمون ١١٥

ام فى راديو لندن ١١٦

ز بر والتليفونات ١١٨

س ... والبنك ١١٩

حسين فى صالون أنيس منصور ١٢١

بيات الثلاث ومستقبل القصة ١٢٤

يورة نيلى ١٢٦

ئيم والمسلسلات ١٣١

ـ ١٣٤

اء الثلاثة ١٣٦

صغيرة ١٣٨

حاب محمد ١٤١

لاينادى على السينما لماذا؟ ١٤٩

ينادى على تاريخ مجيد ١٥٢

فى الإسلام ١٥٥

الله ١٥٧

يقرأ كثيرا ١٥٩

ى القرآن ١٦١

المهاجرون إلى التاريخ ١٦٣

صفحة

اللحظة الرشيدة .. وعزّام باشا ٦٥
فى السماء مع فيروز ٦٧
عندما يموت الحب .. يموت الشعر ٦٩
عينى على البناء .. وأذنى على الغناء ٧٣
بالحب ذهبت الثقافة العربية إلى الحضارة الفارسية ٧٥
مع ابن زيدون ٧٨
عاشق الأندلس ١
قصيرة بالحب مسافات السفر ٥
الوثائق التاريخية ليست كمناديل العشاق ٧
مع الساقية .....
الحب .. والأميرة صاحبة الغرام .....
قضية حب .....
سويسرا والزقازيق .....
للعقل كلمة .....
التقوا جميعًا هناك .....
شادية مصر .....
علمتنى الدنيا .....
ممنوع لهؤلاء .....
قاهر الظلام « فى عيون أمريكية » .....
شم النسيم .....

صفحة

الجائزة للشتاء الذى يمطرنا ربيعًا ٢١٥
صورة الرابعة والوسام ٢١٩
ض مصرية فى أسبانيا ٢٢٢
ات قبل النوم ٢٢٥
لاً بالخريف ! ٢٢٧
جوز والقطار ٢٢٩

رقم الإيداع	١٩٨٢/٥٢٩١
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٢٥٢-٥

١/٨٢/١٢٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

٤٠٥٣٠٦/٠١

ج٥٠